سبتمبر (أيلول) ١٩٩١ - صفر / ربيع الاول ١٤١٢

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest September '91 N° 154

مهمة سرية في العراق ٩
جديد عن النوم ١٧
كيف يفكّر الشباب الروسي ٢٠
كاتالونيا الجميلة ٢٦
المراهقون وقيادة السيارات ٣٤
الكذب يسمم الزواج ٤٠
لا تيأسوا من الوزن الزائد ٤٤
التلميذ الشاطر ٥٠
مسافر... ادهشني وابكاني ٥٥
"في صدري قلب جديد" ٥٩
ظاهرة قرى الكتب ٦٧
غريق القناة (مأساة) ٧٢
الكرنك عمرها ٧٠٠٠ سنة ٧٩
مصانع الغد: كمبيوتر وروبوت ٨٧
رسّامة تطارد المجرمين ٩٣
اصوات تسبح في الفضاء ٩٩
وداعاً، شارع المخدرات ١٠٥
قصة الهاتف ٤

تاملات معاصرة ٣ - الضحك خير دواء ٣٣
حكايات من العالم ٤٩ - دائرة المعارف ١٠٣

الفائزون في استفتاء "المختار" ص ١٢٦

أوسع المجلات انتشارا في العالم
٤٠ طبعة، ١٦ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

ماذا يريد شباب روسيا من غورباتشيف؟
(ص ٢٠)

مهمة سرّية في العراق
(ص ٩)

حقائق جديدة عن النوم
(ص ١٧)

الكذب يسمّم الزواج
(ص ٤٠)

مسابقة "المختار"
ص ١٠٣

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

Reader's Digest

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: **ادمون صعب.**

مديرة التحرير: **راغدة حداد.** محررة مساعدة: **لورا نفاع.** الاشتراكات: **فريال علاف.**

مدير القسم الفني: **جورج غالي.**

الامتياز: **شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.** الناشر: **شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.**

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: **الدكتور لوسيان دحداح.**

المدير العام المعاون: **داني دحداح - باز.**

التحرير والادارة: **بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.**

التلكس (الموقت): **MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.** الهاتف: **٣٥٠٧٦٠/٣٧٠٥٧٥**

التنضيد والتنفيذ: **المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.**

الطباعة: **المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.**

التوزيع: **الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.**

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1991 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707. Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

September '91 N° 154 (New Series) Vol. 13

ريدرز دايجست

المؤسسان: **دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.**

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: **كنيث غيلمور.** مدير التحرير: **كريستوفر ولكوكس.** المدير العام: **جورج ف. غرون.**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية، والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى أشرطة مسجلة.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئيا او كليا، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

لبنان ١٠٠٠ل - سورية ٤٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٩ر - البحرين ٩٠٠ف
السعودية ١٢ر - مصر ١.٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - الجمهورية اليمنية ١٥ ر - مسقط ٩٠٠ ب - قبرص ١ ج
تونس ٧٠٠م - المغرب ٨د - الجزائر ٧د - انكلترا ١ج - اليونان ٢٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢.٥د

فاجئوا من تحبون
بهدية لا تنسى

تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩١/١/١ و١٩٩١/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
c/o Aramex International Courier
P.O.Box 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______________

____

عنوانه ______________

____

المناسبة وتاريخها ______________

توقيع المهدي ______________

مع أخلص تمنياتنا

تأملات معاصرة

شعلة سبتمبر

■ تمر أيام سبتمبر (أيلول) كسهام تخترق القلوب، عائمة على بحر الذكريات، زاخرة بتحيات الوداع الصامتة، موشحة بالوعود والآمال، ذهبية، ساكنة، لا يشوبها أسف ولا اكتئاب. هذا الشهر التاسع الغامض يطل وفي جعبته اختبارات جلية تحفظ وهج شعلة الشباب.

إريك ماريا ريمارك، روائي الماني

الحياة لا تنتظر

■ يلازمني منذ وقت طويل شعور غامض بأن الحياة "الحقيقية" توشك أن تبدأ. انما حالت دون ذلك دائماً عوائق تعيَّن تخطيها، كانجاز مهمة غير مكتملة، أو دفع بعض الديون، أو ترقب حدث ما، وبعد ذلك تبدأ الحياة الحقيقية. واتضح لي في النهاية أن تلك العوائق كانت هي حياتي.

بيت هولاند، كاتبة امريكية

الاطفال يغيّرون العالم!

■ كل ما يحكى عن الاطفال صحيح: نعومتهم وسحرهم ودفئهم وسرعة التعلق بهم. انا لا أعرف طفلا لا يحمل هذه الصفات. ولو لم يكن الاطفال كذلك لما تحملنا متطلباتهم الكثيرة والملحة والمزعجة بسرور ورحابة صدر.

الأطفال طاقة كامنة. قد تدهشك خفة الطفل ورقّته حين تحمله، لكنه هو يحمل في قبضته المستقبل والأرض والجَلد والشمس والقمر وكل شيء جديد.

الاطفال يعينوننا على استبصار عالمنا المتغير. وحريّ أن يتوقف التغيير في العالم وقت يحين تغيير "حفاض" طفل.

تشارلز اوزغود، صحافي

حكمة التجارب

● يجب أن نحرص على استخلاص حكمة من كل تجربة نخوضها، فنتوقف عندها، لئلا يحل بنا ما حل بالهرة التي جلست على غطاء موقد ساخن. فهي باتت تخشى الجلوس على غطاء موقد ساخن - وهذا حسن - لكنها باتت ايضاً تخشى الجلوس على غطاء موقد بارد.

مارك توين، كاتب امريكي (١٨٣٥ - ١٩١٠)

الأم الفاضلة

■ كانت أمي تنهمك في العمل طوال النهار، ولكن حين يحين المساء كانت تتهيأ لاستقبال أبي وقد أنجزت كل الاعمال المنزلية.

كان سلوكها أنذاك يتجاوز ادراكنا فيحملنا على الضحك والغمز والتلميح المرح. لكنني أتذكر الآن مبلغ حبها الكبير لأبي. فمهما حدث في النهار، ومهما كانت هي مثقلة بالهموم، فقد كانت تستقبله بابتسامة هانئة تنم عن تقدير وحب عميقين.

الام تيريزا، نصيرة فقراء الهند

قصّة الهَاتف

كيف تتصورون عالماً من دون هاتف؟
وما قصة هذا الاختراع الذي غيَّر مجرى التاريخ؟

يستخدمه الناس في منازلهم ومكاتبهم وفي السيارات والطائرات والحدائق. ويستخدمونه كذلك لنقل رسائل الحب وللاتصال بالاطباء ولمعرفة آخر نتائج المباريات الرياضية. وقد بات الهاتف موجوداً في كل مكان تقريبا. وهناك مئات الملايين منه في الارض يجمعها عامل واحد هو الاتصال المباشر بين جهاز وآخر. هل تريد أن تتحدث مع الرئيس الامريكي جورج بوش؟ أطلب الرقم ١٤١٤ - ٤٥٦ - ٢٠٢. هل ترغب في الاعتذار عن موعد شاي مع الملكة اليزابث؟ عليك بالرقم ٤٨٣٢ - ٩٣٠ - ٧١ - ٤٤ - ١١.

الهاتف متجذّر في حياتنا الى حد أننا بتنا عاجزين عن الاستغناء عنه.

يعمل هذا الاختراع العجائبي بتحويل الكلمات موجات كهربائية، وينقلها عبر الاسلاك، ثم يعيد تحويلها أصواتاً قريبة من الاصوات الاصلية الى حد أننا لا نحتاج، في معظم الاحيان، الى السؤال عمّن يكون محدثنا على الطرف الآخر. وعلى رغم كل هذا نتناسى، ببساطة، الى أي مدى غيّر الهاتف حياتنا.

٧ مارس (آذار) ١٨٧٦. أُصدرت براءة الاختراع الرقم ١٧٤٤٦٥ التي تعتبر البراءة الاعلى قيمة أبداً، باسم

PHOTOS: (BACKGROUND) © STEVE KRONGARD / THE IMAGE BANK; (INSET) NOVASENSOR

الكسندر غراهام بل. ولو تأخر بل ساعات قليلة في تقديم تصاميمه، لذهب شرف اختراع الهاتف الى اليشا غراي، ولأُطلق على النظام الذي نعرفه اليوم بنظام "بل" اسم نظام "غراي."

٤ ابريل (نيسان) ١٨٧٧. تم تركيب أول جهاز هاتف في منزل خاص، اذ أصبح لدى تشارلز وليمس الاب خط هاتفي يربط مكتبه في بوسطن بمنزله في سومرفيل بولاية مساتشوستس.

عمد ادوين

هولمز الذي يملك شركة أجهزة انذار ضد السرقة في بوسطن، الى وضع أول مقسّم هاتفي قيد العمل: وصل المقسّم بهواتف في خمسة مكاتب تستخدم أجهزة هولمز للانذار.

١ سبتمبر (أيلول) ١٨٧٨. استُخدمت ايما م. نات كأول عاملة هاتف. وكان العاملون قبلها صبية صغار السن ثبت عدم جدارتهم بسبب لغتهم البذيئة وولعهم بـ"المقالب" المضحكة.

١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٧٨. تم تركيب أول جهاز هاتف في قاعة البورصة في نيويورك، فأحدث ثورة في وول ستريت.[1] وخلال سنوات قليلة ربط دلّالو الاسهم مكاتبهم بالردهة حيث تتم عمليات التبادل. وقد ادعى ج.ب. مورغان أن شريكه جورج بيركنز "يستطيع جمع ٢٠ مليون دولار خلال ٢٠ دقيقة" باجراء سلسلة من المكالمات الهاتفية.

١٨٧٩. كان على عاملي المقسمات أن يحفظوا أسماء جميع المشتركين غيباً. ولدى انتشار وباء الحصبة في مدينة لويل بولاية مساتشوستس، أوصى أحد الاطباء المحليين بتخصيص أرقام للمشتركين خوفاً من انهيار شبكة الهاتف في المدينة اذا ما وصلت العدوى الى عمال المقسم. وسرعان ما شاع استخدام الارقام في أنحاء الولايات المتحدة.

١ مايو (أيار) ١٨٨٤. بدأ في شيكاغو بناء أول ناطحة سحاب في العالم، وهي مبنى من عشر طبقات شيدته شركة "هوم انشورانس." واتاح الهاتف انتشار ناطحات السحاب في المدن الكبيرة، فلولاه لتعيَّن على السعاة نقل الرسائل باليد، ولما توافر عدد كافٍ من المصاعد يستخدمها هؤلاء.

١٣ اغسطس (آب) ١٨٩٩. اخترع وليم غراي من هارتفورد بولاية كونيتيكت - وهو لا يمتّ بصلة قرابة الى اليشا - أول جهاز هاتف يتقبل نقوداً معدنية، اذ صمم جهازاً يستطيع أي انسان استخدامه في أي وقت ما دام لديه نقود معدنية. وسرعان ما تلت ذلك فكرة أكشاك الهاتف العمومية المصنوعة

(١) وول ستريت شارع المال في نيويورك.

من جذوع السنديان المنحوتة، وكانت تغطى في بعض الاحيان بستائر.

١٠ مارس (آذار) ١٨٩١. سجل ألمون ستروغر، وهو متعهد دفن موتى في مدينة كانساس، براءة اختراع هاتف آلي من تصميمه، بعدما ارتاب في ان احدى موزعات الهاتف المحلية، وهي زوجة احد منافسيه، تحول مكالماته الى حانوت زوجها.

٩ فبراير (شباط) ١٩٠٩. أعلنت لجنة عيّنها الرئيس الامريكي آنذاك ثيودور روزفلت أن الهاتف هو أحد عوامل حلّ مشاكل الريف. وفي السنوات التالية عمل الهاتف على تخفيف العزلة في حياة المزارع. وله الفضل في تنشيط الانتاج الزراعي.

٢٧ مارس (آذار) ١٩٢٩. أصبح الرئيس هربرت هوفر أول رئيس يقتني جهاز هاتف على طاولة مكتبه. وكان اسلافه يستخدمون كشك هاتف مغلقا خارج المكتب البيضوي.[٢]

١ سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩. في الساعة ٢،٤٠ بعد الظهر تلقى الرئيس فرنكلين روزفلت أول انباء الحرب العالمية الثانية، وكانت مكالمة هاتفية من باريس تنبئه بأن هتلر غزا بولونيا. وقد أدت العمليات الحربية الى ازدياد المكالمات عبر القارّات. وفي اواخر السنة بلغ عدد هذه المكالمات ١٩٦،٤ مليوناً، أي نحو ثلاثة أضعاف عدد المكالمات التي أجريت في العام ١٩٤١.

١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٣. أنزلت الى الاسواق أجهزة هاتف ذات أزرار بدل الاقراص التقليدية. لكن مبيعات لعبة "تشاتر تلفون"[٣] (الهاتف الثرثار) ذات القرص الدائري في محال "فيشر - برايس" للالعاب حافظت على مستواها. فالاطفال يحبون القرص الدائري، وقد باعت الشركة ملايين الاجهزة مما جعل "الهاتف الثرثار" اللعبة الاكثر شعبية في العالم.

١٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٥. وضعت شركة «AT & T» نظام خدمة هاتفية يتم بواسطتها تحويل رسوم المكالمات تلقائيا الى الرقم المطلوب بدل الرقم الطالب. وأحدثت هذه الطريقة ثورة في حجم المبيعات البريدية بواسطة الكاتالوغ، لانها تسمح للمستهلك بطلب السلعة التي يريد بمجرد الاتصال برقم يبدأ بالرمز "٨٠٠" الذي لا يستوجب دفع رسم للمكالمة. وفي العام ١٩٨٩ أجريت ٨ مليارات مكالمة على الرمز ٨٠٠.

٢٩ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠. أصبحت «ABC» أول شبكة

(٢) المكتب البيضوي «Oval Office» هو مكتب الرئيس الامريكي داخل البيت الابيض.
(٣) Chatter Telephone

تلفزيونية تستخدم أرقام «AT & T» الجديدة التي تبدأ بالرمز "٩٠٠" لاجراء استطلاع مباشر للرأي بعد المناظرة التلفزيونية بين المرشحَيْن الرئاسيين آنذاك رونالد ريغان وجيمي كارتر.

٨ مايو (أيار) ١٩٨٨. شب حريق في هنزدايل بولاية ايلينوي أدى الى انقطاع خطوط الهاتف عن ٣٥ ألف منزل ومركز عمل لمدة أربعة أسابيع. وكانت هذه صورة قاتمة عن الحياة من دون هاتف: المصارف عاجزة عن اجراء صفقات، المحال التجارية عاجزة عن التأكد من صحة بطاقات الائتمان وصلاحيتها، أجهزة الانذار ضد السرقات متوقفة عن العمل، الناس عاجزون عن الاتصال بالشرطة. واضطر الاطباء في مستشفى هنزدايل الى استخدام أجهزة لاسلكية لأتصالاتهم بين أقسام المستشفى.

... وتستمر عملية الابداع. اثنتان من روائع تقنية الهاتف، هما الفاكس والهاتف الخلوي،[٤] أحدثتا تبديلا جذرياً في السوق. واليوم يطلب موظفو المكاتب طعام الغداء عبر الفاكس من المطاعم القريبة، كما يتبادلون الاحاديث مع زملائهم في المبنى المجاور. وأصبح الهاتف الاعجوبة الخفيف الوزن والخالي من الاسلاك متوافراً في كل الاسواق.

ومع الوقت تصبح الاتصالات أسهل منالا ويصبح العالم "أصغر." كتب جون بروكس في مؤلَّفه "الهاتف: السنوات المئة الاولى": "ان الانسان، عوض اسماع صوته عبر مئات الامتار بالصراخ، يُسمع صوته الآن عبر العالم بهمسة."

وليم اسنبارغر ■

(٤) The Facsimile machine and the cellular phone

قبطان مناسب

نشرنا اعلاناً في صحيفة نطلب فيه قبطان سفينة ذا خبرة. فتقدم للوظيفة رجل ذو ساق خشبية ويد خشبية تنتهي بخطاف وقد لفّ عصابة سوداء حول احدى عينيه. قلت له: "يبدو أنك الشخص المناسب. أخبرني كيف فقدت ساقك."

- بقذيفة مدفع.

"ويدك؟"

- في معركة بالسيوف.

"وكيف فقدت عينك؟"

- آه! حدث ذلك أثناء عاصفة بحرية مريعة. نظرت الى السماء، واذا بنورس...

"وهل نقر النورس عينك؟"

- لا، كان ذلك يوم وضعت الخطّاف للمرة الاولى.

د.ب.

مع الحدث دائماً
قبل الحدث غالباً

RMC

راديو مونت كارلو

موعدكم الصيفي مع اذاعة مونت كارلو في جنوب فرنسا

على موجة متوسطة ٢٠٥م (أي ١٤٦٧ كيلو هيرتز)

LINKS

36 RUE WASHINGTON 75008 PARIS FRANCE - TÉLÉPHONE (1) 45 63 58 25 - TÉLEX 648730 LINKS F - TÉLÉFAX (1) 42 89 85 81

Reader's Digest
المختار
سبتمبر (أيلول) ١٩٩١
صفر / ربيع الاول ١٤١٢
السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

مهمَة سرِّية في صحراء العراق

هبط الطيار الامريكي على أرض العراق بعد اسقاط طائرته. فهل ينجح رفقاؤه في انقاذه؟

٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٩١، الساعة ٦،٠٥ صباحاً.

لفت الملازم في البحرية الامريكية ديفون جونز زميله عبر ميكروفون قناع الاوكسيجين محذراً: "سام! الساعة الثانية."

فرد الملازم لاري سلايد من الركن الخلفي في طائرته "F — 14" تومكات": "إني أراه!" مشيراً بذلك الى ما كان يخشاه كل طيار أمريكي فوق العراق اكثر من أي سلاح آخر، وهو صاروخ "سام" أرض - جو الذي كان في تلك اللحظة مندفعاً نحوهما مباشرة.

انه اليوم الخامس من عملية "عاصفة الصحراء"، وطائرة جونز وسلايد في مهمة مواكبة لحماية طائرة "براولر" مشوشة للرادار تساعد سرباً من طائرات

البحرية الهجومية انطلق من الحاملة الامريكية "ساراتوغا" لقصف مطار الأسد وسط العراق. لم يتلقَّ الطياران أي انذار الكتروني عن الصاروخ المعادي. ولم يكن أمامهما سوى المناورة لتفاديه، وذلك بتوجيه طائرتهما في هبوط مدوٍّ عنيف نحو الصاروخ مباشرة.

دفع جونز أذرع المخانق بقوة الى الامام، واذ اندفعت طائرته بسرعة، جذب قضيب التحكم بعنف نحو فخذه اليمنى. هوت الطائرة في استدارة فائقة السرعة نحو صاروخ سام المقترب. وفي ركن الطيار الخلفي ضغط سلايد مفاتيح معينة لاطلاق عصافة من رقاقات الالومنيوم لارباك رادار الصاروخ وتحويله عن هدفه.

كان منتظراً ألّا تنقضي خمس ثوان ويمرَّ الصاروخ بالطائرة. استنشق جونز الاوكسيجين عبر قناعه وحاول ابقاء ذهنه صافياً. وهو كان، قبيل بلوغه الثلاثين من عمره، تخلى عن عمله في القطاع المصرفي ليصير طياراً في سلاح البحرية. وها هي السنوات الثلاث التي أمضاها في التدرب المكثف على الطيران تواجه الاختبار النهائي.

غار جونز في مقعده القذفي[1] فيما كانت قوى الجاذبية تزداد. مرّ الصاروخ المتوهج بمحاذاة الطائرة، وبدا أن الطيارين نجحا في التملص منه وأن العصافة كانت بمثابة قناع. ثم امتلأ الركن بوميض أبيض مزعج. لقد انفجر الصاروخ قرب زعانف ذيل الطائرة ممزقاً الموجّه.

قُذف جونز بعنف على لوحة الاجهزة. ومزقت قوة الانفجار قناع الاوكسيجين على وجهه. انحرفت الطائرة يمنة في دوامة لولبية، وأخذت الغيوم تسوط غطاء ركن الطيار بعنف مطرد مع كل دورة. واذ ازدادت قوة الجاذبية شعر جونز كأن أطرافه أكياس رمل، فيما باطن خوذته يلطم رأسه مراوحة كما لو كان هدفاً لملاكم خفي. ثم سمع صوت سلايد عبر السماعة المثبتة في الخوذة: "جونز، هل أنت بخير؟"

لم يكن جونز قادراً على تثبيت قناع الاوكسيجين ليجيب رفيقه. وفي ركنه المظلم الضاج تشبث بقضيب التحكم وضغط بمقدم قدميه دواسات الموجه. لم تعد الطائرة صالحة للطيران، وكانت في تلك الاثناء هبطت ثلاثة آلاف متر.

صاح سلايد: "جونز، إننا نهوي."

تحتم عليهما مغادرة الطائرة فيما هي تزداد سرعة مع كل دورة. واذا تأخر جونز عن قذف نفسه خارجها فلربما بات بعد لحظات منهكاً الى حد العجز. غير ان قوة الجاذبية كانت من العنف بحيث تعذر عليه الامساك بمقبضي القذف الرئيسيين المثبتين في أعلى مقعده، فاستعاض عنهما بالمقبض الاحتياط بين ركبتيه، وشده يائساً بآخر نفحة من قواه. انزاح غطاء الركن وقذفه مقعده الى الريح القارسة.

انفتحت المظلة على نحو خاطف أحدث رنيناً مكتوماً. وفيما جونز هابط عبر

(١) Ejection seat

طبقات الغيوم لمح مظلة سلايد تحته قليلا. وكانت طائرة البراولر التي واكباها استدارت جنوباً عندما أصاب الصاروخ هدفه. ولا بد أن طاقمها شاهدهما يهبطان وبعث نداء استغاثة الى "يوكون"، طائرة الـ"اواكس"[٢] الرادارية فوق الحدود السعودية - العراقية جنوباً.

ظل جونز لفترة طويلة معلقاً في الغيوم الكثيفة الساكنة. ثم سمع دوي انفجار طائرته وهي تتحطم تحته في الصحراء. بانت قدماه من تحت الغيوم. وفجأة ظهرت له أرض الصحراء. ثم ارتطم بعنف بالتراب المتراص المستوي.

نهض ببطء وتفحص أطرافه ليتأكد من أنه لم يتأذَّ. بدا سالماً على رغم الدوران العنيف وعملية قذفه من الطائرة. أخفى مظلته وخوذته البيضاء، وحدق عبر الظلام بحثاً عن لاري سلايد. لكنه لم يرَ احداً.

راح ينادي زميله بواسطة جهاز اللاسلكي مستخدماً اشارة اتصال خاصة بسلايد: "أيها الجرذ، هل تسمعني؟" لكنه لم يلق رداً. رفع صوت اللاسلكي وأنصت آملا سماع صوت من طائرة أمريكية فوقه. فلم يتناه اليه سوى صوت النسيم الصحراوي الجاف البارد. غير أنه كان مدركاً أن "يوكون" البعيدة قد تسمعه، فقال: "سلايت ٤٦. على الارض." مردداً اشارة ندائه الرسمية. "انني بخير، أتوجه غرباً."

بدأ جونز سيره عبر الصحراء آملا أن يجد وادياً جافاً يختبىء فيه. كان يتوقف على فترات منتظمة، فيتناول اللاسلكي وينادي بقلق متزايد: "سلايت ٠٤٦ هل من أحد يسمع ندائي؟"

٧،٣٠ صباحاً.

كان النقيب الطيار طوم تراسك نائماً في مهجع مطار عرعر بالمملكة العربية السعودية عندما أيقظه أحدهم قائلا: "ثمة مهمة تستدعينا. لقد اسقطت طائرة F — 14 ."

قفز تراسك من سريره وانتعل جزمته بسرعة. وكان أفراد طاقمه الخمسة حوله يرتدون بذلات الطيران. كانوا جزءاً من "الجناح الاول للعمليات الخاصة" وهي الوحدة السرية في سلاح الجو الامريكي المكلفة عمليات البحث والانقاذ في عمق اراضي العدو. استخيروا مروحية من نوع «MH-53J Pave Low» وهي من أضخم المروحيات الامريكية وأقواها.

عندما درس تراسك ومعاونه الرائد مايك هومان خريطة الطيران، تبين لهما أن المهمة مقامرة خطرة. أفادتهما الطائرة - الرادار "يوكون" من دون تحديد دقيق أن موقع الطيار الذي أُسقط يبعد ٢٦٠ كيلومتراً داخل الاراضي العراقية. ومع أن الدفاعات الجوية العراقية كانت دُكَّت بعنف، فقد كان هذا القطاع يعج بقواعد متحركة لصواريخ أرض - جو ولمدافع مضادة للطائرات.

كانت الرحلة الكاملة تتطلب ثلاث ساعات، لذا سيحتاجون في طريق

(٢) Airborne Warning and Control System «AWACS»
اي نظام الانذار والتحكم المحمول جواً.

عودتهم الى كل قطرة وقود. وعادة، يُلجأ الى عملية انقاذ كهذه ليلا، ولكن لم يبقَ متسع للانتظار والا وجب تنفيذها في وضح النهار، وهو ما لم يحاوله أحد بعد في الحرب.

بعد ٢٥ دقيقة على الانذار الاول اتصل طوم تراسك ببرج المراقبة معلناً أن "موكاسان ٠٥"، وهي اشارة النداء لمهمتهم، أصبحت جاهزة. أقلع بالسرعة القصوى وسط ضباب بلغ من الكثافة حداً خيل اليهم معه كأنهم يطيرون داخل زجاجة حليب. أبقى تراسك عينه على شاشة رادار التحقق من المسافة الفاصلة عن الارض، الذي كان ضبطه لابقاء الطائرة على ارتفاع ثلاثين متراً، وهو الحد الادنى للطيران الآمن في مثل هذه الظروف. بعد خمس عشرة دقيقة مال هومان من مقعده في الركن الايسر ونقر باصبعه شاشة الرادار معلناً: "إننا نعبر الحدود الآن."

دخلوا أراضي معادية. وانقشع الضباب فجأة وظهرت كثبان رمل ذهبية. هبط تراسك الى ارتفاع أربعة أمتار ونصف متر عن الارض، مدركاً أن أجهزة الرادار العراقية لا تستطيع رصده في هذا الارتفاع.

نادى هومان طائرة الرادار التي كانت تحلق عالياً في الجو: "يوكون! موكاسان ٠٥! هل حددتم موقعنا؟"

أجابه المراقب: "موكاسان ٠٥! نعم. اننا نتابع طيرانكم." كان رادار الاواكس مثبتاً فوق الطوافة بحيث يستطيع تتبع مسارها بدقة، فيما تولت أجهزة مراقبة أخرى في القبة الدوارة الضخمة المثبتة على ظهر "يوكون" مهمة كشف الطائرات المعادية ورادارات الدفاع الجوي وحتى الآليات على الارض.

كانت احدى المسؤوليات الاخرى ليوكون توجيه طائرتي «A10A Thunderbolt II» المكلفتين مهمة حماية الطوافة إن حاول العراقيون على الارض احباط عملية الانقاذ. وهاتان الطائرتان من النوع المعروف باسم "ساندي" وهو فريسة سهلة لمقاتلات الميغ والميراج «F — 1» العراقية بسبب بطء تحركه. لذلك واكبتهما طائرتا «F — 15» أطلق عليهما الاسم - الرمز "سيتغو."

٨،٣٠ صباحاً. كان النقيب بول جونسون، قائد طائرة «A-10» المتقدمة، يحلق فوق الحدود السعودية - العراقية. تاق الى فنجان قهوة، لكنه اكتفى بكوب ماء فاتر لا نكهة فيه. كان منهكاً بعدما ظل ومساعده النقيب راندي نحوف، قائد الطائرة المواكبة، مستيقظين منذ الثالثة والنصف فجراً يعدان العدة لمهماتهما. وكان مضى عليهما في الجو ساعة حين أرسلهما مراقب الـ"يوكون" الى العراق ليحاولا الاتصال بـ"سلايت ٤٦."

عندما وصلا الى الموقع الذي حددته لهما "يوكون" ادار جونسون جهازه اللاسلكي على موجة البحث والانقاذ الرئيسية ونادى الطيار الذي أُسقط: "سلايت ٤٦. ساندي ٥٧."

لم يتلقَّ جواباً. لم يسمع سوى شواش خفيف في سماعات الرأس.

.٨،٥٠

اتصال من "يوكون": "موكاسان ٠٥! طائرة معادية تجد في اثركم. ننصحكم بالابتعاد."

أطلق تراسك شتيمة صامتة. كانت الطائرة المعادية على الارجح من نوع "ميراج F — 1" الفرنسية الصنع، وهي طائرة اعتراضية من الطراز الاول تستطيع بسهولة تدمير طوافته بصواريخ بعيدة المدى. حلق على ارتفاع لا يتجاوز الامتار الثلاثة فوق أجمة من الشوك، ثم انحرف الى واد يشبه ملجأ.

جاءته معلومات مطمئنة من طائرتي «F — 15» المرافقتين. فما ان رصدت شاشات رادار الطائرتين الامريكيتين طائرة «F — 1» العراقية وتدخلتا لاعتراضها، حتى ولت هذه متجهة شمالا. ولكن بات العراقيون على علم بأن طوافة أمريكية ضخمة تتوغل داخل العراق.

بعد عشر دقائق وصلت "موكاسان ٥." الى الاحداثيات التي أعطتها "يوكون" عن موقع "سلايت ٤٦." مشط تراسك المنطقة مدة عشرين دقيقة، ولكن لم يظهر أي أثر للطيار المنكوب. ومع ان أحداً لم يتفوه بالامر علناً، فقد بدا الجميع مقتنعين بأن الطيار الذي أسقط قد أسر.

اضطر تراسك الى التحول جنوباً بسبب النقص في الوقود وقفل في رحلة طويلة عائداً الى الحدود السعودية لتزود الوقود. أما طائرات "ساندي" و «F — 15» فظلت تواصل بحثها.

٩،٠٠ صباحاً.

فيما قوي ضوء النهار تحت طبقة الغيوم، تبين لديفون جونز أن الصحراء تكاد تكون خالية من التلال والاخاديد والنبات. شاهد حوله آثاراً حديثة لعجلات ولاخفاف جمال وحوافر حيوانات. كان عليه ايجاد مخبأ قبل أن يصادف أحداً.

لمح ربوة صغيرة من التراب الداكن بارتفاع خصره وسط منخفض. فرمى عدته الى جانب الربوة وراح يحفر بعزم مستخدماً سكين نجاة.

واذ اشتد النهار كان قد نبش حفرة بطول ١٢٠ سنتيمتراً وبعرض كتفيه وبعمق حوالى متر. وبعدما حفر طويلا، بدت يداه مدميتين مكسوتين بطبقة من التراب. لكنه كان راضياً اذ أصبح لديه مخبأ.

كان يمزج التراب الداكن المستخرج من الحفرة بالرمل الفاتح اللون المحيط بهما عندما سمع قرقعة آلية تقترب. قفز جونز الى الحفرة وحدق بحذر من فوق حافتها فرأى شاحنة زراعية خربة تتحرك نحو صهريج أزرق في مكان قريب، وما لبث أن خرج منها رجلان في ثياب العمل. وفيما جونز يراقب، جال الرجلان حول الصهريج الاسطواني ثم عادا الى الشاحنة وغادرا المكان.

قال جونز في نفسه: إنه صهريج ماء.

وتسارعت أفكاره: من الواضح ان المزارعين المحليين يأتون الى هذا المكان. لكن راكبي الشاحنة لم يرياه، اذاً في امكانه أن يبقى في هذا المخبأ طوال النهار، فيملأ قواريره ماء ويتوجه غرباً بعد حلول الظلام الى مكان أكثر أماناً. واذ راح يجرع الماء من احدى قواريره البلاستيكية الصغيرة الخمس، ازداد أمله بالصمود ذلك النهار ريثما يتم انقاذه بعد حلول الظلام.

١٢،٥ ظهراً.

شعر جونسون بالاحباط وهو يحلق في طائرته الـ"ساندي." وتساءل: "أين ذهب سلايت ٤٦؟" لقد التقطت طائرتا «F — 15» صوته لوقت وجيز. لكن جونسون لم يسمعه حتى الآن. "هل أطبق عليه العراقيون؟"

قطع صوت راندي غوف تأملات جونسون معلناً أن كمية الوقود المتبقية لا تكفي لسوى خمس عشرة دقيقة وأن عليهما التحول نحو الجنوب لتزود الوقود.

فرد جونسون: "حسناً،" ثم جدد نداءه في محاولة أخيرة: "سلايت ٤٦. ساندي ٥٧. هل تسمعني؟"

فجأة سمع ذبذبات على الجهاز، ثم صوتاً هادئاً: "ساندي ٥٧. هنا سلايت ٤٦. تكلم." شعر جونسون بالدم الحار يتدفق في عروقه. فالطيار الناجي يتحدث اليه عبر الراديو.

قال جونسون: "سأقترب منك قليلا لاتكلم معك."

١٢،١٠ ظهراً.

كانت "موكاسان ٠٥" تتزود الوقود في مطار عرعر عندما سُمع جونسون يتكلم مع "سلايت ٠٤٦" انتزع تراسك ميكروفون الراديو وقال: "يوكون! موكاسان ٠٥! اننا نتزود الوقود وعائدون شمالا."

الساعة ١٢،٢٠.

قدر جونسون وغوف ان "سلايت ٤٦" في مكان يبعد ثلاثين كيلومتراً على الاقل غرباً من مطار الأسد، أي أبعد شمالا مما تصورا في البدء. كانت كمية الوقود في طائرتيهما منذرة فعلا، وكانا لا يزالان بعيدين الى الجنوب.

تحرك تراسك لملاقاتهما، فناداهما قائلا: "هنا موكاسان ٠٥! تابعا مساركما شمالا. علينا أن نحدد موقعه بدقة."

هز جونسون رأسه متجهماً، اذ ان موقع "سلايت ٤٦" داخل العراق كان عند الحد الاقصى لمدى المروحية «Pave Low» . واذا اتجهت طائرتا الـ«A — 10» جنوباً لتزود الوقود قبل تحديد موقع الطيار، فسينفد وقود المروحية. كان على جونسون وغوف أن يخاطرا.

أمال جونسون طائرته جانبياً ليحصل على رؤية أفضل. ثم هبط الى ارتفاع ٩٠٠ متر ونادى الطيار الناجي طالباً منه أن يتنبه الى الاشارات الضوئية التي سيرسلها. وبعد الاشارة الضوئية الثالثة اتصل جونز بجونسون قائلا: "انني على سبعة كيلومترات الى الجنوب."

هبط جونسون وغوف الى ارتفاع أدنى. وبعد لحظات سمع جونسون رفيقه يصرخ فرحاً واثارة: "هذه هي! هذه هي!" مشيراً الى طائرة «A — 10» فوق رأسه تماماً.

عندما استدار جونسون بطائرته، حفظ الاحداثيات التي كانت تبثها الاجهزة. وأمل أن يكفيه الوقود المتبقي للوصول الى الناقلة. تـلا الاحداثيـات على "موكاسان ٠٥" التي كانت تكمل طريقها شمالا، وقال لجونز: "علينا أن نتزود وقوداً. سأعود في نصف ساعة."

١،٤٠ بعد الظهر

تأكد تراسك وفريقه تماماً من موقع الطيار الناجي. ولكن، للوصول اليه، كان عليهم أن يعبروا طريقاً عريضة بأربعة مجازات تعج بالآليات العسكرية. راح تراسك يفتش عن ثغرة آنية بين الآليات العراقية، الى أن وجدها. حلق بسرعة ٢٦٠ كيلومتراً في الساعة على ارتفاع لا يتجاوز الامتار الثلاثة عن الاسفلت، فمرت المروحية في خط منحرف بين قافلتين وسط دهشة الجنود العراقيين.

ثم تلقى تراسك نداء من مراقب "يوكون" الذي نم صوته عن توتر شديد: "موكاسان ٠٥! تهديد جديد! أكرر. تهديد جديد!" في تلك اللحظات كان صاروخ «SA-8» يتعقب المروحية.

ثم ازداد صوت المراقب حدة وهو يعطي الاوامر: "عليكم الاتجاه شرقاً!"

استدار تراسك بمروحيته شرقاً ثم جنوباً، منتظراً عودة طائرتي الـ«A — 10». بعد لحظات مرت الطائرتان الخضراوان فوقه.

بعد انضمام الطائرتين الى المروحية، واصل الجميع عملية البحث عن "سلايت ٤٦."

١،٥٥ بعد الظهر

تكلم "سلايت ٤٦" عبر الجهاز عندما رأى المروحية: "أنتم على بعد كيلومترين الآن."

فرد هومان: "حسناً." كانت تلك المرة الاولى خلال المهمة كلها يسمع فريق المروحية صوت الطيار الناجي بوضوح.

لكن البهجة لم تدم طويلا، اذ صرخ المدفعي المتمركز عند الباب الايسر للطوافة: "شيء ما يتحرك الى الغرب." كانت تلك شاحنة مكسوة بالوحل ومغطاة بقماش مشمع. لا بد أنها وحدة مكلفة تحديد المواقع بواسطة الراديو.

نادى تراسك بذعر: "ساندي، أين الطيار الناجي؟"

أجاب جونسون: "الشاحنة تتجه نحوه مباشرة."

قال هومان: "دمر الشاحنة!"

فرد جونسون: "حسناً، سأفعل."

استدارت طائرتا الـ«A — 10» نحو الشاحنة وأطلقتا عليها وابلا من القذائف الخطاطة الحمر. انفجرت الآلية المعادية مخلفة لهباً برتقالياً.

عاد تراسك الى مساره متجهاً شمالا، ونادى: "ساندي، أين الطيار الناجي؟"

أجاب جونسون: "طِرْ نحو الدخان."
- نحو الدخان؟
"أجل. اتجه نحو الشاحنة المحترقة."

توجه تراسك نحو الآلية المشتعلة. ودهش عندما شاهد على أقل من ١٥٠ متراً رجلا في ثياب سلاح البحرية الخضر يخرج من حفرة. وقف الطيار هناك حاملا صندوق الطوارىء بيد وجهاز الراديو بالاخرى. كان هادئاً كمن ينتظر قطاراً.

حالما لامست عجلات المروحية الارض قفز اثنان من طاقم تراسك خارجاً. وبعد ثلاثين ثانية كان ديفون جونز داخل الطوافة. وفيما هم يخرجون من الوادي حدق تراسك الى الطيار الناجي، فالتقت نظراتهما. كان الرجل منهكا مغطى بالوحل، لكن وجهه كان يشع بتعبير امتنان لامحدود.

٢،٠٠ بعد الظهر.

اتصل مراقب "يوكون" بجونسون قائلا بصوت تملأه العاطفة: "هل نفهم انكم نجحتم؟"

أجاب جونسون: "نعم، حتى الآن. لكن أمامنا طريقاً طويلة علينا اجتيازها."

٣،١٥ بعد الظهر.

جلس الملازم ديفون جونز داخل المروحية والهواء اللافح عبر فتحتي الرشاشين يبرد وجهه المتوهج. كان منهكاً، ولكن نابضاً بالحيوية. انه لا يزال حياً وحراً. وسمع هومان يقول: "ساندي، هذه موكاسان ٠٥! إننا نعبر الحدود."

لقد اصبحوا خارج العراق.

أرسل النقيبان راندي غوف وبول جونسون في مهمات أخرى خلال "عملية عاصفة الصحراء." في السادس من فبراير (شباط) ١٩٩١ أصيبت طائرة جونسون مباشرة بصاروخ أحدث في جناحها الايمن فجوة كبيرة. وتمكن جونسون من التحليق بطائرته المصابة فوق الاراضي المعادية الى قاعدته في العربية السعودية.

أما الرائد مايك هومان فظل طوال الفترة المتبقية من الحرب آمراً لوحدة العمليات الخاصة بطوافات «Pave Low» في مقرها بمطار عرعر. كذلك واصل النقيب طوم تراسك عمليات الانقاذ.

وأسر الملازم لاري سلايد وأعيد من العراق في الرابع من مارس (آذار). وكشف أن جنوداً عراقيين في شاحنة صغيرة أسروه قرابة العاشرة والنصف صباح ٢١ يناير (كانون الثاني).

أما الملازم ديفون جونز فقد اشترك في ثلاثين عملية قتالية أخرى انطلاقاً من حاملة الطائرات الامريكية "ساراتوغا." وفي العاشر من مارس (آذار) كان الضابط المرافق للاري سلايد في الاحتفال الذي اقيم في قاعدة أندروز الجوية خارج واشنطن لمناسبة رجوع أسرى الحرب.

مالكوم ماكونيل ■

اذا كنتم ممن يستيقظون على رنين المنبه، فلستم تحظون بنوم كافٍ

اذا كان "النوم يَحْبك كُمَّ الاهتمام المنسول،" كما قال شكسبير، فان عدداً هائلا من الناس في البلدان الصناعية يتجولون اليوم بأكمام مهلهلة.

استناداً الى الدراسات الحديثة والاختبارات السريرية، يتوافق معظم الاختصاصيين بشؤون النوم على أن ثمة وباء من النعاس يبتلي الناس. يقول ديفيد دينجز وهو إختصاصي بعلم النفس البيولوجي: "لا يسعني أن أذكر دراسة واحدة لم تستنتج أن الناس يحظون بنوم أقل مما ينبغي."

وحتى أولئك الذين يظنون أنهم يحظون بنوم كافٍ سيكونون أفضل حالا اذا نعموا براحة أكثر.

تبين من اختبار أجري على مجموعة من الطلاب الجامعيين، أن ١٦ في المئة من الذين ينامون بمعدل سبع ساعات أو ثمان ليلا قد يغلبهم النعاس في خمس دقائق نهاراً اذا سمح لهم بالاستلقاء في غرفة مظلمة. يقول الباحثون ان هذا برهان على أن هؤلاء الطلاب محرومون النوم الكافي.

وتبين للباحثين أيضاً أن الطلاب الذين لم يستسلموا للنوم بسرعة تحت ظروف الاختبار يفيدون هم ايضاً من نوم اضافي. وعندما زادوا فترات نومهم ساعة أو ساعة ونصف ساعة تحسن أداؤهم في الاختبارات النفسانية.

يضيف ويلس ويب، وهو عالم نفساني وباحث في شؤون النوم، برهاناً آخر على أن الناس لا ينامون كفاية: الساعة المنبهة الى جانب السرير. يقول: "اذا كنت ممن يستيقظون بهذه الطريقة، فأنت تقصِّر نومك الطبيعي."

نوم مسروق. تعود بداية أزمة النوم المنقوص الى زمن اختراع المصباح الكهربائي قبل قرن. فقد استنتج علماء النوم، من مفكرات يومية ومدوَّنات شخصية أخرى تعود الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أن الشخص العادي كان ينام نحو تسع ساعات ونصف ساعة كل ليلة. ويقول الاختصاصي بشؤون النوم الدكتور هوارد روفوارغ: "كانت فضلى عادات النوم مفروضة علينا في الماضي عندما لم يكن لدينا ما نفعله مساء في المزرعة."

في الخمسينات والستينات انخفض برنامج النوم ذاك على نحو مفاجىء الى ما بين سبع ساعات ونصف ساعة وثماني ساعات. أما اليوم فإن المقتضيات

حقائِق جَديدَة عن النـوم

الاجتماعية والاقتصادية تقضم أجزاء أكثر من ساعات النوم. يقول روفوارغ: "يخدع الناس أنفسهم في ما يخص نومهم، وهم لا يدركون أنهم يفعلون ذلك. يعتقدون أن الامور تسير حسناً لأنهم ينامون ست ساعات ونصف ساعة في حين يحتاجون فعلا الى سبع ساعات أو ثمان أو أكثر لكي يشعروا بحيوية ونشاط."

يقول الباحثون إن سارق النوم الذي لا يرحم قد يكون تعقيدات النهار. فعندما تتكاثر الضغوط المتأتية من العمل والعائلة والاصدقاء والمجتمع، يعتبر كثيرون ان النوم هو البند الذي تسهل التضحية به أولا في جدول أعمالهم.

ولكن غالباً ما تنجم نتيجة عكسية عن جهودنا الرامية الى ادخال مزيد من الاعمال على نهاراتنا وليالينا. يقول الخبراء ان الشخص الذي يحظى بنوم كاف خلال الليل يلقى تعويضاً سخياً هو درجة عالية من الانتاجية والابداع والتركيز.

لص آخر يسرق النوم هو نظام المناوبة في العمل، حيث يعمل الناس مساء او ليلا أو بمقتضى برامج متعاقبة. يقول الباحثون ان الدماغ يجد صعوبة في تغيير أوقات النوم، مما يعني أن هؤلاء الموظفين يعانون عادة خسارة جوهرية في النوم.

وثمة عدد متزايد من الناس الذين يضطرون الى تكييف أوقات نومهم بحسب ما يقتضيه الاقتصاد الدولي. في العام ١٩٩٠ أقلع أكثر من مليون طائرة تجارية متوجهة الى أرجاء العالم، حاملة ركاباً حكم عليهم بالارهاق نتيجة تغيُّر المواقيت. وان لم يضطر رجال الاعمال الى السفر، فهم مضطرون الى متابعة ما يجري في الاسواق العالمية. يقول دينجز: "اذا كنت من رجال المال، فقد تكون بورصة نيويورك مقفلة ليلا بحسب توقيتك المحلي، ولكن إن لم تتابع بورصات طوكيو ولندن فقد تكون معرضاً للخسارة في الصباح." كذلك، على الوسطاء في طوكيو ولندن وباريس أن يتابعوا أسواق نيويورك.

محرومون. لتحديد عواقب نقص النوم، عمد الباحثون الى اخضاع أشخاص لمجموعة اختبارات نفسانية وسلوكية. فطلب منهم، مثلا، جمع قائمة من الاعداد أو تذكر مقطع تلي عليهم قبل دقائق. يقول الدكتور تشارلز تشيزلر الاختصاصي باضطرابات النوم: "تبين لنا أن كفاية المرء تتدنى اذا كان محروماً النوم الكافي. كما تتأذى الذاكرة على المدى القصير، كذلك القدرة على التركيز وأخذ القرار."

والناس الناعسون معرضون أكثر من غيرهم لارتكاب أخطاء في أعمالهم، بسبب تأثر سرعة ردود فعلهم وقدرتهم على التركيز طويلا. فكثير من الحوادث والكوارث الصناعية، بما فيها كارثتا "ثري مايل آيلاند" و"تشيرنوبيل" النوويتان يحدث في ساعة متقدمة من

CONDENSED FROM NEW YORK TIMES (MAY 15, '90), © 1990 BY THE NEW YORK TIMES CO., NEW YORK, N.Y.

الليل أو في ساعات الصباح الاولى، حين تبين للباحثين أن الموظفين الذين يراقبون الاجهزة لا يكونون متيقظين تماماً. وكشفت احدى الدراسات الحكومية الامريكية أن ما يراوح بين واحد وعشرة في المئة من حوادث السير يتعلق بالنوم، وأن نحو عشرين في المئة من السائقين يغفون خلف المقود مرة على الأقل في حياتهم. كذلك كشفت دراسات حديثة أن المحرومين النوم الكافي يتأثرون بكمية ضئيلة من الكحول.

إن نقص النوم لليلة واحدة قد يضعف فاعلية المرء العقلية. وأسوأ من ذلك أن تأثيرات هذا النقص تراكمية، فالشخص الذي ينام ساعة ونصف ساعة أقل مما ينبغي كل ليلة، وعلى نحو متواصل، يشعر بوطأة هذا النقص في آخر ايام العمل الاسبوعية أكثر مما في بداية الاسبوع. يقول دينجز: "بحلول الليلة الخامسة، يكون خسر سبع ساعات ونصف ساعة، أي ما يعادل نوم ليلة كاملة."

هل تنام؟ النوم في عطل نهاية الاسبوع قد يعوض الجسم ما افتقده. ولكن في الحالات المزمنة قد نحتاج الى أسابيع من الاستلحاق لكي نبطل تأثيرات نقص النوم.

قد يحاول الدماغ المحروم نوماً أن يقتنص فرصة بسيطة من خلال "غفلة" تدوم بضع ثوان ولا يلاحظها الشخص نفسه. في كثير من البلدان الاستوائية يأخذ الناس قيلولة في فترة بعد الظهر.

ويقول الباحثون ان الدماغ ينزع الى الاغفاء بسهولة أكبر في فترة بعد الظهر. لكنهم يضيفون أن معظم الذين يحظون بنوم كاف لا يحتاجون الى قيلولة.

هل تحظى بنوم كاف؟

حاجات النوم تتفاوت، ولا مقياس لها مطلقاً، لكن معظم الناس يحتاجون الى ما يراوح بين سبع ساعات وتسع في الليلة. وللتوصل الى برنامج نوم مثالي، يقترح الخبراء أن يتتبع الشخص ساعات نومه على مدى عشرة أيام. فاذا كنت تشعر بانتعاش وحيوية كل صباح وتستطيع التركيز طوال النهار، فان متوسط عدد الساعات التي تنامها في الليلة قريب من المعدل الامثل.

اما اذا كنت تحتاج الى ساعة منبهة، أو تشعر بالنعاس أثناء قيامك بمهمة رتيبة أو تتطلب الجلوس أو لا تتطلب جهداً، كقيادة سيارة أو حضور مؤتمر، فحاول النوم بين ٣٠ و٩٠ دقيقة اضافية. واذا تعذر عليك ذلك خلال أيام العمل واحتجت الى تعويض في نهاية الاسبوع، فينصحك الخبراء بالنوم باكراً أكثر مما ينصحونك بالنهوض متأخراً. واذا تعذر ذلك فانهم ينصحونك بأخذ قيلولة ساعة أو أقل بعد ظهر أيام العطلة.

ولكن حتى الخبراء يجدون صعوبة في تطبيق نصائحهم.

يقول أحدهم معترفاً: "لا أحظى بأكثر من ست ساعات ونصف ساعة من النوم، فمشاغلي الكثيرة تحرمني النوم الكافي."

ناتالي انجير ■

كيف يفكّر الشباب الرّوسي

لو أعطي الشباب الروسي حق الاختيار لشهد الاتحاد السوفييتي تحولات تاريخية

كشف أول استقصاء غربي شامل لآراء شباب الاتحاد السوفييتي، رعته الـ"ريدرز دايجست" ونفذه ميدانياً معهد علم الاجتماع في الاكاديمية السوفييتية للعلوم، خيبة أمل عميقة بالاشتراكيـة وبزعمـاء البلاد. أثبت الاستقصاء الذي شمل ١٠٥٠ روسياً بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين من العمر، الحقائق الآتية:

□ أن الشباب الروسي يؤمن، بغالبية بارزة، أن ٧٠ عاماً من الشيوعية كانت سيئة للاتحاد السوفييتي. وهم يحبذون الملكية الخاصة للارض، وحرية غير محدودة للصحافة، وتملُّك الافراد حتى للصناعة.

□ أنهم يعبِّرون عن انعدام ثقة بالرئيس السوفييتي ميخائيل غورباتشيف، وقد اختاره ٦ في المئة فقط من الذين شاركوا في الاستقصاء على أنه الشخصية السياسية الاكثر اثارة للاعجاب. ويفضل ٣٩ في المئة خصمه الرئيسي بوريس يلتسين رئيس جمهورية روسيا.

□ عبّرت غالبية عظمى من المشاركين عن نظرة ايجابية تجاه الولايات المتحدة وعن رغبة في ان تصبح روسيا المستقلة جزءاً أكثر تكاملا مع بقية أوروبا.

ان خيبـة الامـل بـالشيـوعيـة وبالمؤسسات السوفييتية تؤثر في كل الطبقات الاجتماعية والمهنية في الاتحاد السوفييتي. لكن أكثر ما يلفت النظر في نتائج الاستقصاء هو درجة افتراق القيادة السوفييتية عن الشباب الذين يعارضون الاشتراكية ويتوقون الى مجتمع أكثر تحرراً.

غطى الاستقصاء ست مناطق في جمهورية روسيا التي تمثل غالبية سكان البلاد وأكثر من ثلاثة أرباع مساحة الاتحاد السوفييتي المتعدد القوميات. واختير المشاركون شباباً من كل الفئات الاجتماعية والمهنية الرئيسية. اما معهد علم الاجتماع التابع للدولة والذي نفذ العملية، فهو مختص بتقويم المشاكل والاتجاهات الاجتماعية في البلاد. وقد استعانت به مؤسسات غربية لاستقصاء الرأي مثل منظمة "غالوب."

بعد اجراء الاستقصاء قابلتُ ٣٠ مشتركاً، كلا على حدة، في موسكو وتيومان (سيبيريا) وأوفا (قرب جبال الاورال). أما المناطق الثلاث الاخرى التي شملها الاستقصاء، وهي كراسنويارسك في سيبيريا ونيزهناي نوفغورود والريف المحيط بموسكو، فكانت لا تزال محظورة على الصحافيين الغربيين.

المشكلة الحقيقية

رداً على السؤال: "هل كانت سبعون سنة من الاشتراكية جيدة أم سيئة للاتحاد السوفييتي؟" جاء الجواب المذهل لـ٧٤ في المئة نفياً. وعن السؤال: "هل للاشتراكية مستقبل في الاتحاد السوفييتي؟" أجاب نحو ٥٠ في المئة بلا، في مقابل ٢٢ في المئة فقط أجابوا بنعم.

تروي مارينا بارانوفا، وهي أمينة مكتبة في الثانية والعشرين من عمرها مفعمة بالحيوية، قصة حصولها على علامة جيدة عن رسالة كتبتها في أحد معاهد تشيليابنسك، وهي مدينة قريبة من جبال الاورال. فهي استخدمت مواد من مراجع "مقبولة" وبيَّنت أن ليون تروتسكي - أحد أوائل الثوريين الذي اغتاله ستالين - كان "عدواً للشعب"، ولكن بعد فترة وجيزة أعيد اليه بعض الاعتبار ونشرت كتاباته في الاتحاد السوفييتي.

تقول مارينا: "أدركت أننا ربينا على عرض مزور للتاريخ. عندما كنت فتاة صغيرة كان لينين يعتبر في مرتبة الابرار. ثم خلصت الى التفكير في أن الثورة حسنة لكن مجرمين سيطروا على مقدراتها. انني أرى الآن أن الثورة نفسها هي المشكلة."

أي نظام؟

يبدو الشباب الروسي تواقاً الى بناء مجتمع جديد في الاتحاد السوفييتي.

رداً على السؤال: "هل يجدر السماح بملكية خاصة للارض؟" أجاب نحو ٨٥ في المئة بنعم. ولم يتجاوز المعارضون ١٠ في المئة، ولم يدلِ ٥ في المئة برأي في الموضوع. والتأييد غالب عندما يتعلق السؤال بملكية المؤسسات الصناعية والتجارية، اذ أجاب ٧٠ في المئة بنعم، وعارض ١٩ في المئة، ولم يقرر ١١ في المئة رأيهم.

يؤمن سيرغي ماركين، وهو شاب في الحادية والعشرين من عمره يعمل حمالا

في مخزن بقالة حكومي في موسكو، بأن الرأسمالية تؤدي الى تخفيف النقص في المواد وتضع حداً للمحاباة التي تقرر الآن "من يحصل على ماذا."

يتذكر سيرغي بدء اختفاء اللحوم والاسماك من المحال التجارية في يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠. لاحظ عندئذ انه، بينما كان المئات ينتظرون دورهم لشراء البضائع "النادرة" في أحد المخازن، ظهرت مجموعة من أصحاب الامتيازات في مؤخر المخزن واشترت كل ما تريده من المواد الغذائية على اساس العلاقة الشخصية وتبادل المنافع. يؤكد سيرغي أن ٣٠ في المئة من مجموع البضائع المسلَّمة يباع "تحت الطاولة" خلال يوم نموذجي. ويضيف: "في ظل نظام رأسمالي، يعمل المنتجون لمصلحة المستهلكين. فالتنافس قائم، والمزارعون يعرفون ماذا تطلب السوق وماذا يزرعون."

لكن حماسة المشاركين لنظام اقتصادي يعتمد مبدأ العرض والطلب، لها حدودها. فقد أجاب ٥٤ في المئة أن الدولة يجب ان تكون مسؤولة عن تأمين وظائف للناس وضمان استمرارها، فيما رد ٣٢ في المئة بأن الفرد نفسه يجب أن يتحمل جل المسؤولية، ولم يقرر ١٤ في المئة رأيهم.

مسؤولية القيادة

يحمّل الشباب الروسي القيادة السياسية الحالية مسؤولية خيبات النظام الشيوعي والعجز عن قطع الروابط مع الماضي - أو عدم الرغبة في هذا القطع.

"هل يساعد غورباتشيف مسيرة التغيير السياسي في البلد أو يعرقلها؟" المذهل أن يعتبر ٥١ في المئة من الشباب أنه عقبة، فيما يبدو ٢٠ في المئة غير متأكدين. وتجدر الاشارة الى أن الاستقصاء أجري خلال فترة أسبوعين أواخر العام الماضي قبل استقالة وزير الخارجية السيد ادوارد شيفردنادزه الذي كان يُنسب الى القوى التغييرية.

تفحص المشاركون قائمة تضم عشر شخصيات سياسية سوفييتية، فسمّى ٦ في المئة منهم غورباتشيف على أنه الزعيم المفضل لديهم، بالمقارنة مع ٣٩ في المئة سمّوا بوريس يلتسين. البارز أن ٨ في المئة أعلنوا أنهم لا يرغبون في أحد ممن على المسرح السياسي الحالي، ولم يجب ٣٩ في المئة عن السؤال، مما يشير الى خيبة أمل شعبية بالزعماء السياسيين.

يجسّد سيرغي تيمونيف هذا التحرر من الوهم، وهو شرطي في موسكو في الرابعة والعشرين من العمر. يقول ان غورباتشيف، في البداية، أيقظ في الناس أملا كبيراً بالمستقبل، "لكن هذا الامل يخبو يوماً بعد يوم."

لقد ارتفع معدل الجريمة كثيراً في موسكو منذ انضم سيرغي الى شرطة المدينة في العام ١٩٨٦.

وأمَرُّ الاحداث بالنسبة اليه ما حصل في سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠ عندما رأى شابة ترمى خارج مطعم مشهور. ادعت

الشابة أنها تعرضت لمعاملة خشنة، فدخل تيمونيف معها الى المطعم للتحقيق في الامر، وسرعان ما أحاطت بالاثنين مجموعة غاضبة من الرجال أبرزوا بطاقات جهاز الامن السوفييتي وهددوا سيرغي بالطرد من عمله.

وهذا الجهاز هو المؤسسة السوفييتية الوحيدة التي لم تطاولها اصلاحات غورباتشيف السياسية كثيراً وبقيت محتفظة بسلطة هائلة.

انسحاب الجمهوريات

تؤمن غالبية الشباب الروسي بأن الاصلاحات في الداخل يجب أن تعطى أولوية على الالتزامات الخارجية. عندما سئلوا أن يختاروا من قائمة اهتمامات، أعلن ٥٢ في المئة أن أشد ما يقلقهم هو امكان الانهيار الاقتصادي، واعتبر ٣٨ في المئة الصراع من أجل الحقوق المدنية على رأس اهتماماتهم، فيما أبدى أقل من ٣ في المئة قلقاً حيال التهديدات الخارجية.

ورداً على سؤال عما اذا كان دور الاتحاد السوفييتي في العالم يستحق أولوية على الاصلاحات الداخلية، أجاب ١٦ في المئة فقط بنعم، فيما أجاب ٦٥ في المئة بلا، ولم يعلن ١٩ في المئة رأيهم.

يبقى المدهش انعدام دعم الشباب الروسي لسياسة فرض الامر الواقع، سياسياً وعسكرياً، على الجمهوريات غير الروسية في الاتحاد السوفييتي.

"هل يجدر السماح للجمهوريات السوفييتية بالانسحاب من الاتحاد اذا رغبت في ذلك؟"

أجاب ٧٠ في المئة من الشباب بنعم، وعارض ١٩ في المئة، ولم يبدِ ١١ في المئة رأيهم.

تقول سفيتلانا فيوكتستوفا، وهي طالبة في التاسعة عشرة من عمرها تدرس الصحافة في جامعة موسكو: "انهم يتوقون الى الهرب من بابا وماما. وهم لا يعون أن بابا وماما يؤمنان لهم القوت. أعتقد أن على روسيا أن تنسحب من كل هذه الجمهوريات."

ومع أن مشاعر كهذه ظهرت في بعض الاوساط الشعبية من قبل، فانها تبقى بالنسبة الى كثير من القادة السوفييت نوعاً من الهرطقة، كما أثبتت قرارات الكرملين في يناير (كانون الثاني) القاضية باستخدام القوة ضد المتظاهرين في جمهوريات البلطيق. لكن مواقف الشباب الذين شملهم الاستقصاء تثير شكوكاً في قدرة أي قيادة على ابقاء الاتحاد السوفييتي متماسكاً في المدى البعيد.

عودة الى الايمان

أعلن ٣٥ في المئة من الشباب الروسي الذين شملهم الاستقصاء أنهم يؤمنون بالله، وأعلنت مجموعة أكبر قليلا - ٤٠ في المئة - أنها غير مؤمنة، فيما أجاب ٢٥ في المئة بعبارة "لا أدري". ان نسبة المؤمنين لها مدلولها اذا أخذنا

في الاعتبار ٧٠ عاماً من الالحاد الرسمي المفروض، وجهاز اكليروس ظل الى وقت قريب يتلقى أوامره من الدولة. المؤمنون بين الطلاب أكثر من الملحدين، كذلك في صفوف الموظفين ذوي الرواتب الثابتة. أما العاملون في المصانع والمزارع الجماعية فينزعون أكثر نحو الالحاد.

تعترف ييلينا ريشكوفا، وهي ممرضة في التاسعة عشرة من عمرها تعمل في موسكو، بأنها تؤمن بالله. وتنتقد الاطباء حولها وتستنكر اللامبالاة التقليدية التي يواجهها المرضى في مستشفى روسي متوسط. تقول انها كانت تسعى الى طريق مختلفة تعطي حياتها معنى، عندما التقت الاب فاسيلي فيدوسفيتش كاهن قرية صغيرة قرب حدود استونيا. دعاها الاب فاسيلي الى زيارة كنيسته، وسرعان ما وجدت نفسها تقوم، كل بضعة أشهر، بالرحلة التي تستغرق يوماً كاملاً. كانت الصلوات طويلة تمتد نحو ثماني ساعات في المناسبات الخاصة، لكن ييلينا تأثرت بجمال التراتيل. وهي الآن لا تفهم كيف استمرت حياتها خالية من الايمان.

اطلاق الحريات

يعلن الشباب الروسي التزامه "حرية غير محدودة" للصحافة، الا أنه أقل حماسة لبسط هذه الحرية بحيث تشمل السياسة والسياسيين. ٥٨ في المئة منهم يحبذون صحافة حرة، لكن ٣١ في المئة فقط يوافقون على حرية غير محدودة للنشاطات السياسية. الغالبية، ٥٥ في المئة، ترغب في وضع بعض القيود على ما يمكن عمله ضمن الاطار السياسي. ولم يقرر ١٤ في المئة رأيهم. وقد عبر كثيرون عن عدم ثقتهم بالسياسة عموماً.

وثمة بقية من مؤمنين بالشيوعية بين الشباب الروسي. يشتكي أزاموت يانغالين، وهو مسؤول في "رابطة الشبيبة الشيوعية" في أوفا، من أن "الامر الخطر في هذه البلاد هو انتقالنا دائماً من تطرّف الى آخر. يقول الناس هذه الايام ان من الضروري ازالة كل الشيوعيين، انهم كمن يرمي طفلا مع الماء الذي غُسل فيه."

لكن آخرين يطالبون بضمانات دستورية للحرية الاقتصادية. يؤكد المتعهِّد بوريس ميكريوكوف، وهو شاب مربوع في الخامسة والعشرين من عمره أنشأ تجارة مجوهرات مزدهرة في أوفا: "المشكلة هي أن القوانين قد تتغير في أي لحظة، ومن الممكن أن تصادر الدولة كل استثماراتي."

رداً على سؤال عما اذا كان الشباب مستعدين للاحتجاج علناً على سياسات حكومية لا تعجبهم، أجاب ٣٧ في المئة بنعم و٢٤ في المئة بلا، فيما أعلنت مجموعة كبيرة - ٣٩ في المئة - أنها غير متأكدة من رأيها. قد تكون هذه دلالة على أن قوى الامن لا تزال عاملا يؤخذ في الاعتبار.

الروس وأمريكا

أظهرت الغالبية العظمى ممن شملهم

الاستقصاء مشاعر ود نحو الولايات المتحدة. فقد أعلن ٨٦ في المئة أن نظرتهم الى أمريكا ايجابية. وأعرب ٣ في المئة فقط عن وجهة نظر سلبية. وأعلن ١١ في المئة حيادهم. والى ذلك، رأى ٧٢ في المئة أن على جمهورية روسيا، اذا نالت استقلالها، أن تسعى الى الانضمام الى المجموعة الاوروبية.

تمثل نظرة سيرغي أوسينتسيف الايجابية نحو الولايات المتحدة تغيّراً في المواقف، وهو ممثل في الحادية والعشرين من عمره في تيومان، مدينة النفط في سيبيريا. كان سيرغي يتخيل الولايات المتحدة أرض كوابيس يصول فيها القتلة ويعمها الاستغلال الاقتصادي، الى ان بدأ التلفاز السوفييتي يعرض أفلاماً واقعية عن الحياة في الولايات المتحدة.

يقول سيرغي: "لا تخلو أمريكا من مشاكلها الخاصة، لكنها تستطيع تعليمنا كيف نرفع مستوى معيشتنا."

لقد رأى الشباب الروسي رموزه القومية تتحطم، وكتبه المدرسية تعدَّل، وبلاده تمزقها الاضرابات والشغب والحركات القومية. لكن المواطن السوفييتي عرف، للمرة الاولى، حقيقة الديموقراطية والمستوى المعيشي في الغرب وواقع الفقر في الاتحاد السوفييتي. فكانت النتيجة أن انهار الايمان بالايديولوجية الاشتراكية بسرعة مذهلة.

في تعليق لجايمس بيلينغتون أمين مكتبة الكونغرس، وهو مرجع في سياسات الاتحاد السوفييتي وحضارته: "يظهر الاستقصاء أن الجيل الشاب أصبح رأس الحربة في البحث عن مستقبل جديد."

بعد سنوات من الزام الشباب الروسي ما يفكرون فيه، بدأوا يفكرون بأنفسهم. وهم يريدون، وبلادهم تدخل واحدة من أحرج مراحل تاريخها، أن يسترشدوا بالحقائق لا بالايديولوجية.

ديفيد ساتر ■

عسل فنلندا

طلب معلم الجغرافيا من صفنا التفتيش عن روابط بين الجغرافيا والانسان. قال موضحاً: "تصوروا أنفسكم وكلاء سياحة. فهل تنصحون عريسين بقضاء شهر العسل في فنلندا خلال شهر يونيو (حزيران)؟"

وكان لي نسيب في فنلندا، فكنت أعلم أن الطقس هناك قارس البرودة في يونيو، وأن تلك البلاد ليست موئلا للعشاق. لكن أحد رفقائي الطلاب جاء برابط أفضل، فبعدما اعتبر خط العرض الذي يمر في فنلندا، انبرى معللا رفضه فكرة شهر العسل: "لا، لا ليالي هناك."

ر.م.

WENZEL FISCHER / FPG

TRAVELPIX / FPG

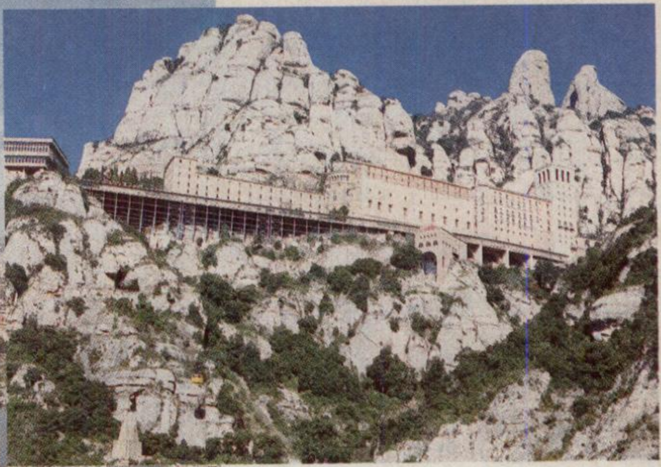

كاتالونيا الاسبانية الجميلة

سألني صديق من مدريد اذ علم أنني متوجه الى كاتالونيا (قطالونيه): "هل لديك تأشيرة دخول؟" كان سؤاله، مع ما فيه من مزاح، يحمل شيئاً من الجدية، ذلك لأن كاتالونيا تبدو لكثيرين من الاسبان بلداً أجنبياً على نحو ما، علماً أنها لم تصبح رسمياً جزءاً من أسبانيا سوى عام ١٧١٤. ويتكلم سكان هذه المقاطعة، الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية لاسبانيا، لغة خاصة بهم. ينامون باكراً ويعملون بكد ومثابرة يبزان بهما سائر مواطنيهم. ولا يهتمون كثيراً بالمنوعات الاسبانية التقليدية مثل رقص الفلامنكو ومصارعة الثيران وقيلولة الظهيرة.

لكن سكان كاتالونيا يبتهجون لكونهم

متميزين عن "أولئك السنيوريتوس" (الأسياد) - كما وصفهم سائق سيارة أجرة في برشلونة - "الذين ينامون طوال فترة بعد الظهر ويصرفون ليلهم بين الاقداح." وهم يتطلعون صوب الخارج، شرقاً نحو ايطاليا وشمالا نحو فرنسا. وقد أقر الشاعر الكاتالوني الرحّالة ج.ف. فوا مرة بأنه لم يزر مدريد قط (وهي تبعد ساعة بالطائرة) في حين انه زار لندن وباريس مراراً. وأضاف: "حتى صيادو السمك في قريتي كثيراً ما يزورون باريس."

اقتصاد مزدهر. تقع كاتالونيا (مساحتها ٣٢ ألف كيلومتر مربع) بين جبال البيرينيه الوعرة والبحر الابيض المتوسط. وتمتاز طبيعتها بتنوع وجمال فائقين. وفي وادي آران الذي تحوطه قمم شاهقة مكللة بالثلوج ترتفع ٣٠٠٠ متر، يتكلم القرويون المعزولون لهجة من لغة الغاسكون التي ترقى الى ألف سنة، بينما تعرض متاجر برشلونة أحدث الازياء الباريسية الى جانب مبتكرات مصممي الملابس الكاتالونيين الرائدين. وعام ١٩٨٩ اجتذبت شواطىء كاتالونيا

المستسلمة للشمس على امتداد ٥٠٠ كيلومتر على البحر الابيض المتوسط، أكثر من ١١ مليون سائح، ما يجعلها في مصاف المنتجعات السياحية الرئيسية في أوروبا.

صباح أحد أيام خريف ١٩٩٠ جلست على شرفة فندق في قرية بورتليغات الواقعة في أقصى شرق اسبانيا، أراقب الشمس الطالعة تغمر الخليج الهلاليّ المنبسط تحتنا. وأسرَّت إليّ احدى النادلات: "كان هذا أحد أوقات النهار المفضلة للدون سالفادور، اليس كذلك؟" فأشارت الى منزل قريب على الواجهة البحرية انتصبت في حديقته منحوتة في شكل بيضة عاش فيها الفنان الاسباني الشهير سالفادور دالي طوال سنوات.

ويحتل دالي، العبقري الطليعي المتمرد، رأس قائمة مشاهير كاتالونيا في القرن العشرين. أخبرني خوان كارلوس كانو دييز دي لوس ريوس، وهو اختصاصي بالكمبيوتر من مواليد برشلونة: "نحنُ ننتج فنانين لا رجال دولة." وتذكرتُ منهم الرسامين خوان ميرو وأنطوني تابيس والنحات خبير كوربيرو والمهندسين المعماريين أنطوني غودي وريكاردو بوفيل وعازف الفيولونسيل (الكمان الكبيرة) بابلو كازالس ومغنيي الاوبرا خوسيه كاريراس ومونتسيرات كابايه. وتضم القائمة أيضاً خوان أنطونيو سمارانش، الديبلوماسي السابق والرئيس الحالي للجنة الاولمبية الدولية.

وفي كاتالونيا أيضاً رجال أعمال كبار يميزهم التعاضد والذكاء... والبخل. ويُعرف عن الكاتالونيين أنهم "اسكوتلنديو اسبانيا." ويشرح كانو دييز دي لوس ريوس هذا الامر: "انهم يعملون فكرهم كثيراً قبل انفاق المال." وهم يفاخرون بحصافتهم وهدوئهم. أسرَّ اليّ راميرو غيمينيز أحد أصحاب معامل مستحضرات التجميل في برشلونة: "يقول الناس اننا باردون ويعوزنا المرح وروح الدعابة. صحيح أننا لسنا متهالكين على مباهج الحياة، ولكن ضروري أن يُعرف أيضاً أننا نحب العمل."

وفيما بقية أوروبا منشغلة بمواجهة الركود الاقتصادي، يواصل اقتصاد كاتالونيا ازدهاره السريع. وهو سجل في السنوات الخمس التي تلت دخول اسبانيا عضوية المجموعة الاوروبية عام ١٩٨٦، نمواً بلغت نسبته ٢٥ في المئة يقابله ١٦ في المئة لالمانيا الغربية آنذاك. ومع ان كاتالونيا لا تمثل سوى ستة في المئة من برّ اسبانيا، فقد بلغ انتاجها عام ١٩٨٩ زهاء ٢٠ في المئة من الناتج القومي الاجمالي.

حصة الاسد. يعزى الفضل في تحقيق هذا السجل الرائع الى خوردي بوخول رئيس حكومة كاتالونيا ذات الحكم الذاتي.[1] ويتميز بوخول (٦١ عاماً)

(١) بعد وفاة فرنكو عام ١٩٧٥ قسمت اسبانيا تدريجاً ١٧ منطقة "ذات حكم ذاتي" تتمتع بسلطات متفاوتة. وكاتالونيا واحدة من اقوى هذه المناطق.

M. LEVICK / EXPLORER

شارع رامبلس، أشهر شوارع برشلونة، تحف بجانبيه أكشاك لبيع الزهور والطيور

بخطوة واثقة وقامة منتصبة. ويلقبه الاسبان "القاتل الصغير." وهو شديد المراس كما ينبىء مظهره. أمضى ثلاث سنوات في السجن لانه تجرأ وعزف في حضرة فرنكو، ديكتاتور اسبانيا السابق، لحناً كاتالونياً محظوراً. وكان السياسيَّ الاول الذي أكد دعمه للملك خوان كارلوس حين اقتحم حرس مدنيون متمردون مبنى البرلمان الاسباني في فبراير (شباط) ١٩٨١. وسيطر أئتلافه المحافظ "كونفرخنسيا إي أونيو"[٢] على زمام السياسة في كاتالونيا مدة تزيد على عشر سنين.

ويتكلم بوخول ست لغات بطلاقة، ويتجول في أنحاء العالم جاعلا من كاتالونيا جسراً بين أسبانيا وأوروبا وبين البحر الابيض المتوسط وأوروبا الوسطى. وهو يقول: "تشكل كاتالونيا مع شمال ايطاليا وجنوب فرنسا منطقة ديناميكية تكاد تكون امكانات نموها غير محدودة."

يرجع شغف سكان كاتالونيا بالاعمال التجارية الى القرن الرابع عشر حين هيمن اتحاد كاتالوني – أراغوني على قسم كبير من البحر الابيض المتوسط وتعاطى تجارة الذهب في افريقيا الشمالية. وشمل هذا الاتحاد الربع الشرقي من اسبانيا حالياً وجزءاً من فرنسا والنصف الجنوبي من ايطاليا، فضلا عن جزر الباليار وسردينيا وصقلية. وكان مسرحاً لنجاحات تجارة كاتالونيا والمتمولين فيها.

واليوم يبني متعهدو المشاريع الكاتالونيون امبراطورية تجارية جديدة في حوض البحر الابيض المتوسط وخارجه. وللمثال، يرئس خوسيه ماريا دلمو شركة "خومبركا"، ومقرها قرب برشلونة، التي أضحت رائدة في عالم صناعة آلات النسيج المتطورة. ويملك إنريكي برنات، المنتج الرقم واحد في

(٢) Convergència i Unió

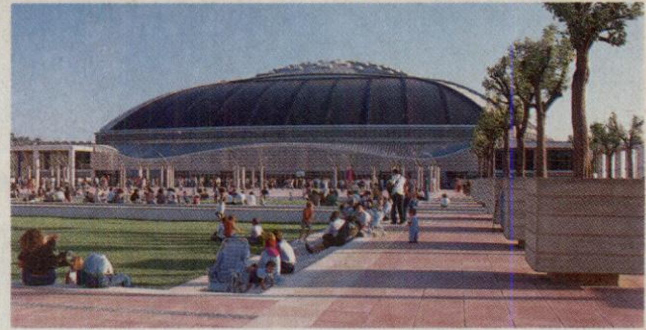

المدرَّج الاولمبي الذي عُدِّل لاستقبال دورة الالعاب الاولمبية سنة ١٩٩٢.

العالم لمصاصات السكاكر (سوسيت)، مصانع في اسبانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي والصين.

والى ذلك فان ٣٠ في المئة من التوظيفات الاجنبية في اسبانيا عام ١٩٩٠ كان من نصيب كاتالونيا - أي ما يزيد على خمسة مليارات دولار. وثمة أكثر من ٢٠٠ شركة عالمية، بينها "فولكسفاغن" و"طومسون" و"باير" و"يونيلفر" و"فيليبس" و"أنهاوزر - بوش" و"رالستن بورينا"، أقامت فروعاً لها في كاتالونيا. ويعتبر الفرنسيون، تقليدياً، أكبر المستثمرين الاجانب في المقاطعة. ويبدو جان - بول هيدالغو، مدير فرع الشركة المصرفية "سوسيتيه جنرال دو بانك" في كاتالونيا، واثقاً من أنه "لا بد أن ينشأ بعد السنة ١٩٩٢، حين تتوحد أوروبا في سوق مشتركة، توازن لمصلحة الجنوب يحد من نفوذ الشمال. وستضطلع كاتالونيا بدور رئيسي في هذه القوة المتوسطية."

وقد خصَّت اليابان كاتالونيا بتسعين في المئة من استثماراتها في اسبانيا. ووظفت "نيسان" الشركة العملاقة لصناعة السيارات ٥٠ مليار بيزيتا (نحو ٥٠٠ مليون دولار) لانشاء مصنع تجميع في المقاطعة. ويتوقع أن ينتج مصنع "سوني" الجديد ٦٠٠ ألف جهاز تلفاز بحلول السنة ١٩٩٢، نصفها للتصدير. ويعدِّد كينيشي شيومي المدير العام لفرع مصرف طوكيو في برشلونة، مميزات كاتالونيا: سهولة في المواصلات والنقل، ومناخ معتدل، وشبكة منظمة من مؤسسات الاستيراد والتوزيع، ويد عاملة من الطراز الاول "لا يتردد أفرادها في العمل ساعات اضافية لانجاز المهمة الموكولة اليهم. وهم يشاركون في النشاطات التي ترعاها الشركة مثل ولائم الشواء ومباريات الغولف. وتصبح الشركة جزءاً من مقومات مجتمعهم كما هي الحال في اليابان."

لغة حية. ينصح شيومي الصناعيين اليابانيين الذين يزورون كاتالونيا بالآتي:

"ألموا باللغة الكاتالونية، ففي المناسبات الاجتماعية يأنس اليها سكان كاتالونيا واذذاك فقط يكتسب الحديث أهمية." ويضيف خوان كارلوس كانو دييز دي لوس ريوس: "اللغة الكاتالونية هي المفتاح الذي يشرع كل الأبواب."

الحق أن في بقاء الكاتالونية، اللغة الرومنسية القديمة الغنية بالكلمات ذات المقاطع اللفظية المفردة والاحرف الصوتية المتناغمة، انتصاراً للارادة على القوة. لقد كانت كاتالونيا في الحرب الاسبانية المعقل الاخير للموالين الجمهوريين يسقط في أيدي قوات فرنكو "الوطنية" في الحرب الاهلية. ولم يتردد الجنراليسيمو[٣] في الانتقام. فأحرقت الكتب المخطوطة بالكاتالونية، وعُين رجال شرطة في المدارس للمراقبة والتأكد من عدم تعليم هذه اللغة. وأمر سكان كاتالونيا بتكلم الاسبانية في الاماكن العامة والا تعرضوا لدفع غرامات كبيرة أو للسجن.

لكن في العام ١٩٨٦ كشفت دراسة أجرتها الحكومة، مدى عودة هذه اللغة الى مكانتها، اذ تبين أن ٩٠ في المئة من السكان يفهمون الكاتالونية المحكية، ونحو الثلثين يتكلمونها. وتصدر في برشلونة حالياً صحيفتان يوميتان باللغة الكاتالونية. وتعلم هذه اللغة في نصف المدارس الابتدائية وتبثّ ثلاث من قنوات التلفزة السبع برامجها بالكاتالونية. يقول اللغوي فرانشيسك فالفردو من برشلونة: "ليس ثمة ما يفسر بقاء هذه اللغة حية، باستثناء عناد شعب كاتالونيا وعنفوانه."

يعيش أكثر من نصف سكان كاتالونيا البالغ عددهم ستة ملايين في منطقة برشلونة، كبرى مدن البحر الابيض المتوسط والتي تضم المرفأ الثاني فيه. وتتميز برشلونة بالنظافة والاناقة، وتعد احدى أقدم مدن اسبانيا. وتشاهد في برج المراقبة في بلاسا نوفا آثار مستوطنة رومانية ترقى الى القرن الخامس. ومن الكاتدرائية يتشعب حي باري غوتيك بممراته الضيقة والميازيب البارزة على هيئة حيوانات مكشرة. وتشاهد شعارات النبالة فوق المداخل الصغيرة. وقد رُصفت ازقتها بالحصى، واصطفت على جوانبها مطاعم ومحالّ لبيع التحف والمجوهرات.

وقد تجد في برشلونة أشياء عادية يتبين أنها أعمال فنية، مثل القدور المزخرفة في منطقة ايسامبل أو أعمدة مصابيح أنطوني غودي في بلاسا ريال. وقد توفي غودي اذ صدمته سيارة عام ١٩٢٦، ولكن لا تزال كنيسة ساغرادا فاميليا التي لم يكتمل بناؤها، مثار جدل لا ينتهي لما أضفاه عليها غودي من خياله الجامح. أما بارك غويل في أعلى التلة في اقليم غراسيا، فقد صُمم أصلا ليكون مدينة – حديقة تضم ٦٠ منزلا خاصاً، بني منها اثنان فقط. لكن غودي، بدل ذلك، جعل من هذه الواحة المدينية الخضراء الوادعة أرضاً خيالية قامت عليها أبنية مزج فيها الاسمنت بكسر من الآجر القديم والزجاج.

(٣) اي قائد الجيش.

قرية أولمبية. استعداداً لدورة الالعاب الاولمبية الخامسة والعشرين السنة المقبلة (١٩٩٢) هُدم حي الفقراء "بوبلا نو" الواقع على الواجهة البحرية، وحوِّل قرية أولمبية تضم أبنية سكنية ومرسى لليخوت وشواطىء رملية صفراء مظللة بأشجار النخيل. وثمة ثلاث سلالم متحركة وخط عربات معلقة (تلفريك) لنقل ٣٥ ألف شخص في الساعة الى المنشآت الاولمبية الرئيسية على كتف مونتخويك، وهي صغرى تلّتين تشرفان على المدينة. وأعيد بناء الملعب الاولمبي الذي يتسع لـ٦٥ الف مقعد، وكان شيد أصلاً للمعرض الدولي الذي أقيم عام ١٩٢٩، وتجاوزت كلفته سبعة مليارات بيزيتا (٧٠ مليون دولار). وفي خريف ١٩٩٠ افتتح المجمع الرياضي "بالو سانت خوردي" المعد لالعاب مختلفة داخل قاعة مقفلة. وأرضه الفسيحة التي يمكنها احتواء مجمع كامل من مبان ترتفع عشر طبقات، مكشوفة لكل من مقاعده السبعة عشر الفاً.

ويسود النشاط المدينة استعداداً للالعاب الاولمبية المقبلة. ولدى وصولي شاهدت الواجهات الانيقة المبنية على طراز "الفن الجديد"[٤] في شارع باسّايغ دي غراتسيا، الذي يوازي الجادة الخامسة في نيويورك، مغطاة بالسقالات والستائر كأنها نجوم سينمائية هرمة تنتظر دورها للتبرج. وثمة ٢٧٠٠ شارع يجرى تجديدها مما أشاع فوضى سير في المدينة التي يجوبها نحو مليون سيارة.

وقد بلغت الأمور حداً من الفوضى والارباك حمل محافظ برشلونة باسكال مارغال على اصدار بيان يرجو المواطنين "التحلي بالصبر والشجاعة وعدم الاستسلام للقنوط."

واذا كانت برشلونة قلب كاتالونيا، فان جبل مونتسيرات روحها. وهو يرتفع ١٢٣٥ متراً وتطل قمته على المدينة من وسط غابة صنوبر كأنها فك حوت ضخم. ويمكن الوصول الى الدير الجاثم تحت قمة الجبل بسلوك طريق جبلية متعرّجة أو بواسطة قطار (تراموای) هوائي. ويقصده الكاتالونيون للتنزه في حدائقه التي يلفها الضباب. وفي جوار الدير محال حجرية لبيع التذكارات والبطاقات البريدية، وسوبرماركت حديثة يباع فيها عسل مونتسيرات وشوكولاتة مونتسيرات وأربعة أنواع مختلفة من مشروبات مونتسيرات. وفي الجبل أيضاً أربعة مطاعم وعدد من المقاهي.

ان هؤلاء الكاتالونيين لاذكياء حقاً!

شارل بارميتيه ■

(٤) Art Nouveau

قال الممثل الكوميدي جوي أدامز: "لقد صارت أجرة التاكسي باهظة في مدينة نيويورك. ومن الارخص على المرء أن يهاجم ويُسرَق فيمكث منتظراً سيارة اسعاف."

م.ر.د.

الضحك خير دواء

حلوى مُرّة!

■ مرض اخي الصغير فعجزت أمي عن اقناعه بتناول حبة الدواء المرة. فعمدت الى اخفائها في قطعة حلوى ناولته اياها. وسألته بعد حين عما اذا كان أكل الحلوى، فأجاب: "نعم، لكني رميت البزرة."

س.ل.

عجوز

■ أوقف والدي سيارته أمام حديقة واشعل آخر سيجارة لديه ثم رمى العلبة الفارغة في الحديقة. واذا بامرأة عجوز تلتقطها وتسأله: "هل تريد هذه العلبة؟"

فأجاب: "كلا."

فهتفت العجوز: "ولا نحن نريدها." ورمتها داخل السيارة.

س.ل.

طريقة لوقف التدخين

■ راح أحد ركاب الطائرة ينظر الى ساعته من حين الى آخر ثم يضع اصابعه في منفضة السجائر ويفتلها. فسأله راكب في المقعد المجاور عما يفعله، فأجاب: "اني أحاول التوقف عن التدخين. فكلما شعرت برغبة ملحّة في سيجارة تظاهرت باني أطفىء واحدة."

- وهل تفيدك هذه الطريقة؟

"بكل تأكيد. فقد كنت أطفىء علبتي سجائر يومياً في الأسبوع الماضي، والآن تدنى العدد الى علبة واحدة."

م.ك.

ضحكة صديقة

■ سأل احدهم صاحبه: "لماذا توقفت عن زيارة صديقتك؟"

- لم أعد اتحمل ضحكتها السخيفة.

" حقاً؟ لم ألاحظ ذلك فيها أبداً."

- انت لم تكن حاضراً عندما طلبت يدها.

ج.س.

سلّف صديقك... تفقده

■ قال رجل لزميله: "أتعتقد أن لديك مشاكل؟ ماذا أقول أنا؟ لقد اقرضت شخصاً اربعة آلاف دولار لكي يجري جراحة تجميلية، والآن لم أعد أعرف شكل وجهه."

ج.ت.

ديبلوماسية طبيب

■ ذهب رجل الى عيادة طبيبه لاجراء معاينة سنوية. وبعد ظهور صور الأشعة ونتيجة تخطيط القلب قال له الطبيب: "عندي لك أخبار طيبة وأخرى سيِّئة، فأيها تود أن تسمع أولاً؟"

- الأخبار الطيبة.

"حسناً. لقد قُبل ابني طالباً في كلية الطب."

- والسيئة؟

"أنت من سيدفع أقساطه."

أ.ش.

لاتسلّموا مفاتيح سيّاراتكم إلى مراهقين

يموت الالوف من الفتية في حوادث اصطدام. فكيف نجعل من أبنائنا سائقين راشدين؟

كانت الشاحنة الصغيرة ذات اللونين الاحمر والابيض ترتجّ على طريق حصباء في شمال وسط ولاية واشنطن، منتصف ليل سبت في صيف ١٩٩٠. وكان في السيارة شابان وفتاتان تخرجوا حديثاً في مدرسة توناسكت الثانوية، وقد أمضوا بضع ساعات يطوفون ويتبادلون الاحاديث المرحة. وعند منعطف حاد انحرفت الشاحنة عن الطريق وتدهورت على منحدر صخري حاد واصطدمت بشجرة صنوبر. قذف الركاب الاربعة خارجاً، ولم يكن أي منهم يضع حزام

ERNEST COPPOLINO

أمان. أصيب السائق جو ماك دانيال بجروح طفيفة في وجهه وذراعيه. وعانى جوش ويلر رضوضاً، لكنه تمكن من احتضان آمي بورديك بين ذراعيه الى أن وصل رجال الاسعاف، وهي توفيت في اليوم التالي. أما كاتي واتسون فقضت على الفور متأثرة بجروح بالغة.

تمثل اصابات حوادث السير الخطر الاكبر على حياة المراهقين في الولايات المتحدة. فقد قتل أكثر من ٧٤ ألف مراهق في حوادث كهذه خلال الثمانينات، وهو عدد يفوق عدد أترابهم الذين توفوا بكل أنواع الامراض مجتمعة. وفي المتوسط، تقضي حوادث الطرق، كل أسبوعين أو ثلاثة، على ما يعادل صفاً ثانوياً في مدرسة نموذجية. ويقدِّر "المجلس الوطني للسلامة" العبء المالي المترتب سنوياً نتيجة حوادث سير يتورط فيها مراهقون، بعشرة مليارات دولار على الاقل تختصر بتكاليف طبابة وضمان وتعويضات وما اليها.

لا يعني هذا أن كل الشباب سائقون سيئون. ولكن مع أن السائقين المراهقين يشكلون ٦ في المئة فقط من مجموع السائقين، فانهم يمثلون ١٤،٥ في المئة من أولئك المتورطين في حوادث سير و١٣ في المئة من المتورطين في حوادث سير مهلكة. وتشير تقديرات المجلس الوطني الى أن واحداً من كل ثلاثة سائقين دون السن العشرين تورط في حادث سير في العام ١٩٨٩، وهذا يتجاوز ضعفي المعدل القومي العام. وتورطت هذه الفئة أيضاً في حوادث قاتلة تبلغ ضعفي المعدل القومي العام.

هنا ثلاثة عوامل يعتقد خبراء السلامة ورجال الشرطة واختصاصيو التربية أنها تسبب غالبية حوادث السير التي يتورط فيها مراهقون، وما يمكن فعله لمواجهتها:

١. المخاطرة. تطلع المراهق بعينين متورمتين اختفى لونهما، الى الطبيب المنحني فوقه في وحدة الطوارىء في مستشفى داي كيمبول في بوتنام بولاية كونيتيكت. كانت الجروح النازفة تملأ وجهه، وقد شُرمت أذنه وتهشمت عظام فكه وخده.

طمأنه الدكتور ديفيد هوكبرغ الى أنه سيعيش، وإن داخلته رغبة في مخاطبته مقرعاً: "تباً لك، لماذا لم تضع حزام الامان؟ اني أشاهد كثيرين أمثالك معتدّين بأنفسهم واثقين بأن سوءاً لن يصيبهم. ولي معرفة شخصية بعدد من هؤلاء. لكنني أعجز حتى عن التعرف اليهم حين يحضرونهم الى هنا. ترى، هل ستتعظون أبداً؟"

يتذكر هوكبرغ واحدة من أقسى مناوباته الليلية: "كان عليّ أن أبلغ صديقاً حميماً أن ابنه قتل اذ انزلقت سيارته عن الطريق، وكان ممكناً أن ينجو لو هو استخدم حزام الامان. ضممت صديقي الي وأنا أراقب النور يخبو في عينيه، وتساءلت كم من أب وأم في غرف طوارىء كانوا في تلك اللحظة بالذات يثكلون فلذاتهم.

سمَّها مرجلية كما يفعل هوكبرغ، أو سعياً الى الاثارة، أو مخاطرة، أو عجزاً في تقدير العواقب، لا فرق، فكلها تندرج في سياق سلوك في الطرق مهلك كما انفجار اطار سيارة منطلقة بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة. وينزع السائقون الذين هم دون الحادية والعشرين، ولاسيما الذكور منهم، الى الاعتقاد أن احتمالات تعرضهم لحادث سير لا تتجاوز الواحد في المليون. وقد أظهرت دراسة شملت نحو ٤٧ ألف طالب ثانوي أن أكثر من ٤٠ في المئة ممن مضت على نيلهم اجازة سوق سنتان على الاقل، تعرضوا لحادث تصادم أو أكثر.

يتذكر هوكبرغ جنازة ابن صديقه: "كان زملاء الفتى في المدرسة حاضرين، يبكون، ثم انصرفوا في سياراتهم من غير أن يثبِّت واحد منهم حزام الامان."

ان تغيير طبائع الشباب ليس سهلا، لكن أحد المسؤولين في مدرسة ثانوية في ألبيكيرك بولاية نيو مكسيكو أتى بطريقة مبتكرة: ملصقات توضع على مؤخر السيارة طبع عليها: "اذا كنت أسوق باستهتار، اتصل بأهلي." وأفرد مكاناً على الملصق لرقم هاتف.

٢. انعدام الخبرة والنضج.

كانت سيارة الهوندا الرمادية، وقد انحشرت فيها خمس طالبات ثانويات، تنطلق متعرجة بين السيارات على طريق زلقة في احدى الضواحي وسط الضباب المتكاثف. ضغطت السائقة أندريا التي حصلت على اجازتها قبل أقل من أربعة أشهر، بوق السيارة تستعجل سائق الشفروليه الزرقاء الذي كان يقود سيارته أمامها ببطء. "هيا! تحرك يا رجل!"

وعلا صوت احداهن فوق صخب موسيقى الروك المنبعثة من الراديو: "أندريا! أسمعينا شيئاً أفضل."

تلمست أندريا جعبة أشرطة التسجيل وتناولت واحداً، ما كادت تدفعه داخل جهاز الستيريو حتى صرخت بها احدى رفيقاتها "انتبهي! ستصدمين ذلك الرجل!"

انزلقت سيارة أندريا وارتطمت بسيارة الشفروليه ثم دارت على نفسها لتستقر في الخط الآخر للطريق حيث صدمتها سيارة أخرى جانبياً. تصاعد البخار كثيفاً من مقدم الهوندا المهشم. وانقضت دقائق قبل أن تستطيع أندريا أن تأتي حركة لشدة ارتياعها. ثم خرجت من السيارة والدموع تنهمر على وجهها الممتقع، لتكتشف أن أحداً لم يصب بأذى بالغ. وهي أخبرت امها لاحقاً: "لن أقود سيارة بعد اليوم."

كان ممكناً ألا يقع الحادث لو كانت أندريا تسوق منذ أربع سنوات بدل أربعة أشهر. ويوضح فردريك موتولا أستاذ الصحة العامة في جامعة ولاية كونيتيكت الجنوبية أهمية الخبرة بالآتي: "يحسب المراهقون أن ردود فعلهم السريعة ستنقذهم في المواقف الدقيقة. صحيح أنهم يستطيعون، في حال طارئة، استخدام الكابح على نحو اسرع مما

يفعل السائق الاكبر سناً، لكن ميزة السائق الخبير تكمن في قدرته على تبين الخطر المحتمل مقبلا قبل حدوثه بثلاث ثوان أو أربع أو خمس. وهذا أفضل كثيراً من نصف الثانية الذي يكسبه المراهق بفضل رد فعله السريع."

ان عدم النضج يمثل مشكلة اخرى. فكلما كان السائق أصغر سناً كان أكثر عرضة لضغوط الاصدقاء ولميل المراهق فيه الى استخدام السيارات حباً بالظهور والتباهي بالحرية التي نالها اخيراً. واحدى الوسائل لجعل السائقين الجدد يكتسبون مزيداً من النضج هي رفع السن القانونية التي تخوِّل المرء الحصول على اجازة سوق. ولا تقل هذه السن عن ١٦ عاماً في معظم الولايات الامريكية، بينما تمنح ولايات قليلة الاجازة للذين أكملوا السن الرابعة عشرة.

وثمة وسيلة اخرى تتيح للسلطات تنمية حس السلامة لدى السائقين الشباب، هي "الاجازة الموقتة." وتوفر هذه الطريقة فترة تجربة يكتسب فيها السائقون الجدد معرفة ومهارة وخبرة في ظروف مدروسة تقلل امكان تعرضهم لحادث في أوضاع خطرة مثل القيادة ليلا.

كثيراً ما يعتمد برنامج ولاية ماريلاند نموذجاً، حيث يتعين على الذين بلغوا السادسة عشرة والسابعة عشرة ويرغبون في الحصول على اجازة سوق، اكمال دورة تدريب على القيادة واجتياز الاختبارين التقليديين الخطي والميداني. ثم يُعطى الطالب اجازة سوق لمدة سنة (أو حتى اكماله السن الثامنة عشرة). فاذا سُجِّل محضر ضبط في حق السائق الجديد لانتهاكه قوانين السير أو لتسببه في حادث اثناء تلك الفترة، أُجِّل اصدار اجازته سنة أخرى. وخلال الفترة التجريبية، تحظر القيادة بين منتصف الليل والخامسة صباحاً من دون وجود شخص بالغ في السيارة يحمل اجازة سوق أصيلة.

وتبدو مثل هذه الاجراءات فاعلة لأن اجازة السوق هي من الممتلكات الاكثر قيمة لدى الشباب. وعندما يدرك المراهقون أنهم قد يفقدونها او قد تفرض عليهم قيود صارمة، يصبحون أشد ميلا الى القيادة بانتباه.

٣. تعاطي الكحول. بدت الحياة زاهية في عيني براين رايف، فهذا الشاب الجامعي الانيق على وشك الانتقال الى "معهد فيرجينيا للتكنولوجيا" حيث اعتزم الانخراط في سلك تدريب الضباط الاحتياط وأمنيته أن يصير قائد طائرة مقاتلة في سلاح الجو.

ذات ليلة صيف، وكان أهله في سفرة، دعا براين أصدقاء له الى منزله حيث أتوا على ١٨ علبة جعة. وفي الاولى بعد منتصف الليل قرر براين التوجه الى الشاطىء مصطحباً صديقه الحميم طوم كيلداي.

قاد براين سيارته فيما نام طوم. وعلى مسافة ٥٥ كيلومتراً من المكان المقصود

أغفى براين هو أيضاً، فسقطت السيارة عن جسر وهي منطلقة بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة، واصطدمت بعمود كهرباء ثم انقلبت. تناثر الدم على الزجاج الامامي وغطى الزجاج المهشم داخل السيارة.

لم يصب طوم بجروح خطرة، ونقل براين على عجل الى المستشفى حيث عاده والداه تلك الليلة. وتتذكر جانيت رايف الحادث: "خيل الي أنني أنظر الى نسخة فرنكنشتاينية* عن ولدي." كان براين فاقداً الوعي، فكه مقفل بأسلاك ونصف رأسه حليق، وبرزت من ثقب في جمجمته أداة بيضاء تشبه قرن حَمَل لقياس ضغط الدم والسائل النخاعي - الشوكي داخل الجمجمة. عندما اصطدم رأس براين بالزجاج الامامي، ارتطم دماغه بالجدار الداخلي لجمجمته مما أدى الى قطع روابط حيوية خاصة بمركزي الحركة والحس.

أمضى براين خمسة أشهر في غيبوبة، وأكثر من سنة في المستشفى شارف فيها الموت. وهو يتنقل الآن مستعيناً بعكازين، لكنه لن يتمكن أبداً من أن يحيا حياة طبيعية... أو أن يقود طائرة حربية.

ان الكحول عامل مسبب في مقتل نحو نصف مجموع الشباب الذين هم بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة من العمر والذين يقضون في حوادث سير في الولايات المتحدة. ففي العام ١٩٨٩ وحده قضى ٢٧٧٦ مراهقاً ثملا في حوادث اصطدام، وأصيب نحو ١٠٠ ألف آخرين بجروح مختلفة.

وكان عدد الضحايا أكبر في الماضي، لكن الثمانينات شهدت وعياً أشمل لدى الرأي العام وغضباً وتحركاً فعلياً، ساهمت كلها في خفض عدد الحوادث المفجعة الناتجة من قيادة السائقين سياراتهم وهم تحت تأثير الكحول.

يقول جون ديفريز، وهو شرطي سابق في ماريلاند: "مللت سحب أحداث من سياراتهم المهشمة." وهو أنشأ، بدعم مالي من جماعات محلية ومواطنين أفراد، برنامجاً لا يتوسل الربح المادي دعاه "الرعب الشالّ" يصفه على أنه "جرعة من الواقع تدوم ٤٥ دقيقة." يتولى مقدمو البرنامج عرض شرائح (سلايد) مصوَّرة تظهر سيارات مهشمة، ويقدمون وصفاً حياً للروائح والاصوات والرعب في مسرح حادث اصطدام، ويفصِّلون ما يحدث عندما تنقل ضحية الى المشرحة.

لا شيء يرعد الطلاب أكثر من وصف ديفريز المقزز لحادث قُتِلَ فيه أستاذ ثانوي محبوب. ذات يوم ربيعي قاد هذا الاستاذ سيارته الى تلة في ضاحية من واشنطن. وعند قمة الطريق الضيقة ذات الاتجاهين، ظهرت فجأة سيارة داتسون جديدة - هدية الى متخرج في السابعة عشرة من عمره - منطلقة في الاتجاه المعاكس. وكان الشاب تناول كحولا وأقنع زميلا له بمشاركته في هواية "ركوب الجحيم" وهي الانطلاق بالسيارة بأقصى

(*) فرنكنشتين مسخ في رواية رعب.

سرعتها عند أعلى التلة فترتفع السيارة عن الارض لحظات تحبس الانفاس.

الا أن الداتسون، بعدما ارتفعت لحظة اجتيازها رأس المرتفع، هبطت على عجلتيها الاماميتين واندفعت نزولا في الاتجاه الآخر من الطريق صادمة سيارة الستايشن رأسياً. فانسحق المعلم البالغ من العمر ٣٦ عاماً في فسحة مساحتها ٣٠ سنتيمتراً داخل الحطام المعدني الملتوي، وقضى للحال وهو على مسافة مئات الأمتار من منزله حيث كانت زوجته وطفله ينتظرانه.

يروي ديفريز تفاصيل اكتشافه الجسد المسحوق ثم توجهه الى السيارة الاخرى: "كان مقودها انفصل من مكانه وضرب السائق تحت ذقنه مباشرة فسلخ وجهه كله الى ما فوق الحاجبين. اننا ندعو هذه الاصابة "تقشيراً"، كما في تقشير الموز. أما الفتى الآخر فقذفته الصدمة الى الطريق، وعندما انحرفت السيارة سحقته بحافة الطريق، مثلما تُسحق سيجارة."

يستعين بعض برامج القيادة الآمنة بناجين من حوادث يروون قصصهم. وأحد هؤلاء رجل ضخم الجثة ملتوي الفم يضع سماعتين ويصل الى الاجتماعات المدرسية في كرسي ذي عجلات. وهو لا يحمل أي شبه للطالب الجامعي الوسيم الذي كان يتوق الى أن يصبح طياراً حربياً. وبصوت متقطع، لكنه مليء بالعزم، يتحدث براين رايف عن الحادث الذي غيَّر حياته.

القوانين مهمة في تشجيع القيادة الآمنة، لكن العامل الأفعل في تحويل الشباب سائقين جيِّدين هو الاهل. وواجبهم الاول أن يكونوا القدوة الحسنة. لا تدعوا أولادكم يسألونكم: "لماذا لم تضع حزام السلامة يا أبي؟" أو "أمي، لماذا تقودين بسرعة ٧٠ فيما اشارة السير تحددها بـ٥٠؟" ولا تجلسوا خلف المقود اذا كنتم تناولتم كحولا. واذ يبلغ أولادكم السن التي تخولهم القيادة، لا تعتمدوا على آخرين يتولَّون كل مراحل التعليم والاختبار. ان امتحان القيادة الذي تجريه السلطات يضمن حداً أدنى من الكفاية، ولكن عليكم أنتم مراقبة مهارات السائق الجديد لتحكموا على مدى استعداده.

لا تترددوا، بعد حصول ولدكم على اجازة سوق، في فرض ضوابط على القيادة، خصوصاً في الاشهر الاولى التي تعتبر الاخطر. هذا ما يشير به روبرت ماكول أستاذ علم النفس ومدير مكتب تنمية الاولاد في جامعة بيتسبرغ: "يجب ألا يسلِّم الاهل مفاتيح السيارة كلما طلبها أحد أولادهم." ويقترح ماكول قوانين تملي على الاولاد متى يقودون وفي أي ظروف وأي مناسبات ومع مَنْ مِنَ الاصدقاء.

على الاهل أن يضطلعوا بهذا الدور الحيوي حيال أبنائهم الذين يقودون سيارات. اذذاك فقط نوقف "المجزرة" التي يتعرض لها شبابنا على الطرق.

ديفيد مازي ■

الكذب يسمّم الزواج

هناك أكاذيب "بيضاء" وأكاذيب "سوداء" لكن أزواجاً كثيرين مصابون بعمى الالوان!

عندما اعترفت كارول الى صديقتها بربارة بأنها على علاقة عاطفية برجل "آخر"، تعهدت هذه أن تكتم الامر حتى عن زوجها. لكنها كادت تفضح السر عندما أخبرها زوجها أنه تناول الغداء مع زوج كارول. قال: "يبدو أن كارول تواجه مشكلة. هل لديك فكرة عن الامر؟"

أجابت بربارة: "لا، أبداً." وأملت ان تختم الموضوع بهذا الجواب. الا أن الموضوع ظل يفتح مراراً بفعل صداقة نشأت بين الرجلين. فعلقت بربارة في دوامة من الاكاذيب والمراوغة.

أخيراً، من خلال ملاحظات عابرة سمعتها من صديقات، اقتنعت بربارة بأن خيانة كارول باتت خبراً شائعاً. وعندما أثار زوجها الموضوع مجدداً راحت بربارة تبكي وأطلعته على الحقيقة. وهي تتذكر: "يا لها من راحة شعرت بها. كنت بدأت أشعر بالذنب وكأنني أنا الخائنة." وهي ما زالت تعتبر أن أكاذيبها ومراوغتها كانت شكلا من اشكال الخيانة لزوجها.

شعار بربارة اليوم هو الآتي: "لا تخبروني أمراً لا أستطيع اطلاع زوجي عليه. لن أخاطر بأغلى علاقة لدي من أجل شيء."

الكذب خطر، وليس سهلا أن نعرف متى يُصفح عنه في الحياة الزوجية. نحن نتوق الى ثقة عمياء وانفتاح صريح مع شريك حياتنا، لكن التجارب تعلمنا أحياناً ان في وسعنا تجنب الجدل وجرح المشاعر بقليل من الخداع والاضاليل يراوح بين "كذبة بيضاء" مثل "الصلع جميل" وكذبة كبيرة مثل "لا فكرة لدي عن سبب انبعاج مقدَّم السيارة."

© 1991 BY RONNI SANDROFF, CONDENSED FROM WOMAN'S DAY (APRIL 2, '91), NEW YORK, N.Y.

لا تغالوا. لكي نميز بين الاكاذيب "البيضاء" والاخرى "السوداء"، ضروري أن نلتفت الى دوافعنا، كما يقول هارولد كوشنر وهو مؤلف كتب عدة في الاخلاق: "قبل أن تشرع في الكذب، اطرح على نفسك هذا السؤال: هل أكذب مداراة لمشاعر الآخر أم لانقاذ نفسي من مأزق؟"

يقول ريتشارد تاكر، وهو وكيل مبيعات شاب حاد الطباع، ان زوجته لا تعترف أبداً بغرامات السير المستحقة عليها، بل تضيفها الى كومة الفواتير التي يتوجب دفعها، وتدعي البراءة عندما يسألها عنها. هذا يضحك ريتشارد، فهو يعلم أن تصرف زوجته ليس الا انتقاماً بريئاً لغضبه السابق حيال هفواتها في ايقاف السيارة في اماكن ممنوعة. إنها مجرد "لعبة" يلعبانها، وليست كذبة حقيقية.

ثمة موضوع واحد غالباً ما يعيد الازواج المخلصون صوغه، ألا وهو ماضيهم العاطفي. تعترف جين كيتمان: "لم أكذب في شأن علاقاتي السابقة، لكنني قللت من أهميتها."

تقول الطبيبة النفسانية ألكسندرا سيموندز: "قد تكون بعض الاكاذيب ودّية. فعبارة "أنت دائم الوسامة" تعني تعبيراً حقيقياً عن العاطفة والاخلاص والود."

وتمنع الاكاذيب الودّية بعض المناقشات التافهة. تقول كايتي ريان وهي وسيطة عقارية: "قد لا أكون راغبة في مشاهدة مباراة كرة المضرب على التلفاز، لكنني أدَّعي أنني أريد مشاهدتها عندما يظهر زوجي رغبة فيها. أريد أن أكون قريبة منه وأن أرضيه. هذا ما يهمني."

هذا الامر حسن ان لم نتمادَ فيه كثيراً. يحذر كوشنر من أن "نساء كثيرات قد يفكرن لاحقاً في أن مشاعرهن وأذواقهن ليست ذات شأن." ويضيف: "لنفترض أن امرأة شعرت بخيبة عندما تلقت أداة مطبخية هدية من زوجها. تكون كاذبة ان قالت ان هذه الهدية هي ما كانت تريد تماماً. وأنصحها بأن تنتظر يوماً أو يومين ثم تقول لزوجها، مثلا أقدر لك بادرتك، لكني أفضل هدية شخصية في الاعياد الآتية."

وهناك نوع من الاكاذيب الزوجية يستخدمه الشريك لحماية شريكه من المعلومات غير السارة. تقول ديبرا تانن مؤلفة الكتاب الرائج "أنت لا تفهمني: نساء ورجال يتحدثون":* "بعض الرجال يكتمون أموراً عن زوجاتهم لاعتقادهم أنهن سيقلقن ان عرفنها. لكن الزوجة غالباً ما تفسر هذا الامر على أنه تعامل معها كغريبة."

أحجم صاحب محل للمجوهرات عن اطلاع زوجته على خطأ مُكلِف ارتكبه. فأخذ قرضاً مصرفياً بفائدة مرتفعة بغية المحافظة على المستوى المعيشي لعائلته. ولم يلبث ان سدد الدين، لكن زوجته غضبت عندما علمت بخداعه. تقول: "كان في وسعنا أن نقتصد. أنا

(*) You Just Don't Understand: Women and Men in Conversation

أفضل أن آكل المعكرونة يومياً على المجازفة بدين كهذا."

تستخدم النساء أيضاً أكاذيب واقية. اتصلت حماة بكنتها وأخبرتها إنها سوف تخضع لفحوص بغية التحقق من اصابتها بالسرطان. في تلك الاثناء كان الابن يعاني أزمة حادة في عمله، فقررت زوجته أن تخبره أن كل شيء على ما يرام ريثما تبين نتائج الفحوص. لكنه اكتشف الامر لاحقاً وغضب منَ زوجته أشد الغضب. وأسباب غضبه مفهومة: لقد سلبته زوجته حقه في الاختيار بين عمله ووالدته.

ما بك؟ تنصح استاذة الفلسفة سيسلا بوك بتوخي الحذر الشديد ازاء هذا النوع من الاكاذيب "الابوية" الرامية الى حماية الشريك. تقول: "يغالي الكاذبون في تقدير نياتهم الطيبة ودوافعهم النبيلة وحظوظهم في النجاة من الانكشاف." قد تقنع احدى النساء نفسها بأنها تكذب من أجل زوجها، في حين أنها، في الحقيقة، تحاول التملص من مواجهة مزاجه العكر.

تقر احدى النساء بأنها تكذب على زوجها لتسرق وقتاً تنفرد فيه بنفسها: "اذا ألغيت موعد عمل فانني أقصد أحد المتاجر الكبرى أو أتجول في الحديقة. وحين يكتشف زوجي الامر يسألني: لماذا لم تأتي الى البيت لنمضي الوقت معاً؟"

تقول الدكتورة سيموندز: "هذا النوع من الكذب يأتي من عدم احترام الشريك. وهو يقود الى النظرية التهكمية القائلة بأن ليس من ضير في التلاعب بالعلاقة".

تعتقد الدكتورة سيموندز أن بعض الناس يكذبون عندما لا يكونون مضطرين الى الكذب، فيسلبون شركاءهم فرصة اظهار حب العطاء ورحابة الصدر. قد يتفهم زوج هذه المرأة حاجتها الى الاختلاء بنفسها لو كانت صريحة معه.

يقول كارل كينغسلي وهو مهندس ديكور: "كذبت على زوجتي مرة واحدة، لكنها كانت كذبة كبيرة. فقد تماديت في استعمال بطاقات الاعتماد بعدما أقسمت لها بأنني سأتوقف عن استعمالها."

بانت الحقيقة عندما قررا شراء منزل، وتعين على كارل أن يضع قائمة بديونه. قال: "أخيراً اضطررت الى اخبارها بأنني مدين باثني عشر ألف دولار. كنت متأكداً من أن المصرف لن يعطينا قرضاً وأنها ستغضب وتهجرني. لكنها فاجأتني بسؤالها: ماذا سنفعل؟ وتحسنت علاقتنا على نحو مثير، وصارت زوجتي حليفتي."

ان فرَّق الكذب، فالصدق يوحد.

وتولِّد محاولات اخفاء الخيانة أسوأ الاكاذيب الزوجية. والحقيقة أن الخوف من "أن نعيش كذبة" يبقي كثيراً من العلاقات الزوجية في منأى عن الخيانة. تقول جين كيتمان: "لن أخون أبداً، لانني أعلم انني سأكذب في هذا الشأن."

عندما تجنح بك نفسك الى الكذب، ينصحك الخبراء بالتفكير ملياً في الخيارين الآتيين:

أولا، اسأل نفسك ماذا سيحصل لو قلت الحقيقة. لنأخذ أكثر الاكاذيب شيوعاً:

"ما بك؟"

– لا شيء.

هذا التبادل الكلامي السلبي قد يقوِّض الالفة بين الزوجين. فمن السهل، بدل ذلك، أن نجيب بالآتي: "سأخبرك لاحقاً" أو "دعني أفكر في الامر أولا." هذا، على الاقل، يؤكد اعتقاد الشريك بوجود خطأ أو خطب ما.

ثانياً، اسأل نفسك هل يسعك استعمال اللباقة عوض الخداع. عندما قررت احداهن أنها لم تعد قادرة على مرافقة زوجها الى حفلات الاوبرا التي يحب، لم تقل له انها كانت تقرص جلدها لكي تبقى صاحية في الحفلات على مدى ثلاث عشرة سنة، بل قالت ببساطة: "أعتقد أنني اكتفيت من الاوبرا." واقترحت عليه أن يذهب مع صديق يكون من هواة النوع.

يقول كوشنر: "يستطيع شخصان أن يتحابّا من دون أن تكون لهما الاهتمامات ذاتها."

يصبح تجنب الكذب أكثر سهولة عندما ندرك أن قول الحقيقة لا يعني كشف كل شيء. لنأخذ مثلا ليزا كامبل، وهي مديرة في شركة دعاها صديق سابق الى غداء عمل. تقول: "كان وضعي حرجاً لانني كنت ما زلت أكن له بعض الاعجاب. فوجدت نفسي أسجل خطوة ناجحة باعلام زوجي بالامر، كما أخبرت كل العاملين معي في المكتب." لكن ما لم تصرح به ليزا لاحد هو الاعجاب الذي ظلت تكنه لصديقها السابق.

ليس سهلا التمييز بين الخداع غير المؤذي والكذبة السامة. قال أحدهم: "أولئك الذين يحسبون أن لا ضير في الاكاذيب البيضاء، سرعان ما يصابون بعمى الالوان."

روني ساندروف ■

شمس الموسيقى

ولد موزار في سالزبورغ بالنمسا وولد باخ في المانيا، فهل تختلف موسيقاهما روعة وجمالا؟ كلا، انها عالمية. الجميع يقدرونها. فهل مغيب الشمس في باريس اجمل منه في طوكيو أو مانيلا أو بيكين؟ كلا، انه دائماً مغيب واحد، ومهيب.

سايجي اوزاوا، مدير اوركسترا بوسطن السمفونية

يونيسيكس!

لن يتحقق "تحرير النساء" حتى يأتي يوم...

تصبح المرأة سمينة صلعاء وتبقى على اعتقادها أنها لا تزال تجذب الجنس الآخر.

نقرأ عن امرأة شاردة الذهن تنطلق بسيارتها ناسية زوجها في محطة الوقود.

يتساوى عدد الرجال والنساء الذين يهرعون من أعمالهم الى المنزل لتحضير العشاء.

ج.س.

الحمية شبيهة بتسلق جبل: اذا زلت بكم القدم فلا تيأسوا من بلوغ القمة

معظم الذين يتبعون نظام حمية ينجحون في تغيير عادات أكلهم ونمط معيشتهم لفترة محدودة تبدأ بعدها المشاكل.

أنزلت دلال عشرة كيلوغرامات من وزنها على مدى ستة أشهر. فجأة وجدت نفسها في أزمة. فقد أجريت جراحة لوالدتها واضطرت هي الى توزيع وقتها بين بيتها والمستشفى. ولانشغالها بالجميع الا نفسها، سرعان ما استعادت أربعة كيلوغرامات.

التزمت منى نظام حمية. وسارت الامور على ما يرام الى أن انتقلت عائلتها للسكن في مدينة أخرى، فشعرت بالضياع. وبعد هذا التبدل المفاجيء في نمط معيشتها أوقفت رياضة المشي الصباحية وأفرطت في تناول الطعام لتعويض شعورها بالقلق والوحدة والارهاق. فزاد وزنها أربعة كيلوغرامات.

لاتيأسوا

ADAPTED FROM «THE DUKE UNIVERSITY MEDICAL CENTER BOOK OF DIET AND FITNESS,» COPYRIGHT © 1990 BY DUKE UNIVERSITY MEDICAL CENTER AND ENGEL & ENGEL, INC., WILL BE PUBLISHED IN JANUARY 1991 BY FAWCET COLUMBINE, A DIVISION OF RANDOM HOUSE, INC., NEW YORK, N.Y. PHOTO: © PAUL CHAUNCEY / THE STOCK MARKET.

هذه الانتكاسات كثيرة الحدوث. وفي دراسة تناولت متَّبعي أنظمة حمية وجد الباحثون ان ٣٢ في المئة من هذه الحالات مردّها الى عواطف سلبية، كالقلق والوحدة والحزن والكبت. وعزا بعض الذين شملهم البحث انتكاسه الى الصراع في العلاقات والضغوط الاجتماعية والمرض، بينما ردّ ٤٣ في المئة انتكاساتهم الى أوضاع عاطفية ايجابية، اذ اعتبروها وليدة تمتعهم بأوقات سعيدة. وأذهلت هذه النسبة الباحثين.

ينجح كثيرون في تخفيف وزنهم، لكنهم لا يلبثون أن ينحرفوا عن نظام الحمية ويفشلون في استعادة تصميمهم على اتباعها بسب افكارهم السلبية حيال فشلهم. ان ردود الفعل تجاه الانتكاسة تقرر نجاح الحمية على المدى الطويل أكثر مما تقرره الانتكاسة ذاتها.

قالت منى عندما توقفت عن اتباع نظام حميتها: "لقد أخفقت." وتابعت الافراط في الأكل بسبب حالتها النفسية السيئة.

الاّ أن رد فعل دلال كان مختلفاً، وهي قالت لإحدى صديقاتها: "صحيح أنني استعدت أربعة كيلوغرامات، إلا أنني مصممة على الرجوع الى عاداتي الحسنة."

إن الافراط في الأكل واهمال التمارين الرياضية لمدة أسبوع لا يعنيان اخفاقاً. الإخفاق هو في التساؤل: "ما الفائدة؟ سأبقى بديناً، ولا جدوى من المحاولة بعد اليوم." أما النجاح فهو في الاعتراف بالآتي: "لم أُفلح اليوم، إلا أنني أفلحت في الاسبوع الماضي، وسوف أفلح من جديد، بدءاً من الآن."

لا مفرّ من الانتكاسات الآنيّة، لكن مفتاح النجاح الدائم في التحكم بالوزن يكمن في تعلم السيطرة على هذه الانتكاسات. وهنا بعض النصائح الناجعة:

١. **واجهوا الحقائق**. غالباً ما نستعيد الوزن الذي نخسره لأننا نتصرف مثل النعامة التي تدفن رأسها في الرمل، فنتظاهر بأن المشكلة ستزول بدلا من الاقرار بوجودها. فأنت لا محالة في ورطة إن سمحت لنفسك بالقول: "استعدت كيلوغرامين فقط" أو "لم أغفل تماريني الرياضية سوى مرتين هذا الاسبوع."

تعلّم غازي هذه الامثولة بعد مشقة. فهو لم يجرؤ يوماً على اطلاق العنان لنفسه في تناول الحلوى الغنية بالوحدات الحرارية. وعوض ذلك كان يقف امام الثلاجة ويقضم قليلا من الأيس كريم غير مدرك أنه يضيف خمسين وحدة حرارية الى مجموع الوحدات التي يتناولها يومياً. وخلال سنة استعاد كيلوغرامين ونصف كيلوغرام من الوزن الذي كان خسره.

إعترفوا بأهمية انتكاساتكم وتصرفوا على الفور. لا تقولوا يوم الاثنين: "لم ألتزم نظام الحمية اليوم، اذاً من الأفضل أن أنتظر الاثنين المقبل لأبدأ من جديد."

٢. **لا تبالغوا في الانفعال**. العقاب والحرمان هما من ردود الفعل الهدّامة. فالامتناع عن تناول بعض الوجبات لا

يشعركم بالانقباض فحسب بل يجعلكم تتبعون نمطاً غذائياً غير صحي. وإذا حكمتم على أنفسكم بمزيد من التمارين الرياضية – كأن تسبحوا مئة شوط بدل عشرين – فسوف تكرهون فكرة الرياضة وقد تكون النتيجة الغاء التمارين كلياً.

عندما كان أولاد نجوى صغاراً، كانت تعقد العزم من وقت الى آخر على التزام قرار ما يحول دون زيادة وزنها. فتقسم على أنها لن تتذوّق الأيس كريم أو السكاكر أو الحلوى بعد اليوم مقنعة نفسها بأن تلك "مسألة ارادة فقط." وكانت تلتزم قسمها على مدى ثلاثة أسابيع، ثم تعود الى أكل الحلوى باحتفال صاخب، فتلتهم قطعتين من السكاكر ونصف كيس من الكعك المحلّى ونصف ليتر من الأيس كريم في أمسية.

إن مبدأ "كل شيء أو لا شيء" لا يتلاءم والطبع البشري. وقد توصلت نجوى الى قرار ناجح بتناول صنف واحد من الحلوى كل نهار جمعة، وهي لا تزال تنغمس في تناول الحلوى أحياناً، بيد انها تعلمت كبح جماح رغبتها، وباتت لا تلوم نفسها ولا تشعر بعقدة الاخفاق ان هي أفلتت زمام شهيتها يوماً.

٣. لا تدعوا الخيبة تعوق التقدم. ركّزوا على النواحي الايجابية. كم فقدتم من وزنكم؟ كيف تغير جسمكم؟ وتذكروا أنكم وان استعدتم كيلوغرامين فما زلتم أخف وزناً من قبل. وليقل الواحد منكم: "لقد نجحت سابقاً، ويمكنني أن أنجح الآن!"

٤. أعيدوا تقويم أهدافكم وعدّلوها. من الصعب جداً اقتلاع العادات المتأصلة. لكنّ تجزئتها وتحويلها أهدافاً صغرى يسهّل المهمة.

أنقص جلال تسعة كيلوغرامات من وزنه، لكنه لم يستغنِ عن عادته في تناول الطعام ليلاً. فعمد الى تحديد وجبته الليلية بـ١٥٠ وحدة حرارية. وفي الاسبوع الثاني خفضها الى ١٠٠، ثم الى ٥٠ في الاسبوع الثالث. ولمقاومة إغراءات الطعام بدأ يمارس لعبة كرة المضرب في بعض الامسيات. وبعد بضعة أسابيع أقلع كلياً عن الاكل ليلا ولم يعد يشعر حتى بافتقاده.

بعد تعرضكم لانتكاسة خلال اتباع نظام حمية، تشعرون بالاحباط ازاء فكرة التزام نظام شامل للحمية والتمارين الرياضية. فاذا حدث ذلك فعليكم بتحديد أهداف أكثر واقعية.

اذا كنتم تخليتم عن تناول الخبز مع الزبدة ثم عدتم الى التهامهما بنهم، فيمكنكم تحديد هدفكم الجديد بتناول شريحتين من الخبز يومياً ولكن من دون زبدة. إن تحقيق مثل هذه الاهداف يولد لديكم زخماً لوضع أهداف أكبر نصب أعينكم. وفي النهاية تنجحون في العودة الى عاداتكم الحسنة السابقة للانتكاسة.

٥. إستبقوا الاوضاع الخطرة. اذا كانت حياتكم معرضة لتغيير ما – كتسلم وظيفة جديدة أو الاحالة على التقاعد أو الانتقال الى منزل جديد – صمموا على تكييف هذا التغيير مع

قُم وَامشِ

التمارين الرياضية هي أحد العوامل الايجابية القليلة في المحافظة على وزن الجسم على المدى الطويل. ولكن، لسوء الحظ، لم تصل هذه الحقيقة الى عامة الناس الذين يفضلون التحول الى المرطبات "الخفيفة" القليلة الوحدات الحرارية على زيادة جهدهم الجسدي.

والجداول التي تبين مقدار الوحدات الحرارية التي يحرقها الجسم خلال كل تمرين تؤدي دوراً سلبياً اذ تثني متبعي الحمية عن ممارسة التمارين الرياضية. فالمرء يحتاج مثلا الى الهرولة مسافة خمسة كيلومترات لكي يصرف ٢٧٥ وحدة حرارية تحويها قطعة حلوى لذيذة غنية بالزبدة.

ومع ذلك تبقى التمارين الرياضية حيوية في عملية خفض الوزن. وقد أكدت دراسة أجراها المركز الطبي في جامعة بوسطن على ذوي الوزن الزائد من ضباط الشرطة وغيرهم من الموظفين الرسميين، أن الذين اتبعوا نظام حمية من دون ممارسة تمارين رياضية استعادوا معظم وزنهم القديم، أما الذين مارسوا الرياضة كجزء من حياتهم اليومية فحافظوا على وزنهم الجديد.

اذا كنت كثير الجلوس وقررت الشروع في المشي مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر يومياً، فان هذا التمرين الاضافي يحرق مئة وحدة حرارية اضافية في اليوم. واذا افترضنا أنك لن تزيد كمية طعامك، فإنك تستطيع خلال سنة أن تخسر أربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام، واذا زدت المسافة تدريجاً مع اجراء تعديلات غذائية أخرى، فإنك قد تخسر مزيداً من الوزن.

ROBERT G. HOLLAND IN PRIORITIES, PUBLISHED BY AMERICAN COUNCIL ON SCIENCE & HEALTH

واقعكم والمحافظة على رباطة جأشكم. فمشاعر الارهاق والقلق قد تؤدي الى أوضاع محفوفة بالمخاطر.

فاذا قال المرء: "إنني مرهق اليوم، وهذا يعني أنني سأفرط في الأكل وأخفف من التمارين الرياضية،" ففي وسعه وضع خطط تجنبه انتكاسة محتملة. وتلك الخطط قد تكون بسيطة مثل أخذ قيلولة بعد العمل أو الخلود الى النوم باكراً أو عدم مشاهدة التلفاز لأنه يثير الرغبة في تناول الطعام. قالت احداهن انها لا تنظر ابداً الى لائحة الطعام في المطعم، وأضافت: "وصف الطعام يغريني، لذلك أقرر سابقاً الطبق الذي أريد."

٦. لا تتوقعوا العجائب. يعتقد بعض الناس أنهم ان خفضوا وزنهم تبدلت حياتهم على نحو سحري، فتتحسّن حياتهم الزوجية أو يحصلون على ترقية في العمل أو يحظون بحياة اجتماعية أفضل. هذا تفكير غير واقعي. قد يحلّ خفض الوزن بعض المشاكل، أما بعضها الآخر فيبقى مموّها ليس الا. وقد تحفز الخيبة على الافراط في الأكل من جديد.

باشروا نشاطات جديدة مثل أن تفقدوا كل الوزن الذي تريدون أن تخسروه. إلعبوا كرة المضرب مثلا، وارتدوا ثياباً تناسب القدّ النحيف، وجددوا حياتكم الاجتماعية. ضعوا أهدافاً بسيطة نصب

أعينكم، ثم ضعوا أهدافاً أخرى أكبر منها أثناء تعزيز ثقتكم بأنفسكم.

واذا كانت البدانة تعوق تقربكم من الناس وشعوركم بالرضى عن النفس وقدرتكم على التنافس، فمن السهل جداً عليكم أن تنسفوا التقدم الذي أحرزتموه. تفهموا مخاوفكم وكونوا لطفاء مع أنفسكم، اذ يمكنكم أن تعالجوا التغيرات من دون لجوء الى الافراط في الاكل.

تخيل أنك تحاول تسلق جبل حتى القمة، وانك مربوط بالحبال وقد قطعت مسافة طويلة لكن تقدّمك صار بطيئاً. فجأة تزل قدمك وتنزلق بضعة أمتار. عند هذا الحد، قد ترمي الحبال جانباً وتقول: "لن أنجح في الوصول الى القمة!" وقد تثبت قدميك وتتابع التسلق من جديد.

لا أحد يصل الى القمة من دون أن ينزلق أو يتوقف لسبب ما. ويفقد متبعو نظام حمية بعضاً من وزنهم ثم يستعيدون قليلا منه ثم يفقدون وزناً أكبر. والناجحون لا يتوقفون أبداً عن المحاولة.

الدكاترة مايكل هاملتون
ورونيت ل. كولوتكن
وديان ف. كوغبرن
ود.ت. مور
وكاثرين واترسن ■

كلب موعود برحلة

أخبرتني خالتي عن محادثة بين زوجين تناهت الى سمعها مصادفة في مخزن بقالة. كان واضحاً أنهما ينويان الذهاب في رحلة يصطحبان فيها كلبهما. وبعدما تمعّنا طويلا في بعض أصناف طعام الكلاب قالت المرأة لزوجها: "رأيي ان نذهب من دون الكلب، هذه المرة."

فرد الرجل بحدة: "لا يجوز أن نفعل ذلك، فقد وعدتُه بالرحلة!"

ل.ر.

لا مفر من السجن

قال متهم بالاختلاس لمحاميه: "الأدلة ضدي قوية جداً، لكنني أملك نصف مليون دولار، فهل تعتقد أنك تستطيع تبرئتي؟"

أجابه المحامي: "أضمن لك أمراً واحداً، وهو أنك لن تدخل السجن ما دمت تملك هذا المبلغ."

وهذا ما حصل فعلا، فقد دخل الرجل السجن معدماً.

و.ب.

هوليوود

هوليوود عالم ادعاءات وزيف. فالممثلون يتظاهرون بأنهم أشخاص آخرون. وحين ينتهي الفيلم يوهمهم المنتجون بأن ذلك حسن.

ك.ك.

حكايات من العالم

العريس الهندي

□ ■ تنتزع اعلانات الجرائد دور وسطاء الزواج التقليديين في أوساط الطبقة المثقفة في الهند، حيث نادراً ما يختار أيّ من الزوجين شريك حياته بنفسه. وتحفل الصحف صباح كل أحد باعلانات مبوبة تطلب "شباناً مثقفين ذوي مهن" أو "شابات حسناوات، قانعات، جامعيات." وصفة "قانعة" في مفردات الزواج الهندية تطلق على الفتاة التي تدرك كيف تصبح زوجة صالحة وأما صالحة وربة منزل ممتازة.

ويقول أ.ب. شارما رئيس قسم الاعلانات في صحيفة "هندستان تايمز": "نحن ننشر أكثر من ٤٥٠٠ اعلان زواج شهرياً، والعدد في اطراد. وقليل من هذه الاعلانات يتكرر، مما يدل على أن نسبة نجاحها عالية."

وكالة "اسوشييتد برس"

قفزة نيوزيلندية

□ ■ يقفز أحدهم عن جسر يعلو ٧٠ متراً فوق أحد الأنهر، ويحتال على الموت اذ يوقف سقوطه على أمتار قليلة فوق النهر حبل طويل مربوط حول رسغي قدميه. يبدو ذلك للناظر مجازفة سينمائية. لكنه في الحقيقة رياضة تدعى "القفز الحاد"* باتت جاذباً للسياح في بلدة كوينزتاون ذات المناظر الطبيعية الخلابة في جنوب الجزيرة.

وليست رياضة القفز هذه النشاط المتهور الوحيد الذي ساعد في تحويل نيوزيلندة بلداً حافلا بالاثارة. فهناك رياضات اخرى تحظى بشعبية مماثلة، ومنها القفز بالمظلة (الباراشوت) عن المنحدرات الجبلية والتسابق في ممرات نهرية ضيقة مزروعة بالصخور في زوارق نفاثة.

فلمَ الانجذاب الى هذه النشاطات الخطرة؟

ثمة تفسير لدى أ.ج. هاكت الذي يدير مع شريكه هنري فان آش موقعين للقفز الحاد في كوينزتاون. فهو يرى أن هذه الرياضة "تعزز الاحترام الذاتي. فأنت تؤدي عملا تعارضه كل غرائزك الجسدية، فيغمرك شعور رائع في ما بعد."

و.ب.

(*) Bungy jumping

الوقت الامريكي

□ ■ أجرت مؤسسة توظيف عالمية دراسة شملت اداريي مئتين من كبرى الشركات الأمريكية، تبين بنتيجتها أن الناس يهدرون نحو شهرين من كل سنة في حضور اجتماعات غير ضرورية، كما يهدرون شهراً آخر في قراءة مذكرات ادارية تافهة وكتابتها. وبيّنت الدراسة أيضاً أن الشركات الكبيرة تضيّع وقتاً أكثر مما تفعل الشركات الصغيرة، اذ ان هذه أكثر استعداداً لرفض الاجراءات التي لا تنفع.

ر.ب.

قصة قصيرة

التلميذ الشاطر

حرمني كل ما نعمتُ به من مجد سابق. وفي هزيمته حرمني لذة الانتصار

أثناء درسنا اللغوي الاول في الصف الابتدائي السادس كانت المعلمة تعرفنا الى بعض المفردات اللغوية الجديدة، فقالت لنا: "ايجابي. أن يكون المرء ايجابياً يعني أن يملك روح المبادرة وأن يجاهد في سبيل التقدم. من منكم يعرف ما هو الضد لكلمة ايجابي؟"

لم يكن هنالك جواب ولكن توجهت النظرات الي لانني منذ حداثتي كُنت بطلا في عِيون رفقاء صفي. كنت دائماً عريف الصف، وسُمِّيت "التلميذ المثالي" سنة بعد سنة حائزاً أعلى العِلامات في كل امتحان. أما الآن فصمتٌ منتظراً جواب المعلمة، لانني اذا لم أعرف أنا الجواب فما من احد آخر سيعرفه.

فجأة رأيت يدا مرفوعة. كانت يد وو كوي فن وهو فتى هزيل جديد في صفنا. قال: "سلبي." وللحظة تمنيت لو تنشق الارض وتبتلعني، اذ ان ذلك لم يحدث قبلا. وأخذتني الدهشة وبدت عليّ أمارات الانفعال.

بعد اسابيع عدة عُلِّقت نتيجة الامتحان الشهري الاول، وللمرة الاولى في حياتي حللت في المرتبة الثانية اذ سبقني وو كوي فن بسبع نقاط وحصل على علامات كاملة في خمسة مواضيع، فشعرت بالاذلال وبكيت طوال الليل.

ولاحظت سريعاً أن احترام رفقاء صفي لي يتضاءل، ولم أعُد رفيقهم المحبوب ومثلهم الاعلى، لان هنالك من هو أحسن مني. وخِلْتُني أنخسف في

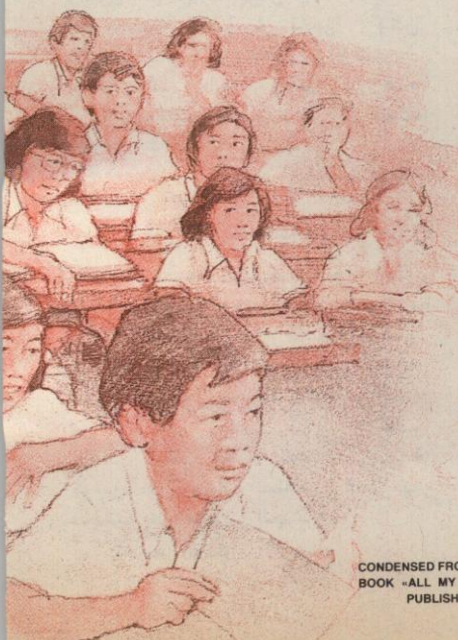

CONDENSED FROM «THE NEW BOY IN GRADE SIX,» © 1986 BY FU FENG - CHI. FROM THE BOOK «ALL MY LIFE EXAMINATIONS,» EDITED BY KU LING, PUBLISHED BY SITAK PUBLISHING & BOOK CORP., TAIPEI, TAIWAN. ILLUSTRATION: CLIFF SPOHN

صدع من الارض، وأقسمت أن أسترد مكانتي المفقودة.

في الشهر التالي أبديت انتباهاً أكثر في الصف، مع أنني بين حين وآخر كنت ألتفت الى يساري حيث جلس وو كوي فن، فأراه مُثبِّتاً نظره في المعلمة كأنه يحلل مسألة.

ثم أتى الامتحان الشهري الثاني فتفوق عليّ وو كوي فن من جديد، مع أنني كنت أصوِّب الفكر والانتباه الى كل سؤال. فتأخرت عنه هذه المرة بأربع علامات.

ومع مضي الوقت استمرت مكانتي في التأكّل. وهو تفوَّق علي في كل ما امتزت به سابقاً. وعيّنه الاستاذ هو ممثلا للصف في مباراتي الخطابة والخط، شارحاً أنه حان الوقت لكي نعطي القادم الجديد فرصة بعدما اشتركت أنا في كثير من هذه المسابقات. وكانت النتيجة أن حاز وو كوي فن الاولية في المباراتين.

ولحسن الحظ شاركت وو كوي فن في تمثيل صفنا في مباراة الانشاء. لكنني كنت خائفاً جداً، اذ لم يكن بمقدوري أن أخسر مرة أخرى لأنني اذذاك لن أستطيع أن أرفع رأسي ثانية.

وكان عنوان موضوع الانشاء "طموحي." فكتبت بعناية: "انني أرغب في أن أصبح طبيباً يوماً ما، لان في وسع الاطباء أن يخففوا آلام المرضى ويعيدوا الحيوية الى الناس الذين طمسهم اليأس و..." واسترسلت أسكب مشاعري بجدية وصدق حتى تأثرتُ أنا بما كتبت.

في الاسبوع التالي أعلن مدير المدرسة نتيجة المباراة: "الرابح عن الصف السادس هو وو كوي فن، وقد حلّ هسو هونغ في المرتبة الثانية."

بعد انتهاء كلمة المدير توجهت نحو وو متصنعاً ابتسامة وقلت له: "تهانيّ! عن أي طموح كتبت؟"

أجاب: "معلم مدرسة ابتدائية. انني رغبت دائماً في أن أكون أستاذاً في مدرسة ابتدائية." اذاً هذا ما كان! ان وو كوي فن هو حقيقة ماكر بعيد النظر.

طموح زائف! أثناء استراحة الغداء قرأت موضوع وو على لوحة الاعلانات. وجاء فيه: "بالنسبة الي، أن أكون معلماً هو الامل الاحلى في الحياة. نحن كلنا نحب معلمينا، وأرجو أن أحوز محبة تلاميذي في يوم من الايام. وأنا أحب مادة اللغة أكثر من جميع المواد، وأرغب في أن أصبح معلم لغة يوماً..."

هذا هو طموحه طبعاً! خصوصاً أن حكام مباراة الانشاء هم دائماً معلمو لغات. وماذا يمكن أن يكونوا غير ذلك؟ مدرِّبي رياضة؟ لم يكن الحكام متحاملين فقط، بل حمقى أيضاً.

وكلما مرّت الايام شعرت بالهزيمة أكثر. واحتل وو كوي فن مكاني قرب الضارب في فريق البيسبول (كرة القاعدة) لأن المدرب وجده أكثر رشاقة. ونُقلت أنا الى القاعدة الثانية، وفي كل مباراة كنت ألتمس من الله أن تصدر عن وو هفوة، لكنه لم يخطىء قط.

وكانت هنالك مباراة واحدة تقرر ما اذا كانت مدرستنا ستمثل مدينتنا في المباراة الاقليمية بين المدارس. وخلال تلك المباراة بقي التعادل سائداً حتى الجولة الاخيرة، ولم تسجل أي اصابة. ثم أخذ المضرب لاعب من الفريق الآخر ورمى طابة قوية سريعة الدوران أفلتت من يدي الرامي في فريقنا وحلَّت بيني وبين وو كوي فن الذي اندفع نحوها وألقى بنفسه على الارض وأمسك بها، وفي مثل غمضة عين تقلَّب ووقف على رجليه ثانية ومرر الطابة بدقة الى القاعدة الاولى، فدوت في الملعب صيحات متهللة وهتافات استحسان.

وأخيراً ربحنا المباراة بثلاث نقاط في مقابل واحدة خسرناها بسبب ارتكابي اخطاء عدة. وعندما أخبرت المدرب الرياضي بعد ظهر اليوم التالي برغبتي في ترك الفريق لم يزعج نفسه ليقنعني بالبقاء.

الساعة المسروقة. قبل شهر من بدء عطلة الشتاء حصل حَدَث كبير في الصف اذ فقد زميلنا فاتي ساعة يده. ولم يكن يحب أن يحملها، لذا اعتاد أن ينزعها من يده عند وصوله الى المدرسة ويضعها داخل درج طاولة الكتابة. وكانت العادة كلما فُقد شيء ثمين أن يُفتَّش الصف كله، وذلك بأن يتحقق كل تلميذ من أمتعة جاره. ولكن مر نصف ساعة ولم يظهر أي أثر للساعة. وعند ذلك نبّهنا الاستاذ هو الى ضرورة الاهتمام أكثر بممتلكاتنا الشخصية في المستقبل، وانتهى الامر عند هذا الحد.

وبعد أسبوع حصل حادث مماثل، اذ اشتكى رفيق آخر من ضياع قلم حبر. وكالعادة، تحققنا من أمتعة جيراننا، ولكن لم يُسترد القلم الضائع قط، وبدلا من ذلك اكتشف تلميذان آخران أنهما اضاعا قلميهما ايضاً. فتصلّب وجه الاستاذ هو وأخرجنا الى الممشى وقال: "يا أولاد، انني أعرف حيلة سحرية: سأرسم دائرة على راحة اليد اليمنى لكل منكم، وبعد ذلك تطبقون قبضتكم وتدورون حول حرم المدرسة مرة واحدة. وسوف تختفي الدائرة من يد البريء وتبقى في يد المذنب، وسنعرف اللص لدى رجوعكم." وأمرنا بالانطلاق موضحاً أنه يسمح لنا بدخول المرحاض اذا قضت الضرورة.

ذهبت الى المرحاض وألقيت نظرة على الدائرة في راحتي وابتسمت عالماً أن الحمقى فقط سيزيلونها. وعندما رجعنا لم تكن أي دائرة اختفت.

تكلمنا عن هذا الحادث أياماً عدة ثم صرفنا النظر عنه. وبينما كنا نستعد للانصراف ذات يوم توجه فاتي نحو الاستاذ هو وعلائم الحزن على وجهه وقال له: "يا معلمي، لقد ضاعت ساعتي الجديدة التي اشتراها لي أبي بثلاثمئة دولار."

وكان تفتيش. وكنت على وشك أن أفتح مقلمة التلميذ الذي بجانبي حين سمعت أحد الرفقاء يصرخ: "يا معلمي، الساعة هنا!" كان شن تا من يمسك ساعة فاتي بيده، وهو أخرجها من حقيبة... وو كوي فن!

ساد الغرفة سكون رهيب. وحار كل واحد في أمره فيما احمرّ وجه وو كوي فن وأطبق يديه بشدة. قال الاستاذ هو: "يا وو كوي فن، تعال الى مكتبي. أما أنتم فيمكنكم أن تذهبوا." تبع وو كوي فن الاستاذ وبقينا نحن نتداول ما جرى:

"ما المنفعة من التفوق العلمي؟ أنا أفضل أن أحلّ أخيراً في كل امتحان على أن أسرق."

"لم يظهر عليه أبداً أنه من ذلك النوع."

"هاي! وأنا عاملته كأنه صديقي المخلص."

فانزعجت كثيراً ولم أستطع أن أتحمّل مزيداً فتوسلت قائلا: "يا رفقاء صفي الاعزاء، نحن غير واثقين حتى الآن بأن وو كوي فن مذنب. وإن يكن مذنباً، أفلا ينبغي لنا أن نتعلم التسامح؟" ولكن ما من أحد وافقني.

طعم الهزيمة. عندما وصلت الى صفنا في اليوم التالي قرأت على اللوح الاسود عبارة "وو كوي فن سافِر وقح." وكان وو جالساً في مقعده مطأطأ الرأس يرتجف في كل ناحية من جسمه، فمحوت الكلمات وأعلنت: "من الآن فصاعداً لا يُسمح لاي تلميذ بأن يستعمل اللوح لغير الدرس."

ثم دخل الاستاذ هو الغرفة وقال: "لا أعتقد أن وو كوي فن أخذ الساعة البارحة، وآمل أن تثقوا به كلكم." ولكن لم يتحدث أحد الى وو كوي فن، بل تكلم الجميع عليه في غيابه. وكنت أدافع عنه كلما سمعت انتقادات بغيضة في حقه.

وبعد ثلاثة أيام قدمنا امتحان نصف السنة. وسارت الامور معي حسناً، وكنت أحياناً أسترق النظر الى وو كوي فن فأراه جالساً خائر النفس لا يكتب.

وفي يومنا الاخير قبل العطلة عُلقت نتائج الامتحان، فاستـرددت مرتبتي الاولى في الصف متفوقاً على وو كوي فن بأكثر من ٤٩٨ علامة. اذ هو حصل على خمسة أصفار. فاستحققت الثناء الفصلي من المعلم ورجعت الى مقعدي مبتسماً. وبعدما صرفنا الاستاذ هو وقف وو كوي فن أمام الطاولة وقال: "يا رفقاء الصف، لا أتصور أنني سأحظى بثقتكم، وقد قررت أن أرجع الى مدرستي القديمة في الفصل المقبل. لكنني سأتذكركم كلكم كأصدقاء مخلصين. شكراً."

وانقضت أيام عطلة الشتاء. وفي اليوم الاخير تلقيت رسالة من دون طابع بريدي ولا عنوان وعليها اسمي فقط. ففتحتها بسرعة، فماد رأسي اذ وقع نظري على رسالة بخط يدي كتبت فيها على رأس الصفحة: "خطة الهجوم على وو كوي فن."

كنت خبأت هذه الورقة في مقلمتي، وقد ألقيت نظرة عليها بعد الامتحان. فكيف وجدها مَنْ وجدها؟ والتقطت الغلاف بحذر شديد علّني أعرف من هو المرسل، فسقطت منه ورقة زرقاء جاء فيها:

"هسو هونغ،

"أوليت هذه الورقة كثيراً من التفكير، وقررت أن أرجعها اليك. في أول يوم بعد الامتحان تخلفتُ عن الآخرين لأفكر في طريقة أشرح بها حادث السرقة لرفقاء صفنا، فرأيت ورقة على الارض. تخيَّل الصدمة التي أُصبت بها وكم كنت هائجاً. لقد بات في امكاني أن أبرىء نفسي، لكني عدلت عن رأيي. فأنا مررت بتجربة قاسية كنت فيها متهماً أمام الجميع، فلماذا أدع صاحبي اللطيف يتعذب هو أيضاً بتجربة مماثلة؟

"فيا هسو هونغ، ان الغلط من طبيعة الانسان. وسنظل أصدقاء. وأنا أتمنى لك فصلا جديداً ناجحاً.

صديقك المخلص
وو كوي فن"

انحدرت الدموع على خدي، وذقت للمرة الاولى طعم الهزيمة الحقة.

فو فنغ - تشي ■

هل تلاحظ وأنت تقود سيارتك أن الابطأ منك أحمق والاسرع منك مهووس؟

ج.ك.

مسافر في قطار أدهشني وأبكاني

عندما نجتمع أنا وأشقائي وشقيقتي فلا بد لنا من التحدث عن والدنا. فنحن جميعاً ندين له بنجاحنا في الحياة، كما ندين أيضاً لرجل مكتنف بالاسرار صادفه أبي ذات ليلة في قطار.

ولد أبي سيمون ألكسندر هايلي عام ١٨٩٢. ونشأ في بلدة سافانا الزراعية في ولاية تنيسي. وهو الولد الثامن لجدنا أليك هايلي الذي كان عبداً قوي الارادة في ما مضى ثم أصبح مزارعاً محاصصاً.* وأمه امرأة اسمها كوين.

كانت جدتي حساسة وعاطفية، وحازمة أيضاً. وكان أحد طموحاتها أن ترى أبي متعلماً.

(*) المحاصص مزارع يستغل الارض لمصلحة المالك في مقابل جزء من المحصول.

ILLUSTRATION: ROBERT STEELE

في تلك الايام في سافانا كان الولد يعتبر "غير نافع" إن هو بقي في المدرسة في سن تخوِّله القيام بالاعمال الزراعية. وعندما وصل أبي الى الصف الابتدائي السادس راحت كوين تدغدغ غرور جدي: "لقد رزقنا الله ثمانية أولاد، أفلا يرفع مقامنا أن نضحي بأحدهم فنعلمه؟"

وبعد مناقشات طويلة سمح جدي لوالدي بانهاء الصف الثامن، على أن يعمل في الحقول بعد دوام المدرسة.

الا أن كوين لم تكتفِ. فحالما أنهى أبي الصف الثامن راحت تزرع أفكاراً في رأس جدي مؤكدة له أن مكانته ستكون أرفع إن التحق ابنه بالمدرسة الثانوية.

ونجحت خطتها، فرضخ أليك هايلي العجوز الصارم، وناول أبي خمس ورقات نقدية من فئة الدولارات العشر استحقها بكده وتعبه، ونهاه عن طلب المزيد، وأرسله الى المدرسة الثانوية.

سافر والدي أولا في عربة يجرها بغل، ومن ثم في قطار هو الاول الذي رآه في حياته. وانتهى الى مدينة جاكسون في ولاية تنيسي حيث انتسب الى الكلية التحضيرية لجامعة لاين، وكانت هذه مخصصة للزنوج.

وسرعان ما استهلك والدي الدولارات الخمسين. ولمتابعة دراسته عمل نادلا وعاملا في ورشة ومساعداً في مدرسة للصبيان المشاكسين. وفي فصل الشتاء كان ينهض في الرابعة فجراً ويذهب الى منازل البيض الميسورين ليضرم النار في مواقدهم فيستيقظون مرتاحين دافئين.

أصبح سيمون المسكين أضحوكة المدرسة بسرواله وحذائه اليتيمين وعينيه الناعستين. وكثيراً ما كان يُرى نائماً والكتاب في حضنه. ونال منه الصراع المتواصل لجني المال، فساءت علاماته، الا أنه ثابر على الدرس منهياً المرحلة الثانوية. ثم التحق بالجامعة التقنية والزراعية في غرينسبورو، حيث كافح خلال السنتين الجامعيتين الاوليين.

وبعد ظهر يوم كئيب في نهاية سنته الثانية استدعي إلى مكتب أحد الاساتذة وأُعلم برسوبه في مادة كانت تتطلب كتاباً عجز والدي عن شرائه.

فتملكه شعور ثقيل بالهزيمة. لقد بذل قصارى جهده لسنوات، وها هو الآن يشعر بأنه لم يحقق شيئاً. ربما يجدر به أن يعود الى بلدته، الى قدره الاساسي، الى المحاصَصة.

ولكن بعد أيام تلقى رسالة من شركة "بولمن" للنقل البري تعلمه بأنه واحد من أربعة وعشرين جامعياً زنجياً اختيروا من بين مئات المرشحين للعمل خلال الصيف مضيفين في عربات النوم في قطارات الشركة. وغمره الابتهاج، فها هي فرصة سانحة أمامه. والتحق بعمله متشوقاً، فعين على خط بافلو - بيتسبرغ.

وذات ليلة قرابة الثانية فجراً، وبينما القطار ماض مسرعاً، رن الجرس في مهجع والدي، فقفز عن سريره وارتدى سترته البيضاء وتوجه نحو مهاجع الركاب حيث طلب منه رجل وقور كوبين من

الحليب الساخن لأنه كان وزوجته يعانيان أرقاً. أحضر والدي كوبي حليب وفوطتين على صينية فضية. فناول الرجل زوجته أحد الكوبين من خلال ستارة وراح يرشف من كوبه وهو يتحدث الى والدي.

كانت قوانين شركة "بولمن" تحظر على المستخدمين التحدث الى الركاب الا في حدود "نعم يا سيدي" أو "لا يا سيدتي." إلا أن هذا الراكب ظل يطرح أسئلة، حتى انه تبع والدي الى مهجعه وهو يسأله:

"من أين أنت؟"

- من سافانا بولاية تنيسي يا سيدي.

"انك تحسن الكلام."

- شكراً يا سيدي.

"ماذا كنت تعمل من قبل؟"

- انني طالب في الجامعة التقنية والزراعية في غرينسبورو يا سيدي.

نظر اليه الرجل مطوّلا. وأخيراً تمنى له التوفيق وعاد الى سريره.

وفي الصباح وصل القطار الى بيتسبرغ. في تلك الايام كانت الخمسون سنتاً تعتبر اكرامية محترمة، لكن الرجل ناول والدي خمسة دولارات، فأخذها منه بكثير من الامتنان.

ذلك الصيف ادّخر والدي كل ما جناه. وعندما انتهى عقد العمل كان جمع ما يكفيه لشراء بغل ومحراث. لكنه أدرك أيضاً أن مدخراته قد تسد نفقات فصل دراسي كامل في الجامعة من دون اضطرار الى العمل! ورأى أنه يستحق فصلا دراسياً خالياً من الاعمال الخارجية، فتلك هي الطريقة الوحيدة لمعرفة العلامات التي يمكنه الحصول عليها حقاً.

عاد الى الجامعة. ولم يكد يدخل حرمها حتى استدعاه الرئيس.

ملأ الخوف قلب أبي عندما جلس قبالة الرجل الكبير. فبادره الرئيس: "لدي رسالة هنا يا سيمون."

- نعم يا سيدي.

"كنت مستخدماً لدى شركة بولمن هذا الصيف، أليس كذلك؟"

- نعم يا سيدي.

"هل التقيت رجلا مميزاً ذات ليلة وأحضرت له حليباً ساخناً؟"

- نعم يا سيدي.

"حسناً، انه السيد ر.س.م. بويس وهو مدير متقاعد لدار "كورتس" للنشر التي تصدر صحيفة "سترداي ايفنينغ بوست." لقد تبرع بمبلغ ٥٠٠ دولار لتسديد نفقات سكنك وطعامك وتعليمك وكتبك لسنة دراسية كاملة."

أصيب والدي بالذهول.

تلك الهبة المفاجئة لم تمكّن سيمون هايلي من انهاء دراسته في الجامعة فحسب، بل مكنته أيضاً من التخرج بتفوق. وأهّله ذلك الانجاز لمنحة كاملة في جامعة كورنيل في ايثاكا بولاية نيويورك.

في العام ١٩٢٠ انتقل والدي الى ايثاكا ولمّا يمضِ وقت طويل على زواجه بوالدتي بيرثا.

دخل جامعة كورنيل لنيل شهادة الماجستير. أما والدتي فالتحقت بمعهد

الموسيقى في ايثاكا لتتعلم العزف على البيانو. وولدت أنا في السنة التالية.

وذات يوم، بعد عشرات السنين، دعاني محررو الـ"سترداي ايفنينغ بوست" الى مكاتبهم في نيويورك لمفاوضتي في مسألة تلخيص كتابي الاول "سيرة مالكوم اكس." كنت فخوراً ومسروراً لجلوسي في تلك المكاتب الفخمة. وفجأة تذكرت السيد بويس الذي أتاح لي كرمه أن أجلس هناك بين أولئك المحررين الكبار... مؤلفاً. لم أستطع ضبط تأثري، فأجهشت في البكاء.

كثيراً ما نفكر، نحن أبناء سيمون هايلي، في السيد بويس والاستثمار الذي وظفه في انسان أقل منه حظاً، فأفدنا نحن أيضاً من فيض كرمه. فبدل أن ننشأ محاصصين في مزرعة، ربينا في منزل يديره أبوان مثقفان وفيه رفوف مليئة بالكتب. كما نشأنا على الفخر بأنفسنا. شقيقي جورج هو رئيس لجنة الرسوم البريدية في الولايات المتحدة. وجوليوس مهندس معماري. ولويس أستاذة موسيقى. وأنا كاتب.

لقد حلّ السيد ر.س.م. بويس بركة في حياة والدي. وما يراه البعض مصادفة سعيدة أراه أنا عمل قوة تتوخى الخير.

وأعتقد أن كل من أعطي نعمة النجاح عليه واجب اعادة جزء من هذه النعمة. علينا جميعاً أن نعيش ونعمل مثل ذلك الرجل المسافر في القطار.

أليكس هايلي ■

الكاتب محرر متجول في الـ"ريدرز دايجست" ومؤلف كتاب "جذور" الذي يروي فيه قصة أسلافه الافريقيين ويعتبر من روائع الادب المعاصر.

ستائر

أمضيت يومي أتسوق مع طفلي الذي يبلغ الثالثة من عمره، ودخلنا عدداً لا يُحصى من غرف تجربة الملابس. وفي طريق العودة الى البيت توقفنا أمام مركز انتخابي، فنظر الصبي الى كشك الاقتراع المغطى بالستائر ثم سألني: "بابا، هل أنت مضطر الى خلع ثيابك حين تقترع؟"

ج.ب.

وَزَّةٌ في الفرن

رأيت يوماً في مزرعتي وزّة بيضاء سمينة وقد أوت الى خمّ الدجاج. ولاقتناعي بأنها تخصُ أحد الجيران، اتصلت بمخفر الشرطة علّ أحدهم يخبرني بما أفعل. فرد علي شرطي طلب مني الانتظار ريثما يتحقق من الأمر. وعندما عاد الي قال: "سيدتي، باشري بتحمية الفرن حتى ٤٠٠ درجة مئوية..."

ن.ن.

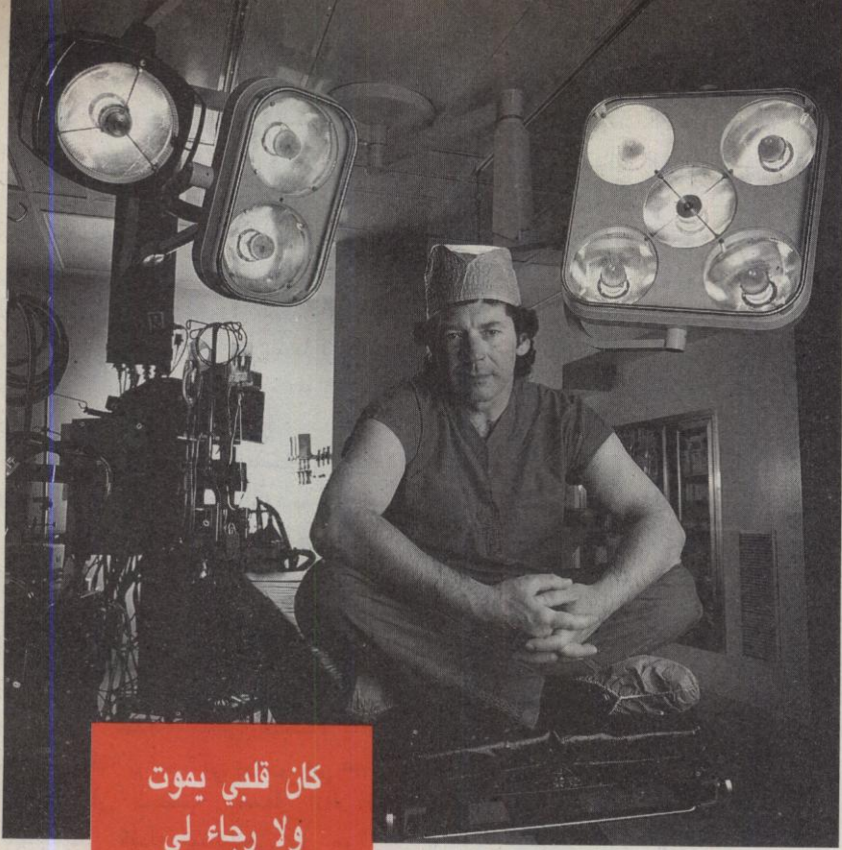

كان قلبي يموت
ولا رجاء لي
إلا بقلب جديد

«في صَدري قلب جديد!»

لن أطلب سيارة اسعاف!

على رغم لهاثي وأنا أجهد لازرّر قميصي، والهلع الذي انتابني من احتمال أن يستسلم قلبي العليل أخيراً، لم أصدق أنني مشرف على الموت. فكرت في أن ضوضاء سيارة اسعاف ستسبب لي احراجاً كبيراً. لا! سأحافظ على هدوئي وأطلب سيارة أجرة.

CONDENSED FROM PHILADELPHIA INQUIRER MAGAZINE (JANUARY 21, '90), © 1990 BY THE PHILADELPHIA INQUIRER, PHILADELPHIA, PA. PHOTO: © THE PHILADELPHIA INQUIRER / MICHAEL BRYANT

لكنني اذ خرجت الى الشارع ذلك الخميس البارد في ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩، أدركت أنني في مأزق. كنت مضطراً الى السير حوالى ٣٠٠ متر، ولم أتمكن من قطع عشرة أمتار من دون أن اتوقف. كانت رئتاي تمتلئان بالسوائل وتغرقانني ببطء. اتكأت على سيارة جاهداً لالتقاط أنفاسي. ثم تقدمت خطوات قليلة واستندت الى عمود هاتف... فبضع خطوات أخرى، وتثبتت بصندوق بريد. فعلت كل هذا من دون ان أكره نفسي على الصراخ: "رجاء! انني في حاجة الى مساعدة!"

واقع الامر أنني كنت أعاني هذه الاعراض مرة على الاقل في السنة منذ العام ١٩٨٣، وكنت في الرابعة والاربعين، عندما أنبأني الاطباء بأنني مصاب باختلال انحلالي مزمن[1] في عضل القلب، وأن تمضية بضعة ايام في المستشفى كفيلة بتنشيطي كل مرة.

لكنني لم أجهد قط لالتقاط أنفاسي كهذه المرة، وكأنني كنت أعدو ورأسي داخل كيس من النايلون. أسندت ظهري الى عمود أنارة لاشير الى سيارة أجرة. لم أعد قادراً على التنفس حتى وأنا ساكن. ماذا لو متّ هنا على الزاوية؟ انني مدين لعائلتي، على الاقل، بالا أدع ذلك يحدث. فعبرت الشارع الى كشك هاتف عمومي وأدرت القرص على الرقم ٩١١،[2] وما هي سوى دقائق حتى ألفيتني في سيارة شرطة في طريقي الى مستشفى جامعة هاهنمان في فيلادلفيا.

كنت، عندما وصلنا الى المستشفى، بدأت أشعر بفقدان الوعي بسبب نقص الاوكسيجين. وأتذكر الآن كيف أن أناساً هرعوا نحوي وأخذوا يلصقون أقطاباً كهربائية بجسمي ويغرزون ابرا في أوردتي.

كان الاطباء يتشاورون في أمري. وسمعت أحدهم يقول: "استسقاء في الرئتين."[3] وقال آخر: "أحضروا أنبوبة قسطرة." وهذه اداة قياس فاعلة تدخل في القلب عبر الوريد الوداجي.[4] وسببت لي هذه العملية آلاماً مبرحة أفقدتني الوعي.

لم أعد أعي مسار الزمن. لكنني أذكر وصول عائلتي ومزيد من الاطباء، وأحاديث مهموسة. وأنبأني وجها ابنتي غيليان (١٨ عاماً) وابني جيريمي (١٦ عاماً) بأن موتي كان متوقعاً في أي لحظة.

ليس بعد! كانت فرصتي الوحيدة تبعد ٣٠ شارعاً حيث برنامج زرع القلب في مستشفى جامعة تمبل. كان علي، لأبقى حياً، أن أخسر قلبي القديم، أساس وجودي. وتعين على الاطباء أن يفصلوه عني كما يفصل مكربن (كاربوراتور) بال من محرك سيارة، وابداله بقلب رجل ميت. انه واحد من منجزات الطب التي لا يلجأ

(١) Cardiomyopathy
(٢) رقم هاتف الطوارىء.
(٣) Pulmonary edema
(٤) Jugular

اليها في سوى الحالات الاكثر الحاحاً. انه طريق خلاصي الوحيد.

كان الاطباء في مستشفى تمبل قرروا حاجتي الى قلب مزروع في الربيع السابق، لكنهم أعلنوا آنذاك أن وضعي الصحي لا يستدعي اجراء الجراحة بعد. أما الآن فقد تدهورت صحتي الى حد تعذر معه نقلي من مستشفى هاهنمان.

في وقت متقدم من تلك الليلة، وأنا وحيد في غرفة العناية المركزة، رأيت في الضوء الخافت صورة تركتها غيليان على المنضدة قرب سريري. كنت في الصورة رجلا مكتمل الصحة، يحيط بي ولداي، درتا حياتي. وهي كتبت على قصاصة ألصقت بالصورة: "الظرفاء الثلاثة" و"بابا، اننا نحبك." حدقت الى الصورة وفكرت في نفسي: "لا أريد أن أترككما. ليس الآن، ليس بعد..."

الامر التالي الذي أذكره هو أنني أفقت وقلبي يخفق بعنف في ايقاع فائق السرعة مميت يدعى "الخفقة البطينية."[٥] انطلقت أصوات انذار وهرع الي نحو عشرة اشخاص، تكوّموا فوقي كأنهم لاعبو كرة قدم أمريكية. رفع طبيب قبضته في الهواء وأنزلها بقوة على صدري، ثم أعاد الكرة. صرخ أحدهم فجأة أن نبض قلبي عاد طبيعياً. واستغرقت بعد ذلك في نوم عميق، وأفقت في اليوم التالي وقد ملكتني الدهشة: انني ما زلت حياً!

تكرر العَرَض نفسه في الليلة التالية. لكن وضعي أخذ في الاستقرار لاحقاً، ومع ذلك لم يكن نقلي ممكناً بعد. بدأ الانتظار يمضّني لانني، مع ثقتي بمهارة الجسم الطبي في مستشفى هاهنمان، كنت أعرف أنه لم يكن في هذا المستشفى برنامج لزرع القلب. في هاهنمان لا يسعني الا أن أموت. وبدأت أفكر: "اذا كنت سأموت، فليحدث ذلك بسرعة."

وأقلق تفكيري هذا ابني جيريمي، فكتب الي:

"أبي العزيز،

"أنني أدرك مدى صعوبة الامر عليك. لكن هذه عقبة بسيطة على الدرب. وسنبقى، أنا وغيليان، ملازمين لك سنين كثيرة. لا تقلق يا أبي مما يجري في المستشفى، فهو سينقضي قريباً. اننا نحبك.

جيريمي."

في خضم محنتي في هاهنمان تلقيت رسالة من نوع آخر. كنت مستلقياً في فراشي وولداي بقربي، يكتنفني احساس بأنني أتعفن. فجأة غمرني شعور رائع بالسلام والطمأنينة، كأنما غمامة خير هبطت عليّ وأنبأتني بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

لم يدم هذا الشعور أكثر من خمس دقائق، لكني موقن أنه لم يأتِ من داخلي، بل من جهة أسمى...

أصبت مدى الايام التالية، بالتهاب رافقه ارتفاع في الحرارة. ومع ذلك دخل طبيب غرفة العناية المركزة في ليل ٣١ يناير (كانون الثاني) - بعد اثني عشر

(٥) Ventricular tachycardia

يوماً على فشلي في العثور على سيارة أجرة – وقال لي: "لقد تحسنت ما يكفي لنقلك. ستغادرنا الى مستشفى تمبل في نحو ساعة."

كانت هذه بارقة الأمل الاولى. فقد ثبّتني ممرِّضون على محمل نقّال ووضعوا قناع أوكسيجين على وجهي، ثم توجهوا بي عبر ممشى الى خارج المستشفى فالى سيارة اسعاف.

كان أول ما تعين على الاطباء في تمبل عمله هو انزال حرارتي التي ارتفعت الى ٤٠ درجة مئوية. أعطوني مضادات حيوية (أنتيبيوتيك) ثم لفوني بملاءة كهربائية وُصلت بوحدة تبريد. كنت كمن يستلقي على صفحة بحيرة متجمدة. وامتصت الملاءة الحرارة من جسدي بسرعة فشعرت بارتياح.

لكن العطش بدأ يدفعني الى جنون مطبق. عطش رهيب لا يرحم. لكن مزيداً من الماء في الجسم يعني مزيداً من اجهاد للقلب. وكانت السوائل التي تدخل جسمي عبر الحقن الوريدية والعقاقير السائلة لا تسمح بتناولي الماء الا بكميات قليلة جداً.

كانت الممرضة تأتيني بالطعام، فترفع غطاء الطبق ثم تصادر كل السوائل، وحتى حلوى الهلام (جيلو)، فيما أنا أراقبها بشفتين جافتين. كان ذلك عذاباً، ووجدتني أجادل الممرضات بحدة معارضاً تصنيفهن الهلام والمهلبية في عداد السوائل فيكتفين بالاعراب عن أسفهن.

رأس اللائحة. كان فصل الشتاء يمضي والوقت المتبقي لي ينفد. وأدركت أنا والاطباء أن فاعلية العقاقير التي كنت أتناولها لابقاء قلبي نابضاً، لن تعمل طويلا. ولم أكن حتى ذلك الوقت متأكداً من قبولي في برنامج زرع القلب.

صممت على ادراج اسمي في قائمة الانتظار. فصرت، كلما التقيت شخصاً له علاقة ببرنامج الزرع، أوزع ابتساماتي وأداهن وأجهد لاقناعه بأنني مرشح مثالي. أردت قلباً جديداً. أردت أن أحيا!

وكنت أعرف أن الاطباء يراقبونني. وذات يوم سألت الدكتور ماريل جيسوب، طبيب القلب المسؤول عن حالتي، هل اسمي مدرج في اللائحة. فأجابني: "بالتأكيد! انك في رأسها."

كانت تفاصيل حالتي أُدخلت كمبيوتر "الشبكة المتحدة لتقاسم الاعضاء" في ريتشموند بولاية فيرجينيا. وكنت، نظراً الى خطورة وضعي، أُدرجت في "المرتبة الرقم ١" أعلى الاولويات.

وبدأ البحث. كنت في انتظار مصيبة شخص آخر: اصطدام، جريمة، حادث ينهي حياة انسان آخر... ويزودني الحياة.

مرّت أسابيع، وتثاقل الملل والعطش خلال فبراير (شباط) ومارس (آذار). كنت أدرك أنني لم أعد أملك كثيراً من الوقت. أخيراً، يوم الخميس ٩ مارس (آذار)، دخل غرفتي الدكتور جاكوب كولف كبير جرّاحي القلب في مستشفى تمبل وقال لي: "ريتشارد، وفِّقنا بقلب لك."

انفجرت كلماته كقنبلة فرح في رأسي... وبكيت.

اتصلت بالبيت. ردت غيليان على الهاتف فقلت لها: "هاي! هذا أنا!" وخانني صوتي نحو دقيقة. وأخيراً أخبرتها أن "أمراً جيداً على وشك الحدوث."

بدأت الحركة تنشط خارج غرفتي، ولاحظت ابتسامات على وجوه الممرضات. وفي الحادية عشرة مساء أبلغني الاطباء أن كل شيء يسير على ما يرام. وسرعان ما بدأ اختصاصي بالتخدير اعدادي للجراحة، فغرز ابرأ وريدية ضخمة في ساعديّ، ودخلت حال نشوة.

بعد ساعة وضعني ممرضان على نقّالة بعجلات وانطلقا بي الى غرفة العمليات الرقم ١٠.

لقد جهدت بكل خلية من جسمي لأصل الى هنا، وكل ما أستطيعه الآن هو أن أدع الامور تأخذ مجراها. حدقت الى سقف الغرفة منتظراً ومحدثاً نفسي: "حسناً، فلننته من هذا الامر."

ثم حُقنت مخدراً، وبدأت أغيب عن الوعي. وفي تلك اللحظات سمعت صوتاً متردداً كأنه أزيز منشار.

لحظات حرجة. قبل خمس عشرة دقيقة، في مستشفى آخر بعيد، كان جايمس مكلوركن، وهو جراح آخر في فريق زرع الاعضاء في مستشفى تمبل، نزع قلب شاب في العشرين أصيب بـ"موت دماغي"[٦] بفعل طلق ناري في رأسه، ووافقت عائلته – ليباركها الله – على منح أعضائه.

استأصل مكلوركن القلب من صدر الواهب وفحصه للتأكد من سلامته. بدا القلب قوياً، فوضعه في وعاء زجاجي يحتوي على محلول من الملح والبوتاسيوم ليحفظه مشلولا، ثم وضع الوعاء في صندوق ثلج.

اتصل مكلوركن بكولف ليعلمه بأن الشحنة الثمينة في طريقها اليه. وكان لدى كولف وفريقه خمس ساعات لزرع القلب في صدري قبل أن يموت، وأموت أنا معه.

في هذه الاثناء أعمل كولف المبضع في جلد صدري، ونشر القص (عظم الصدر) ثم أفسح القفص الصدري وفتح شغاف القلب، ذلك الغلاف الليفي الذي احتوى قلبي العليل. كنت في هذا الوقت موصولا الى جهاز يقوم مقام القلب والرئتين.

أصبح كل شيء جاهزاً. (يلتزم جراحو القلب قاعدة تقضي بألا ينتزعوا القلب القديم قبل أن يصبح القلب الجديد داخل غرفة العمليات.)

وصل مكلوركن حاملا القلب قبيل الرابعة فجراً. فأُقفل ملقط معدني على شرياني الاورطي عازلا قلبي عن دورتي الدموية. وبدأ الجراحون فصل القلب عن

---

(٦) الموت الدماغي هو توقف الجهاز العصبي المركزي نهائياً عن العمل، وبقاء اعضاء الجسم عاملة حتى يوقف امداد الجسم اصطناعياً بالضروريات الحيوية.

الجسم الذي كان أحياه ٤٩ عاماً. ووضع "الكيس" الرمادي المنتفخ الذي فقد شكله الطبيعي في وعاء وأخذ بعيداً. وأخبرني الاطباء لاحقاً أنه لم يكن بقي لي على الارجح الا بضعة أيام مع القلب القديم.

وُضع القلب الجديد في صدري بسرعة، وخيط الى الاوردة. ثم حانت اللحظة الحرجة، عندما يتوجب على جسم بشري الاستجابة للقوى المحيية من بشري آخر.

نزع الاطباء الملقط عن الشريان الاورطي في الساعة ٤،٥٥ صباحاً، فتدفق الدم الى قلبي الجديد. مرّت ثوان فيما العضو الغريب يستعيد حرارته، متغيراً من حال ترهل وازرقاق بسبب الافتقار الى الاوكسيجين، الى عضو مشدود زهري اللون. وظهرت فجأة اشارة على شاشة المراقبة في غرفة العمليات. لقد عاد القلب الى الحياة في صدري بعد نحو ساعتين و٣٥ دقيقة من مغادرته الجسم الذي ولد فيه.

أفقت على نحو مفاجىء بعد وقت قصير. كان أول ما أحسسته خفقاً منتظماً مطمئناً داخل صدري. ورأيت غيليان وجيريمي يلوحان لي من خارج العازل الزجاجي. فرفعت ابهامي اشارة الى أنني بخير.

تعافيت بسرعة، وخرجت من المستشفى قبل انقضاء أسبوعين. وفي اليوم التالي لعودتي الى المنزل ذهبت في مهمة خاصة: اقتفيت الطريق التي سلكتها ذلك الصباح الكئيب من يناير (كانون الثاني) قبل ١١ أسبوعاً. وغمرني شعور رائع. لم تكن مشاكلي انتهت بالطبع، فعليَّ أن أتناول، كل يوم من بقية حياتي، عقاقير قوية مقاومة لنبذ الجسم عضواً غريباً، وأن اخضع لجراحات دورية لاستئصال أنسجة من القلب الجديد للتأكد من عدم حصول النبذ. لكن الطقس كان دافئاً ذلك اليوم، والاحساس بالربيع يملأ الاجواء.

كل لحظة سأحياها عجيبة حقاً!

ديك بوتيير ■

سر الخسّة

أنا أشتري الفاكهة والخضر من مزرعة صديق. وذات يوم اضطررت الى شراء خسة من قسم البقالة في أحد المخازن الكبرى الانيقة. وكانت الخسة جميلة ومرتبة، كما فاق سعرها ما أدفعه عادة. وكم كانت دهشتي كبيرة عندما فتحتها فاكتشفت داخلها دودة كبيرة خضراء.

ولحسن الحظ كانت أختي حاضرة، فأخبرتني احدى حقائق الحياة: "شراؤك خسة من متجر فخم لا يعني أنك لن تجدي فيها دودة. لكنه يضمن لك دودة من الباب الاول."

س.ك.

المختار

اربحوا ٣٣٪

يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيها
بين ١/١/١٩٩١ و٣١/١٢/١٩٩١
اربعة اعداد اضافية مجاناً
مع كل ١٢ عدداً.
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهراً) يتلقى
١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم.
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً.
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العنوانين المذكورين
خلف هذه القسيمة

الاسم ________________________

____

العنوان ________________________

____

التاريخ ________________________

التوقيع ________________________

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العنوانين الآتيين:

AL MUKHTAR Magazine
c/o Aramex International Courier
P.O.Box 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

امام محل ريتشارد بوث
لبيع الكتب المستعملة
في هاي - اون - واي.

HOPE STUART

مئات الالوف من المخطوطات والكتب المستعملة تجمع من أنحاء العالم وتباع في قرى وادعة

قرى الكتب

استنتج نويل آنسيلو، بعد سيرة زاخرة بالأحداث أمضاها عميلا في الاستخبارات البلجيكية وصحافياً ومديراً لشركة نفط، أن أفضل السبل الى النجاح أن يمضي الانسان عكس التيار السائد. فان سمعت الناس كلهم يكررون الرأي ذاته، فان الرأي المخالف تماماً قد يقارب الحقيقة. وكانت إحدى وجهات النظر التي دأب على سماعها عام ١٩٨٤، فيما كان يستعد للتقاعد، أن القرى العتيقة في اوروبا محكومة بالاندثار. وطرق سمعه ان التلفاز يقضي على القراءة والكتابة.

لم يأبه آنسيلو لأي من هاتين المسألتين، فهو مولع بالحياة في القرية العتيقة ريدو حيث يملك بيتاً من حجر يظلله سقف أردوازي ويرقى بناؤه الى القرن السادس عشر. فعلى بعد حوالى ١٢٥ كيلومتراً من بيت له في العاصمة

بروكسل، تقع ريدو، في الجنوب الشرقي، وسط مزارع وغابات وأنهر في مقاطعة الأردين، جزيرة وادعة آمن آنسيلو بأن العالم المعاصر المشحون بالقلق هو في حاجة اليها.

وكان مولعاً بالكتب، جمعها عبر السنين. ولم تفته الملاحظة أن ثمة كتباً في كل ناحية لديه. فهي في بيته في ريدو فائضة عن الرفوف ومكدسة على السلالم. وهو ألف كتاباً عن غابر ريدو، ولم يقوَ على تخيل المستقبل من دون كتب. وبعد تفكير متروٍ عزم على الانتقال الى ريدو والتفرغ لتحويلها مكتبة ضخمة لبيع الكتب المستعملة.

نعته صحبه بالجنون. فما الذي قد يدفع طالبي الكتب الى سوق سياراتهم مسافة ١٢٥ كيلومتراً لشراء غرض يستطيعون الحصول عليه من المكتبات الكثيرة في بروكسل؟

لكن آنسيلو كان سمع بمجنون آخر اسمه ريتشارد بوث حقق في ويلز ببريطانيا ما كان يقترحه هو في بلجيكا. وكان بوث عام ١٩٦١ شاباً في العشرينات يطفح بهجة وحماسة، وقد عاد الى مسقط رأسه، القرية الريفية هاي – أون – واي، عقب تخرجه في أوكسفورد واشتغاله محاسباً لمدة قصيرة. وكانت هاي – أون – واي، كمثيلاتها من قرى بريطانيا، تتناقص سكاناً. ودار في خلد بوث ان إحدى الوسائل الناجعة لاحياء القرية هي توفير عمل نافع لأهليها، كبيع الكتب.

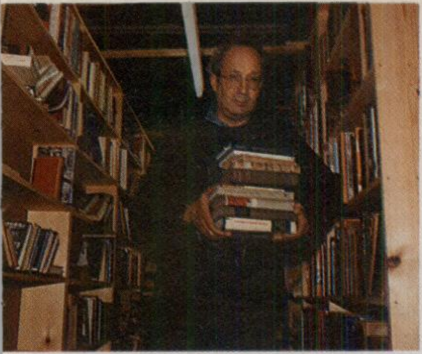
HADYN PUGH

ريتشارد بوث يعمل في محله.

فابتاع مبنى وبضعة آلاف من الكتب، ثم أشاع الخبر أن هاي – أون – واي ستغدو عاصمة الكتب المستعملة في بريطانيا. واشترى، بمرور السنين، ثمانية عقارات اخرى حوّلها مراكز لبيع الكتب وملأها بمشترياته التي جمعها في جولات له في بريطانيا وأوروبا وأمريكا الشمالية. وحين زار آنسيلو القرية للمرة الاولى عام ١٩٨١، كان انقضى على بوث ٢٠ عاماً وهو في عمله الناجح، وحذا حذوه عدد من التجار، فأصبح في هاي – أون – واي ١٥ محلا لبيع الكتب يقدر مخزونها بأكثر من نصف مليون كتاب.

من كل حقل. شعر آنسيلو بضيق إذ سمع أن بوث اشترى من فوره مجموعة رائعة من اقطاعي صاحب قصر يبعد ٤٠ كيلومتراً عن ريدو. فاشترى قسماً من المجموعة من بوث وأعادها الى موطنها لتشكل نواة عالمه الجديد.

اغتبط بوث حين رأى بذار فكرته ينمو

PHILIPPE SAMSON

REDU INITIATIVES

(فوق) نويل آنسيلو (الى اليمين) في محله.
(تحت) ريدو، قرية الكتب.

في تربة غريبة، فساهم بخبرته وحماسته في المشروع. وأُقنع وزير الموازنة البلجيكي والسفير البريطاني في بروكسل بحضور افتتاح "معرض ريدو للكتب" في عطلة ربيع ١٩٨٤، ثم وقع عقد "توأمة" بين قريتي هاي - أون - واي وريدو.

وكان جيرار فاليه، صديق آنسيلو وهو شخصية اذاعية وتلفزيونية، تعهد تغطية هذه الاحداث إعلامياً. وجاءت النتيجة مذهلة، اذ وفد ما يزيد على ١٢ ألف نسمة من كل ناح. وتمكن عدد من باعة الكتب البلجيكيين الذين حوّلوا البيوت المهجورة والاسطبلات في ريدو محلات لبيع الكتب، من بيع كميات وفيرة من بضاعتهم في المعرض، مما شجعهم على توقيع عقود استئجار عدد من الاملاك.

في ريدو اليوم ٢٣ مكتبة ومصالح عدة رديفة، من معامل تجليد ومصنع للورق الفاخر وآخر لأُطر الصور، فضلا عن صالات عرض للاعمال الفنية. قال لي العمدة ليون ماجان حين زرته: "لشد ما تبدلت الأمور هنا. ففي بداية الثمانينات كنا مثال المجتمعات الزراعية التي تموت في هذه البقاع. فلا أعمال للشبان في القرية ولا في المناجم ومصانع الفولاذ التي كانت تغلق أبوابها في الجنوب. وغدت أحياؤنا خاوية كئيبة. ولكن انظر الآن الى قريتنا الصغيرة، لقد أصبحت عالمية."

حقاً إنها كذلك. ففي موقف قريب رأيت سيارات آتية من كل صوب، غالبيتها من بلجيكا طبعاً، ولكن ثمة أخريات من هولندا واللوكسمبور وفرنسا وألمانيا. ووصلت حافلة مليئة بيابانيين من مطار زافينتيم في بروكسل. وكان فنلنديون زاروا المكان في اليوم السابق. وجاء تشيكيون ادخروا ما استطاعوا من نقود لشراء كتب تكشف لهم العالم الذي أُغلق دونهم لأكثر من ٤٠ عاماً.

تتشعب الشوارع من الساحة الى محال بيع الكتب في كل اتجاه. نويل آنسيلو جالس في محله المتأنق متهللا، اذ انه باع لتوه طبعة ثمينة من رسالة وضعها عالم الفلك البولوني كوبرنيكوس

في القرن السادس عشر. وفي أعلى الطريق متجر تديره رينيه فاكس التي تركت عملها أمينة للمكتبة الملكية في بروكسل وجاءت الى هنا. كان في محلها زوجان شابان يتصفحان مجموعة من الكتب حين دخلتُ. صاحت الزوجة مبتهجة: "آه، انظر، إنه كتابي الأثير الذي كنت أقرأه وانا فتاة." سرّت رينيه فاكس بما سمعت، فهي ألفت ذاك الكتاب قبل ربع قرن لتقرأة على صغيرها حتى ينام.

مكتبة لوي مالفاتي متخصصة بكتب تاريخ الأزياء. أحد زبائنه يبحث عن شيء محدد: رسوم لملابس الفرسان في جيش نابوليون. وأسرة تطوِّف بدافع الفضول، فتذهل اذ ترى أن ثمة مجلدات عن الأزياء، ثم تشتري كتباً عن الدروع والثياب في بلاطات القرن الثامن عشر.

هنود ورعاة بقر. يقول آنسيلو ان الوسيلة العملية الوحيدة لتوفير المنشورات التي يرغب فيها القراء، هي أن نملأ القرى كتباً. ويضيف: "**هناك** مكتبات كثيرة في المدن، ولكن ليس لدى الانسان وقت كاف ليتجول فيها على مهل. كما أن أصحاب المكتبات لا يشجعون زبائنهم على ذلك. ولكن في قرية للكتب مثل ريدو متّسع من المكان والزمان. وبوجود ٥٠٠ ألف كتاب هاهنا، لا مناص من أن تجد كتباً تهمك."

وينوه آنسيلو بازدياد شهية الناس للقراءة، تنشطها أشكال جديدة من وسائط الاتصال كالتلفزة. ويعلق ريتشارد بوث على ذلك: "يشاهد الناس برنامجاً تلفزيونياً عن غابة مطر في الامازون، فيرغبون في الاستزادة، فيرجعون الى الكتب. وقس على ذلك. في الأيام الماضية لم أحتج الا الى رفّين أضع عليهما كل الكتب التي عثرت عليها عن الصناعات والحرف اليدوية. لكني اليوم أحتاج الى هذه المساحة لترفيف كتب عن زخرفة الأقمشة فحسب."

يستلزم خزن هذه الكميات من الكتب تنظيماً رفيعاً. ولدى ريتشارد بوث شبكة من المراسلين في أرجاء الولايات المتحدة وأوروبا تخطره عن مكان الكتب المستعملة وزمان عرضها. ويزوده وكيله التجاري في نيويورك كتباً عن رعاة البقر والهنود، تلك التي يتناتشها هواة الغرب الامريكي القديم. وثمة مراسلون آخرون يبلغونه عن تصفيات في مكتبات المدارس والأديرة التي تتضمن مؤلفات نادرة باللاتينية.

ويشير بوث الى أن "لقرية الكتب زبائن على مستوى دولي." ففي احدى مكتباته مجموعة ضخمة من المؤلفات عن الثقافة الهندية الامريكية، عثر فيها تاجر كتب آت من توبيلو في ولاية ميسيسيبي على كتاب نادر كان ينقص مجموعته.

وثمة جماعات اخرى بدأت تدرك أهمية انشاء قرى على غرار هاي - أون - واي وريدو. ففي فرنسا فُتنت المحللة النفسانية كوليت تروبليه بالشوارع الساكنة في قريبة بيشيريل في منطقة

بريتاني، لكنها اغتمت لرؤية البيوت الحجرية القديمة خاوية ومقفلة بألواح خشب. اقترح أحد أصدقائها تحويل بيشيريل قرية للكتب. فاستجمعت كوليت الدعم، وسرعان ما انطلق وفد الى ريدو وعاد مقتنعاً بأن بيشيريل يمكن ان تسير على خطاها. وأقيم معرض للكتب عام ١٩٨٩، فلقي نجاحاً كبيراً مما شجع عدداً من التجار على استئجار مساحات للعرض هناك. وزار بوث الموقع في الصيف الماضي، وأعرب عن أمله أن تزدهر بيشيريل لتصبح ثالثة قرى الكتب في أوروبا.

كتاب أثير. بوث وأنسيلو متعاونان الآن لانجاز مشروع طموح آخر في جنوب غرب فرنسا. ففي قرية مونتوليو المشمسة القريبة من أنقاض كاركاسون العائدة الى القرون الوسطى، مبان حجرية قديمة مهملة يخطط المقاولون لتحويلها محالاً لبيع الكتب تستقطب زبائن من بلدان غرب المتوسط. وقد اشترى أنسيلو وبوث أملاكاً في مونتوليو، وفتح بوث مكتبة هناك.

فشت فكرة قرى الكتب خارج أوروبا الغربية. اذ استقصى مبعوثون من اليابان كلا من هاي - أون - واي وريدو وفي بالهم انشاء مثيلات لهما في جزيرة هوكاييدو. كما درس موسيقي سوفييتي خططاً لاقامة قرية للكتب في جبال القوقاز عند أطراف بلدة تبيليسي.

ويمني بوث وأنسيلو النفس بشبكة من قرى الكتب حول العالم. فالكتب إنما جُعلت للطواف، فهي رفيقة تتيح لنا الاتصال عبر الزمان والمكان بأشخاص لن نلقاهم أبداً.

وتشهد قرى الكتب كل يوم نفحات تقدير صادرة عن سياح تقع في أيديهم كتب تنبه ذكرياتهم الدفينة. وفي رحلتي الاخيرة الى هاي - أون - واي سمعت صيحة غبطة من عجوز أنيقة الملبس. لقد عثرت على طبعة قديمة من كتاب "القبعة الخضراء" لمايكل آرلين، وهي رواية اعتُبرت بالغة الجرأة في العشرينات. ولعلها، كما أخبرتني، النسخة عينها التي كانت تقرأها في ضوء "بطارية" تحت ملاءة سريرها في المدرسة الداخلية.

وفيما أنا أشق دربي في أحد المحال وقعت على نسخة من كتابي الأول، وهي رواية ألفتها قبل سنين وحظيت ببعض التقريظ من النقاد ثم اختفت من الاسواق. لكن احدى النسخ المقروءة جداً وجدت سبيلها الى هذه القرية الويلزية الهادئة.

سوّلت لي نفسي ان أدفع بضعة بنسات وأعود بالكتاب الى البيت. لكني فكرت: ليبقَ حيث هو، علّ أحدهم يأتي باحثاً عنه، فيحتفظ بالكتاب ويوصي به الى ورثته، أو يبيعه فيتابع كتابي تطوافه ليجثم على رف في بلجيكا أو هوكاييدو أو تبيليسي. ولعله يعطي أحد القراء الفضوليين يوماً فكرة عن أسلوب الكتابة في الماضي المطموس للقرن العشرين.

روبرت فرنيك ■

قصة من واقع الحياة

علق الشاب تحت سيارته المقلوبة
فأغرقته المياه. لكن جهازاً طبياً متطوراً أنقذه من موت محقَّق

غريق القناة

ILLUSTRATION (BASED OF KVBC, LAS VEGAS, NEWS VIDEO): JEFFREY MANGIAT

عرفت لاس فيغاس[1] ليلة مشهودة في ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠. فقد هطلت الثلوج على المدينة الصحراوية وحولت الشوارع زلقة. وكان موري براون (٢٦ عاماً) عائداً الى منزله بعدما اشترك في مباراة "بلياردو"، يقود سيارته الجيب في شارع واشنطن الذي تفصل بين خطيه الشرقي والغربي قناة من الاسمنت عرضها تسعة امتار. وتصرِّف هذه القناة، في أحوال جوية عادية، بضعة سنتيمترات من مياه الأمطار الى بحيرة ميد. لكنها كانت في ذلك اليوم مترعة بالمياه العكرة الثائرة، الناتجة من الامطار الغزيرة والثلوج الذائبة.

واذ اقترب براون من احدى الاشارات

(١) مدينة في ولاية نيفادا الامريكية.

الضوئية اندفعت نحوه عربة تسوُّق. انحرف محاولا تجنبها ففقد سيطرته على الجيب التي انزلقت وانقلبت قبل ان تسقط في القناة حيث استقرت مقلوبة. وعلق براون داخلها مغموراً بالمياه المندفعة.

وبعد لحظات توقفت سوندرا تورس عند تقاطع الطرق هناك فلمحت عجلات لا تزال تدور فوق مياه القناة. فهرعت الى متجر قريب واتصلت بقسم الطوارىء. وفي مركز للاطفاء غير بعيد استيقظ النقيب بيري هورت لدى سماعه رنين جرس الطوارىء في الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل. فأسرع الى احدى سيارات الاطفاء وارتدى وأفراد طاقمه معاطفهم وخوذاتهم. وبينما هم يهمون بالخروج، سمعوا صوتاً أجش عبر جهاز الارسال: "هناك سيارة عالقة في القناة."

محاولات انقاذ. كان هورت يعرَف المنطقة جيداً، فهو اعتاد أن يتلهى بالوحل هناك وهو بعد صبي.

عندما وصل في سيارة الاطفاء الى مكان الحادث كان رجال الاسعاف والشرطة سبقوه اليه. وتجمع ايضاً حشد صغير من الفضوليين.

باشر رجال هورت عملهم بسرعة. فمدوا "حبل أمان" فوق المجرى على مسافة عشرة أمتار من مكان سقوط الجيب. ثم أوقفوا شاحنة قطر في محاذاة القناة. في هذه الاثناء كان المسعف الطبي كورتس هاربر يخوض في المياه الموحلة حاملا سلكاً معدنياً. ناداه هورت: "هل من أحد في السيارة؟" أجاب هاربر: "لا أدري." وأدرك كلاهما أن ثمة احتمالا مفجعاً أن تكون المياه جرفت ركاب الجيب.

استطاع هاربر أن يعقد السلك بمحمل السيارة. ورفعتها شاحنة القطر رويداً رويداً الى أن اتكأت على جنبها. فجأة برزت من نافذة الجيب قدمان تنتعلان حذاء أبيض.

أثار منظر القدمين اندفاع المنقذين. فغطس هاربر تحت المياه وأحكم حبلا حول جسد موري براون الذي بدا فاقداً الحياة. وصاح هورت: "اجذبوا الحبل!" لكن شيئاً لم يتحرك.

غطس هاربر مجدداً تحت سطح الماء، فألفى أنشوطة الحبل قد لُفَّت حول جسد براون وعمود المقود معاً. فربط حبل الأمان خاصته حول براون وأعطى اشارة للآخرين الذين شرعوا يشدون. كان ذلك عملا شاقاً، اذ كان جسم الضحية انتفخ من جراء ابتلاع كمية كبيرة من المياه. وتمكن الرجال أخيراً من اخراج الغريق الى حافة القناة. ولكن ما ان لامس جسم براون الضفة المائلة الموحلة حتى انزلق منفلتاً من الحبل.

صرخ أحد المسعفين الطبيين: "يا إلهي! أمسكوه!" وللحال قفز بيري هورت الى المياه المضطربة، وأمسك بالجسد الثقيل المتواثب أمامه وأحكم حوله ساقيه. وعاد به في غضون ثوان الى خط

الامـان وتثبَّت بالحـافـة صـائحـاً: "ساعدوني! اني عاجز عن الصمود."

وبدا للحظة أن الحادث الغريب سيودي بحياة شخصين.

هب الاطفائي بيل كومبز الى خط الأمان عند حافة الضفة وتبعه آخرون. وامتدت الأيدي نحو النقيب الاطفائي المنهك. صاح هورت: "انه تحتي!" فتطاول الرجال بأجسادهم فوق الحبل والتقطوا براون وهم يهتفون: "لقد أمسكنا به!"

شعر هورت بالأيدي تنزع عنه الحمل الثقيل، فأرخى عضلات ساقيه شبه المتجمدة. ولكن سرعان ما زلَّت به قدماه فتشبث بحبل الأمان بكل ما أوتي، إذ أدرك أنه هالك لامحالة اذا هو انجرف بعيداً عن الحبل.

فجأة أحس هورت بيد تمسكه من معطفه. ثم أحس بأخرى. لقد تمكن المسعف الطبي مايكل هيل من الامساك به وشرع يشده رافعاً اياه، الى أن استطاع هورت الوقوف على الضفة الموحلة.

راقب هورت المسعفين يدخلون براون سيارة اسعاف. ولم يكن أتيح له حتى تلك اللحظة متسع للتفكير. فراحت الاسئلة تضج في ذهنه: كم من الوقت مضى على وجود هذا الرجل تحت الماء؟ وماذا لو توفي بعد كل العناء الذي تكبدناه؟ ان تعريض الاطفائي حياته للخطر لانقاذ شخص لا يلبث أن يموت هو في الواقع حقيقة محبطة في صلب مهنته.

"اتصلوا بجانتيليلو!" كان قلب براون توقف تماماً وخمدت أنفاسه لدى وصوله الى المركز الطبي الجامعي، على رغم المحاولات الجاهدة للمسعفين. وكانت رئتاه مملوءتين ماء. أما ضغط دمه فكان معدوما، ولا دليل على أن جهازه العصبي المركزي يعمل. وكان لون بشرته أزرق قاتماً وجسده بارداً كـالثلج. وانخفضت حرارة جسمه على نحو خطر الى ٣٠،٥ درجة مئوية.

انصرف الدكتور باري فيشر وفريقه المختص بالصدمات الى عملهم. فلفوا جسد براون بملاءات كهربائية بعدما وصلوه بجهاز تنفس اصطناعي. ثم رفعوا حرارة جهاز التنفس وضخوا سوائل ساخنة في جسم براون من طريق التقطير الوريدي. لكن حرارة جسمه لم تتوقف عن الهبوط. فعمدت ممرضات مختصّات الى غسل معدته ومثانته وجوفه بالماء. ومع ذلك هبطت حرارة جسمه درجتين بعد دقائق قليلة.

قال فيشر: "اننا نفقده. وسيلتنا الوحيدة لانقاذ هذا الرجل هي تدفئته بسرعة! اتصلوا بجانتيليلو."

اتصلت احدى الممرضات هاتفياً بـالدكتـور لاري جانتيليـلو، الجراح المختص بالصدمات. وهو جراح شاب كان ينتظر مثل هذه الحالة الطارئة.

لقد سيطر على جانتيليلو في سنوات عمله الأولى هاجس "صفوف ضحايا الصدمات الذين عجزنا عن انقاذهم لأننا لم نستطع رفع حرارة دمهم."

يسبب التعرض للبرد بعض حالات هبوط حرارة الجسم، لكن حالات أخرى تكون نتيجة صدمة ناجمة، مثلا، عن الاصابة بجرح أو الخضوع لجراحة. وعندما يخسر الجسم كمية كبيرة من الدم تصبح عملية الأيض[٢] بطيئة وتنخفض تاليأ حرارة الجسم. ويمكن رفع حرارة الدم بضخه عبر جهاز قلبي - رئوي[٣] يستخدم عادة في جراحات القلب المفتوح. لكن هذا العلاج يستدعي جراحة ويتطلب استخدام مواد مانعة لتخثر الدم. ولا يمكن اعطاء الجرحى هذه المواد والا نزفوا حتى الموت.

أدرك جانتيليلو ضرورة ايجاد حل. وهو يقول: "عندما تأملت الجهاز الذي يستخدم لتدفئة الدم المعد لنقله الى جسم مريض، تبادر الي امكان تطويره بحيث يتولى تدفئة دم المريض نفسه من خلال قيام القلب مقام المضخة."

وعمل جانتيليلو في كلية الطب في جامعة ميامي على تطوير هذه النظرية، ثم عرضها على غاري تورسكي وفيس فركارت في مؤسسة "التكنولوجيا - المستوى ١"[٤] في مارشفيلد بولاية مساتشوستس. وبعد مداولات للمشروع ووضع رسوم بيانية له، أنجز تورسكي نموذجاً شغّالا للجهاز دعاه «CAVR»[٥] يعمل على اعادة رفع الحرارة على نحو متواصل في الشرايين والأوردة. ونجحت تجارب الجهاز على الحيوانات، مما جعل جانتيليلو وفريقه تواقين الى اختباره في معالجة حالة مرضية بشرية ملائمة.

الابن الوحيد. هرع جانتيليلو الى مكتبه لاحضار الجهاز المدفىء، وساقه على عربة الى غرفة معالجة الصدمات، فيما كان مسؤولون في المستشفى يتصلون بعائلة موري براون في كاليفورنيا لنيل موافقتها على استخدام العلاج الجديد.

في غضون ذلك كان براون على شفير الموت.

أدخل جانتيليلو بتأن قسطراً (أنبوبة) في أحد شرايين الفخذ اليسرى وآخر في أحد أوردة الفخذ اليمنى. ثم أدار الجهاز.

يتولى الجهاز المدفىء رفع حرارة الدم الى ٣٨،٣ درجة مئوية بتمريره في أنابيب من الألومنيوم محاطة بماء ساخن. ويصل دفق الدم الدافىء المعالَج الى القلب أولا قبل جريانه في أنحاء الجسم.

ساد الغرفة جو من التوتر. وأعلنت احدى الممرضات التي كانت تقيس ضغط الدم أنه "٧٠ على ٢٠." وبعد نحو خمس عشرة دقيقة بدأ صدر براون يتحرك، بارتعاش سطحياً في البداية ثم على نحو أعمق وأكثر انتظاماً وتواتراً. لقد بدأ يتنفس، وانتظمت دقات قلبه، وسجل مؤشر الحرارة ارتفاعاً بلغ درجتين. وبعد برهة بدأت أنامل براون تهتز عشوائياً، ثم أمست هادفة. كان يحاول انتزاع الأنابيب.

---

(٢) الايض (metabolism) هو مجمل التغيرات الكيميائية الحيوية داخل الخلايا.

(٣) Cardiopulmonary bypass machice

(٤) Level 1 Technologies

(٥) Continuous Arterio-Venous Re-warming «CAVR»

وعادت الممرضة تعلن: "أصبح ضغط الدم ١١٠ على ٦٠." وبعد نحو ساعة صار جلد براون دافئاً ودقات قلبه منتظمة وتخثر دمه طبيعياً. أما حرارة جسمه فارتفعت الى ٣٧ درجة مئوية.

في تلك الأثناء كان والده ريتشارد ووالدته إيفيت وأخواته الخمس اللواتي يكبرنه سناً في طريقهم الى المستشفى. كانوا ذاهلين ومصدومين وشبه يائسين من نجاته بعدما علموا أن المياه الباردة غمرته مدة طويلة.

لكن امرأة واحدة لم تفقد الأمل.

حاولت برناديت الممرضة وبيتاني الاختصاصية بمعالجة صعوبات التنفس، أن توضحا لوالدتهما الأبعاد الطبية للحادث الذي تعرض له شقيقهما موري. لكن الام لم تبدِ اهتماماً. وهي تذكر: "أرادت ابنتاي أن أعرف كل شيء عن حال موري الميؤوس منها، لكي أوافق على وقف المحاولات الطبية لانقاذه، لكنني لم أفقد الأمل. وأظن أن قلب الأم هو السبب."

لدى وصول العائلة كان موري فاقداً الوعي وقد هددت الالتهابات رئتيه وأعطبت كليتيه. وهو أبقي حياً بواسطة التنفس الاصطناعي والديلزة.[٦]

وقف ريتشارد براون بجانب السرير يجهش باكياً، ثم انحنى وقبل ابنه الوحيد قبلة الوداع.

هل يموت؟ أخذت أخوات موري اجازات من وظائفهن وعائلاتهن وتناوبن

الدكتور لاري جانتيليلو وجهازه المنقذ.

السهر عليه، وكن يصرفن أوقاتهن بالاحاديث والاستماع الى الموسيقى. وتجمعت قرب سريره عمّات واعمام وخالات وأخوال وأصدقاء. يقول الدكتور جانتيليلو: "أدركت مذ التقيتهم أنهم عائلة متينة فريدة. وأنا من المؤمنين بأن الحب يشفي."

ولم تنصرف إيفيت براون وبناتها عن ملازمة سرير موري سوى مرة واحدة عندما قصدن مركز الاطفاء حيث أهدين الى العاملين فيه علباً من الشوكولاتة في لفتة عرفان. وقد أثر ذلك في نفوس الاطفائيين الذين أبلغوهن أنه نادراً ما زارتهم عائلة احدى الضحايا للاعراب عن شكرها.

وعلى رغم كل ذلك الحب ظل وضع براون يتدهور. وبدا أنه سيموت.

لكن الدكتور جانتيليلو رفض الاستسلام. وأخيراً بدأ علاجه الطموح

(٦) الديلزة (dialysis) هي ما يعرف بغسل الكلى.

PHOTO: © ED KOHNSTAMM

يعطي ثماره. فانخفضت حرارة موري براون وصارت كليتاه تعملان بفاعلية أكبر.

بعد مرور أسبوعين على الحادث حاول جانتيليلو تحديد امكان حصول ضرر في الدماغ. فخاطب مريضه: "حسناً يا موري. حرك ابهامك." فتركزت عيون جميع الحاضرين على ابهام براون.

وتحركت الابهام.

حتى جانتيليلو فوجىء بما رأى وقال: "أرني اصبعين."

فارتفعت اصبعان. ثم شكل براون بابهامه واصبعه دائرة وهي اشارة الى أنه في حال جيدة.

استرد موري براون عافيته تماماً، في ما خلا بعض الآلام التي تعلم تجاهلها. وهو يتمتع بذهن حاد وروح مرحة، ويهيىء نفسه لمهنة في عالم الطب.

أما الدكتور جانتيليلو، العامل الآن في مركز هاربورفيو الطبي التابع لجامعة واشنطن في سياتل، فيتكهن بانتشار استعمال الجهاز المدفىء.

ويعزو كل من الذين أنقذوا براون الفضل في نجاته الى الآخرين. يقول بيري هورت في جهاز جانتيليلو: "أليس رائعاً أن هذا الجهاز كان متوافراً عندما دعت الحاجة إليه؟"

فيسارع جانتيليلو مشيراً الى هورت: "هو الذي عرض حياته للخطر."

أما إيفيت براون، فمع امتنانها لهم جميعاً ترجع الفضل في نجاة ابنها الى مصدر آخر: "أردت أن يعود ولدي إلي. وصليت من أجل ذلك وتوقعت أن تستجاب صلاتي. وقد استجيبت. الله هو الذي أنقذه."

بوني رمسبرغ ■

حديقة عائلية

قررت غرسَ حديقة عائلية كتجربة حسنة لتنمية شخصيات أولادنا الخمسة. لكن الرحلة الى المشتل كانت كابوساً رهيباً، فقد أصرّ الاولاد على مشاهدة كل نبتةٍ في العنبر المنبسط على مساحة ٢٠ ألف متر مربع، وتشاجروا على دفع عربة التبضّع، وعلت شكواهم كلما اختار أحدهم أزهاراً من لون أزهارٍ آخر. ولدى رجوعنا الى المنزل أفرغت غضبي في زوجي الصبور وأنهيت حملتي قائلةً بسخط: "كل ما أريده هو سلام وراحة وأزهار جميلة."

فردَّ زوجي بهدوء: "أفهم شعورك، لكني أعتقد أن ما تطلبينه يُسمى جنازة."

د.ج.

لا شيء اكثر غموضاً من جهاز تلفاز دائر في غرفة خالية. كانه كوكب آخر يتكلم. يمكنك تصوره وهو لا يزال شغّالا حتى بعد زوال البشرية.

ج.ب.

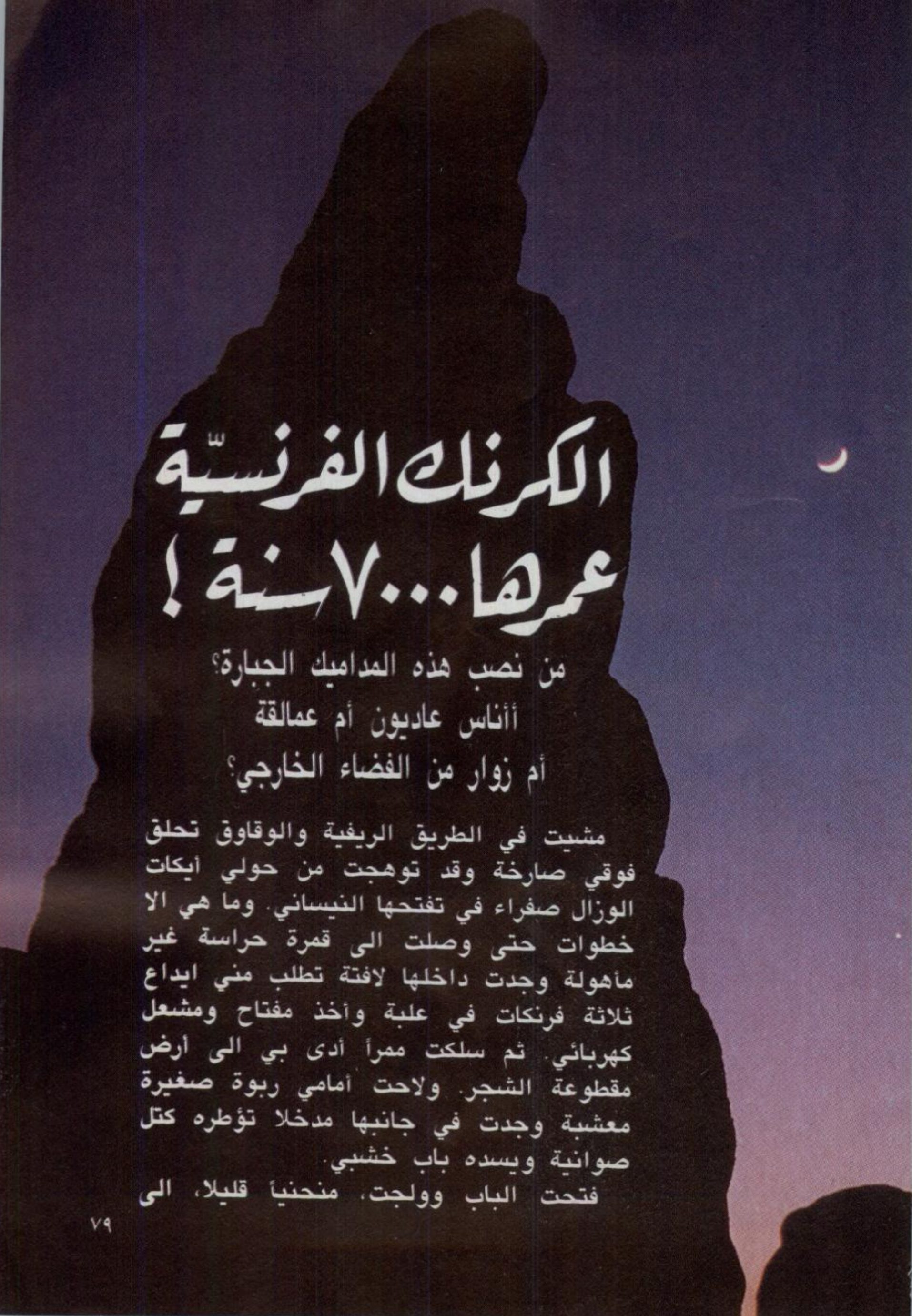

الكرنك الفرنسيّة عمرها ٧٠٠٠ سنة!

من نصب هذه المداميك الجبارة؟ أأناس عاديون أم عمالقة أم زوار من الفضاء الخارجي؟

مشيت في الطريق الريفية والوقاوق تحلق فوقي صارخة وقد توهجت من حولي أيكات الوزال صفراء في تفتحها النيساني. وما هي الا خطوات حتى وصلت الى قمرة حراسة غير مأهولة وجدت داخلها لافتة تطلب مني ايداع ثلاثة فرنكات في علبة وأخذ مفتاح ومشعل كهربائي. ثم سلكت ممراً أدى بي الى أرض مقطوعة الشجر. ولاحت أمامي ربوة صغيرة معشبة وجدت في جانبها مدخلا تؤطره كتل صوانية ويسده باب خشبي.

فتحت الباب وولجت، منحنياً قليلا، الى

سرداب رطب. وعلى ضوء المشعل الكهربائي الباهت تقدمت عبر ممر طوله ستة أمتار ونصف متر وجدرانه ألواح صوان مغروزة، فيما انبسطت على سطحه ألواح صوانية أكبر حجماً. وعند نهاية السرداب دخلت حجرة مربعة حيث تمكنت من الوقوف مستقيماً. وتراقص الضوء على نقش باهت في أحد الجدران، فلم أتبين إن كان وجهاً ام شكلا أم تُرْساً.

كان مكاناً غريباً تطالعك للحال كآبته وجلالته. أحسست بابتهاج السائح اذ وجدت نفسي داخل مجاز مدفن كركادو قرب بلدة كرنك في مقاطعة بريتاني غرب فرنسا. وذهلت للفكرة المروعة التي راودتني: إن هذا المبنى كان قائماً قبل ٧٠٠٠ سنة.

في اليوم التالي، على بعد سبعة كيلومترات غرباً، جلست في مرجة أتفكر في ركام عمود جبار بلغ ارتفاعه يوماً ٢٠ متراً ووزنه نحو ٣٥٠ طناً. وإذ تحطم بفعل قوة جبارة الى أربع قطع متكاملة، قبع مُكتنفاً في سر سقوطه العظيم. ويدعى هذا الأثر "المنهير الكبير المكسور"[١] كما دُرج على تسميته "حجر الجن"، وهو أكبر حجر استخرج ونُقل من مقالع أوروبا القديمة.

قبل التاريخ. عندما يتحدث المرء عن الميغاليث[٢]، أي "الحجار الكبيرة" باليونانية، يتذكر معظم الناس آثار ستونهنج في بريطانيا. إلا أن أكبر الأعمدة هناك لا يتعدى ارتفاعه سبعة أمتار ووزنه

(الى اليسار) مدخل ضريح في كركادو يعود تاريخه الى الألف الخامس قبل الميلاد. (تحت) حجار في احدى المرصوفات المنحرفة.

(١) Grand Menhir Brisé . والمنهير نصب حجري عمودي يعود الى فترة ما قبل التاريخ.
(٢) Megaliths

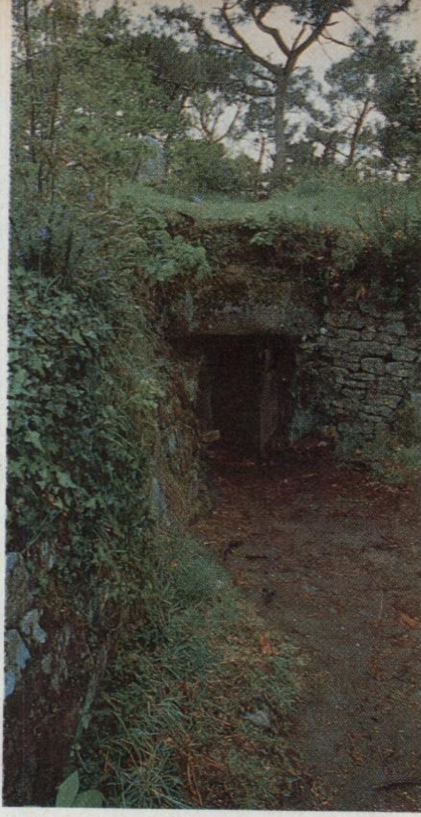

وتنتشر في المنطقة مئات القبور القديمة، وكثير منها، كمدفن كركادو، ما زال مطموراً تحت ربوات صغيرة من الاتربة والصخور المكدسة، في حين عرِّيت أضرحة أخرى من هذه التغطية. وتنتشر كذلك مئات الدلمنات[3] والمنهيرات التي نُحت بعضها وصُقل بأدوات حجرية من فترة ما قبل التاريخ. بيد أن أروع المشاهد هي المرصوفات. فعلى بعد نصف كيلومتر من الكرنك غابة من المنهيرات المنتصبة في ١٢ صفاً تمتد شرقاً عبر أرض متموجة الى أبعد ما تراه العين.

وإذ سرتُ مسافة أربعة كيلومترات بين المرصوفات بدءاً بقرية لومنيك الصغيرة، تبينت أن المسافات الفاصلة بين الانصاب غير متساوية وأن خطوطها منحرفة قليلا. كما ان الحجار الاعلى (أربعة أمتار) تنتصب عند الطرف الشمالي وتتضاءل حجماً مع الاتجاه شرقاً حتى تتوقف عند حافة غابة صنوبر على بعد كيلومتر.

بعد ذلك سرتُ مسافة أبعد شرقاً واجتزت مرتفعاً صغيراً فوصلت الى حافة كرماريو، وهي المجموعة الثانية من المرصوفات التي تفصلها عن قرية لومنيك سبعة صفوف رئيسية. ومن طاحونة هوائية خربة رحت أتأمل الصخور المنتشرة بانتظام.

وتعترض الطريق غابة صغيرة اخرى

---

(٣) الدلمن (dolmen) قبر مما قبل التاريخ قوامه حجر كبير مسطح مرفوع على عدد من الحجار المنصوبة.

٥٠ طناً. وأقدم آثار ستونهنج هي أحدث عهداً من كركادو بنحو ٢٥٠٠ سنة ولا يزيد عدد حجارها على ١٣٠، فيما يربو عدد الحجار في الكرنك على ٤٠٠٠.

والميغاليث في الكرنك هي الأكثر إثارة للاعجاب في العالم الغربي. وقد أدى التنقيب في حقول بريتاني وغاباتها على مدى قرنين ونيف الى استخراج مجموعة غنية من التحف التي ما زالت الاسرار تكتنف معانيها. وقد أعرب عن ذلك عالم الآثار البريطاني إيفان هادنغهام بقوله: "الكرنك واحد من أعتد الالغاز في تاريخ علم الآثار."

© 1989 BY DAVID ROBERTS. CONDENSED FROM SMITHSONIAN (SEPTEMBER, '89), WASHINGTON, D.C.
PHOTOS: © CORSON HIRSCHFELD 1989

عند مستهل أنصاب كرلسكان التي تمتد في ١٣ صفاً مسافة ٣٥٥ متراً. ولكن يبدو أن الحجار امتدت في نطاق أكبر في ما مضى، إذ ان المرصوفات تنتهي مباشرة عند قرية كرلسكان القديمة التي يتضمن بعض منازلها الحجرية مداميك من المنهير.

ولدى انتهاء مسيرتي التي شملت أكثر من ٣٠٠٠ حجر قائم، وقفت مأخوذاً بهذه الآثار التي لم أر مثيلاً لها.

منبع حضارة. المدهش أن هذه المرصوفات لم تُذكر قبل القرن الثامن عشر. واذ بدأ الرحالة وعلماء الآثار يبدون اهتماماً بهذه الحجار الشاذة في عشرينات القرن الثامن عشر، انطلقت طائفة من النظريات. ومنها ما ساد بين

(فوق) الناس يعايشون المنهيرات في قرية لومنيك الصغيرة.

(تحت) قطع جبارة من "المنهير الكبير المكسور" وهو عمود عملاق بلغ ارتفاعه يوماً ٢٠ متراً.

الأهالي ان كورنلي، شفيع كرنك الذي هرب من الجنود الرومان في القرن الثالث للميلاد، حول الجنود حجاراً. أما المؤرخون الذين أسقطوا هذه الأسطورة فافترضوا أن أنصاب المنهير معاصرة ليوليوس قيصر الذي اخضع بلاد الغال في العام ٥٦ قبل الميلاد، ووصفوا الذبائح البشرية الشنيعة التي قدمها الدرويد وهم نخبة من الغال. وقد ظن الباحثون الأولون أن هذه المرصوفات هي هياكل الدرويد، وحسبوا خطأ أن الحجار الممددة هي "موائد" الذبائح لأن تجاويفها الناجمة عن التأكل الطبيعي منحوتة بشكل يلائم الجسم البشري تماماً.

ورأى علماء القرن التاسع عشر في المرصوفات دلائل على هياكل للأفاعي، لأن تلويها يماثل أشكال الأفاعي. وعلى مر السنين فُسِّرت المرصوفات على أنها منصات لتجفيف الأسماك أو أسواق تجارية أو فنادق أو طرق أو حقول لألعاب قديمة تماثل الكريكيت والبولنغ والغولف. أما في القرن العشرين ففسرت المرصوفات على أنها مدرجات استعملها زوار فضائيون في رحلاتهم الى الأرض.

وعلى رغم ان بحاثة داهية خلص في العام ١٧٦٤ الى نظرية مفادها أن الميغاليث قد تعود الى عصر سابق للرومان، فلم تعمّ نظريته هذه الا بعد قرن حين أجري أول تنقيب جدي. وفي الخمسينات من هذا القرن درس علماء الآثار بعناية المصنوعات اليدوية لبناة الميغاليث واستنتجوا ان هذه المباني تعود الى الفترة الممتدة ما بين العامين ٢٠٠٠ و١٤٠٠ قبل الميلاد.

الا أن مفاجأة كانت تنتظر هؤلاء الخبراء، إذ إن تقنية الكربون المشعّ[٤] الجديدة بدأت تظهر دقائق كرونولوجية (زمنية) فاتت علماء الآثار التقليديين. وفي العام ١٩٥٩ أفاد أول كشف زمني كربوني على أحد الأضرحة في بريتاني أن تاريخه يعود الى زمن غير معقول هو العام ٤٣٠٠ قبل الميلاد. ولم يكن ذلك تقديراً خاطئاً اذ دلت الكشوفات في مواقع شتى الى أصول تعود الى الألف الرابع والألف الخامس قبل الميلاد. أما أقدم الأزمنة التي توصل اليها البحث فيخصّ ضريح كركادو الذي دلت القراءة الكربونية أنه عائد الى العام ٤٦٥٠ قبل الميلاد. وهكذا يُسلَّم اليوم بأن الكرنك هي من أبرز منابع حضارة العصر الحجري الحديث[٥].

مسألة محيرة. لا تبدو أطلال الكرنك شيئاً مهماً للعين الساذجة. فهي تلال متماثلة الابعاد تغطيها النباتات. وقد لا يطالعك مدى هذا الانجاز الهائل الا متى ادركت أن ربوات الاتربة والحجار هذه أقيمت بأيدي أناس لم يعرفوا الأدوات المعدنية. وليس أدل على ذلك من

---

(٤) Radiocarbon . وتعتمد هذه التقنية سرعة انحلال الكربون المشعّ لتحديد عمر جسم ما.

(٥) Neolithic age . وقد امتد هذا العصر في بريتاني بين العامين ٥٠٠٠ و٢٥٠٠ قبل الميلاد.

الاكتشاف الذي حققه عالم الآثار زكاري لو روزيك الذي نبش بين ١٩٠٠ و١٩٠٧ "ركام سان ميشال" وهو ربوة قرب وسط الكرنك، وقدّر حجمه بحوالى ٧٥ ألف متر مكعب! وعندما كُشفت آثار دهليز ضريح في جزيرة غافريني بمنطقة الكرنك بين ١٩٧٩ و١٩٨٤، وجد عالم الآثار شارل تانغي لو رو وفريقه أن لركامه شكلا متعمداً قوامه سطوح دائرية متراكزة[٦] من الحجر شبيهة بترتيبة المقاعد في مدرجات الملاعب الرياضية.

وداخل حجرة مدفن غافريني عرض بالغ الروعة من فنون العصر الحجري الحديث في بِريتاني. فعلى ٢٣ بلاطة من أصل ٢٩ تبطّن مجاز المدفن، حَفَرَ فنان رائد من الألف الرابع قبل الميلاد عدداً وافراً من القناطر المتراكزة ورؤوس الفؤوس والأفاعي وانماطاً من عصي الرعيان وأشجار التنّوب وأشكالا بشرية. وعندما فحص لو رو البلاطه الكبيرة التي تعلو الحجرة الداخلية وجد نقوشاً غير كاملة لأبقار طويلة القرون ولفأس بمقبض، وتبين له أن هذه النقوش تستتبع تماماً تصاميم وُجدت في الجزء الأعلى من جدار ضريح كبير يبعد مسافة كيلومترين عن المكان. ويبدو أن بلاطة رائعة الزخرفة بلغ طولها يوماً ١٤ متراً، ويرجح أنها منهير كُسر عمداً لاستعمال قطعه في بناء أنصاب جديدة.

إن ضخامة المنهيرات الكبرى والمداميك العليا في أضرحة الكرنك لدليل واضح على أن نقلها ونصبها تطلّبا مهارة فائقة ومئات من العمال. فالحجار، ومعظمها من الصوان المحلي، ربما اقتُلعت بدق أسافين خشبية في الشقوق الطبيعية وتشبيعها بالماء كي تتمدد وتشق الصخر. وقد طُرحت عشرات النظريات التي تفسر طرق نقل هذه الحجار الهائلة، ومنها نظريات منبسطات الأرض المائلة والحبال والمحادل والروافع والبكرات وحتى القوارب.

وفي العام ١٩٧٩ أزمع فريق من المتطوعين في بلدة بوغون جنوب بريتاني على نقل بلاطة من الاسمنت تزن ٣٢ طناً بالوسائل التي كانت متبعة في العصر الحجري الحديث. وعمد ٢٠٠ شخص الى شدها بالحبال وجرها على بكرات خشبية، فتمكنوا من تحريكها مسافة ١٠٠ متر على مستوى الأرض. ولكن يبدو ان "المنهير الكبير المكسور" الذي بلغ وزنه ٣٥٠ طناً جُرَّ مسافة أربعة كيلومترات كاملة. وقد رأى عالم الآثار البريطاني أوبري برل في كتابه "بريتاني الميغاليثية" أن "هذا العمل الضخم لمسألة تحير العقل المعاصر."

ظلال شك. علام، إذاً، تدل أنصاب الكرنك؟

السؤال، في ذاته، مشوب بالخطأ. ذلك لأن العصر الميغاليثي في بريتاني امتد زمناً لا يقل عن ٢٥٠٠ سنة، وهذا يعني أن مبانيه ربما نتجت من تعاقبات حضارية لكل منها خرافاتها وأعرافها.

(٦) متراكزة (concentric) اي متحدة المركز.

ولم يبدِ دارسو الكرنك في القرن الثامن عشر الا مقداراً ضئيلا من الاهتمام بالطقوس والأساطير المرتبطة بالانصاب. وقد سخروا من خرافات "الفلاحين الذين يماثلون حجارهم وقاحة وتفاوتاً." الا أننا بتنا اليوم نعرف أن الروايات القديمة قد تحمل حقائق تدوم ألوف السنين. وقد بقيت أعراف الميغاليث حتى زمنٍ قريب ظاهرة في الطقوس الشعبية القديمة التي تناول معظمها موضوع الخصب. ففي بلدة كرو - موكان درجت النساء اللواتي يرغبن في الحمل على رفع أثوابهن قبالة أضرحة الدلمن عندما يصير القمر بدراً. ودرج الأزواج الذين لا أولاد لهم على زيارة المنهير "لو فيسو" في مرصوفات لومنيك حين يصير القمر بدراً، فيطارد الزوج زوجته حول الحجر فيما يقف والدوهما خفراء.

أما الاعتقاد أن لحجار الميغاليث في الكرنك غرضاً فلكياً فقد راج في العام ١٨٧٤. وأخيراً توصل أستاذ الهندسة المتقاعد من جامعة أوكسفورد، ألكسندر طوم، في سلسلة دراسات أتمها عام ١٩٧٠، الى فرضية أن هذه الحجار مجتمعة هي مرصد قمري بالغ التعقيد. أما الحجر الاعجب بينها فهو "المنهير الكبير المكسور" الذي أقتنع طوم بأن الفلكيين القدامى استعملوه كمركز مراقبة. وتوزع المراقبون آنذاك في مواقع مختلفة حول الكرنك، وراقبوا ارتصاف رأس المنهير البعيد وقرص القمر الطالع أو الغارب، ثم علّموا مواقع مراقبتهم بنصب حجار صغيرة. هكذا، يقول طوم، سجل البناة معرفتهم بدورة القمر الانحرافية وسواها من الظواهر، وأفادوا منها في التكهن بخسوفات القمر.

اذذاك بدأ جدل احترافيّ دقيق. ففي العام ١٩٨٠ أعاد إيفان هادنغهام وأوبري برل فحص مواقع طوم، فأدى عملهما، وأعمال مشككين آخرين، الى طرح ظلال كبيرة من الشك على نظرية القمر. يقول هادنغهام: "تعكس هذه الانصاب معرفة، وان غير دقيقة، بالشمس والقمر. ولكن من الخطأ الاعتقاد أن أبناء العصر الحجري الحديث كانوا علماء ذوي تكنولوجيا متطورة. فمن الواضح ان معظم المرصوفات جزء من مجموعة معقدة من الشعائر التي لن تتسنى لنا معرفة غالبها."

غوامض باقية. تشير المقتنيات الفاخرة التي وجدت في المدافن الى أن المجتمعات الميغاليثية كانت بالغة التباين الطبقي. كما تشير الربوات المرصوفة الى أعمال شاقة استهدفت إجلال مدافن أقلية تضم ملوكاً وأبطالا تراثيين. وأخيراً، تشير عظام الحيوانات الدالة على ولائم طقسية مأتمية، وما طمر من مقتنيات ثمينة، الى معتقدات قديمة عن الموت والحياة. ويعني اسم كرماريو في اللغة البريتانية "موضع الأموات"، واسم كرلسكان "موضع الحرق."

بيد أن فهم غوامض المنهيرات

والمرصوفات أمر أكثر صعوبة. ويتجادل العلماء في ما اذا كانت المنهيرات المعزولة تُعتمد كمعالم طوبوغرافية[٧] او كأنصاب تذكارية. وقد تكون المرصوفات خطوطاً موكبية للاحتفالات. وقد تكون المنهيرات والأضرحة رموزاً لمدارك العصر الحجري الحديث لحركات الشمس والقمر.

أياً تكن المعاني، فان الكرنك معين للحضارة الميغاليثية في اوروبا، وعلامات خفية دافقة المعاني تَشْدَه العقل البشري، وعجائب تتركنا في عطش لا يروى. ولا يل لنا غير العودة الى هذا المكان كي نتلمس هذه الألغاز الصوانية ونشرِّد فيها خيالنا.

ديفيد روبرتس ■

(٧) الطوبوغرافيا هي السمات السطحية لموضع ما، وتشمل الهضاب والاودية والبحيرات والانهار والطرق وسوى ذلك.

فانوس الذكاء

كان ثلاثة رجال يتنزهون على شاطىء، فعثروا على فانوس مدفون في الرمل، فالتقطوه وراحوا ينظفونه، فخرج منه مارد قال لهم: "لبيكم! سأحقق لكل منكم أمنية واحدة."

ففكر الاول: "ان لدي زوجة رائعة وسيارة فخمة ومالا وفيراً." ففرك المصباح هامساً: "أتمنى أن أكون ذكياً عشرة أضعاف ما أنا." فقال له المارد: "صرت الآن أذكى عشرة أضعاف."

وفكر الرجل الثاني: "لي زوجة ثرية، وعندي ثلاث سيارات فخمة." ففرك المصباح مدمدماً: "أتمنى أن أكون أكثر ذكاء مئة مرة."

فقال له المارد: "لقد صرت الآن أذكى مئة ضعف."

وفكر الرجل الثالث: "زوجتي وارثة ثروة ضخمة، ولدي أسطول سيارات." ففرك المصباح وقال للمارد: "أتمنى أن أكون أذكى ألف مرة."

فأشار اليه المارد بيده معلناً: "لقد صرت الآن امرأة!"

أ.ر.

البلل والزكام

درسنا في صف علم الجراثيم أن الزكام ينتقل بملامسة الفيروس - كأن تصافح شخصاً يحمله. وطمأننا الاستاذ الى أن خروجنا حفاة مبللي الشعر لن يتسبب في اصابتنا بالزكام.

فانبرى أحد الطلاب قائلا: "أستاذ، هلا تكرمت بكتابة هذه المعلومات وتوقيعها؟ أريد أن أرسلها الى أمي."

س.د.

تقود ايطاليا ثورة صناعية جديدة تتجه الى اعتماد الآلات كلياً في عملية التصنيع. والمنظر في مصنع "مؤلل" يشبه مشهداً من "حرب النجوم"

رأيت، للمرة الاولى في حياتي، توالد الروبوتات[1] داخل مصنع في بلدة بياسينزا القديمة على بعد ٦٥ كيلومتراً من ميلانو. كان المنظر يثير الضيق: خط من البنى المعدنية اللامعة تصنع آلياً ألوف الاجزاء التي، متى جُمِّعت، ستشكل بنى معدنية لامعة جديدة تماثل تلك تماماً. تساءلت عما اذا كنت أشهد فجر عصر جديد حيث تتطور الآلات وتتكاثر، كما

(١) الروبوت (robot) هو ما كان يعرف بـ"الرجل الآلي."

مصانع الغد: كمبيوتر وروبوت يعملان في الظلام

آلات تصنع آلات: هنا "نظام تصنيع مرن" في معمل "فيراري" حيث تصنع محركات السيارات بادارة كمبيوتر.

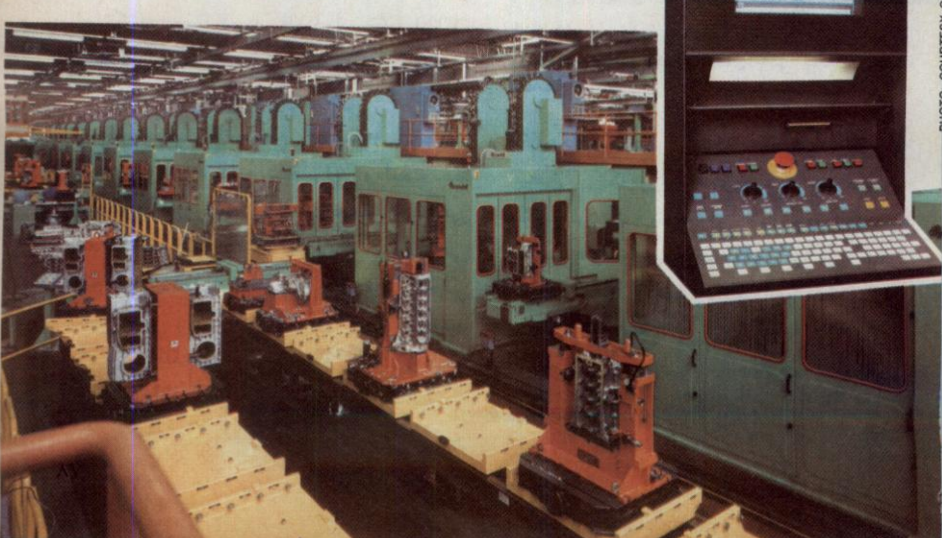

الانسان قبلها. لكن الاكيد، في أي حال، هو أن التكنولوجيا الحديثة تجعل عملية التصنيع آلية بكليتها تقريباً.

ينزع الواحد منا، ذهنياً، الى ربط المصانع العالية التقنية بالولايات المتحدة أو اليابان. المدهش أن ايطاليا - الاكثر شهرة بفنونها وأطباقها وأزيائها - هي اليوم رائدة في عالم "التأليل" الصناعي[٢] ويقع واحد من المصانع العالمية الاكثر اعتماداً على هذه التقنية في كاسينو. وتبيع ايطاليا تكنولوجيا الروبوت من الامريكيين واليابانيين.

رغبت في القاء نظرة عن كثب على ثورة ايطاليا الروبوتية، فزرت تيرمولي على بحر الادرياتيك، حيث دشنت شركة "فيات" في العام ١٩٨٥ مصنعها الذي تجاوزت تكاليف بنائه ٦٠٠ مليار لير ايطالي (نحو ٥٠٠ مليون دولار) لانتاج محركات في عملية تستخدم الروبوتات من ألفها الى يائها. ان محركات "فيات" المبتكرة، بما فيها المحرك 1000 CC، تصنع وتجمّع وتختبر بآلية كلية، ويخرج من خط التجميع محرك كل ٢٠ ثانية.

أُقيم هذا المصنع الفسيح النظيف الهادىء وسط غابة خضراء. ويلتف خط التجميع الذي يبلغ طوله كيلومتراً، كأفعى معدنية عملاقة حول أرض المصنع التي تبلغ مساحتها ٥٦ ألف متر مربع. ويتولى نحو مئتي آلة اعداد كل من عناصر المحرك للتجميع بواسطة ٧٣ روبوتاً و١٠٧ نواقل آلية و١٠٣ أجهزة كمبيوتر. ولا تستغرق عملية تصنيع العناصر الاساسية وتجميعها واختبارها نهائياً سوى ٩٠ دقيقة.

راقبت، مسحوراً، روبوتاً يتناول بدقة صماماً رفيعاً من منصّة نقّالة مستخدماً "اصبعين" فولاذيتين سوداوين، ويولجه بلطف في رأس أسطوانة محرك. كان الروبوت يعمل بسرعة فاقت قدرتي على

آلات تتوالد: داخل معمل "مانديلي" في بياسينزا روبوتات تصنع أجزاء تشكّل، متى جمِّعت، نسخاً مطابقة لأمّاتها.

متابعة حركاته، وبدقة متناهية، توجهه "عين" كاميرا تلفزيونية موصولة بكمبيوتر. كما شاهدت على خط التجميع أنبوب هواء مضغوط يطلق براغي تنغرز في مواقعها وتُشدّ لاحقاً بواسطة ذراع روبوت.

(٢) "التاليل" او "الاتمتة" (automation) ادارة الاجهزة بوسائل ميكانيكية او الكترونية تحل محل الحواس الملاحظة عند الانسان وتوفر عليها عناء التقرير وبذل الجهد.

PHOTO: COURTESY OF MANDELLI S.P.A. PIACENZA

يتنقل كل محرك على خط التجميع وقد زوِّد رمزاً بصرياً (كالذي يستخدم على سلع السوبرماركت) يملي على الروبوتات ما يجب عمله. ويستطيع بعض هذه الروبوتات انجاز أعمال عدة قد تصل الى ١٣ عملا، فيختار الاداة المناسبة من مجموعة قد تضم ٣٢٣ أداة.

لكن أكثر ما أثار اهتمامي في المصنع هو غياب البشر. قبل اعتماد التأليل كان مصنع كهذا يضم نحو ألف عامل على خط التجميع. أما اليوم، فهناك ٢٥٠ فقط.

وظائف جديدة. ابان الثورة الصناعية في بريطانيا، انبرى رجل يدعى ند لود مستنكراً ادخال الآلة الى المصانع. وأدّى ذلك الى قيام حركة "اللوديَّة." وقد عمد اللوديون الى تدمير الآلات حيثما استطاعوا لايمانهم بأنها سوف "تسرق" منهم وظائفهم. لكن الثورة الصناعية لم تؤدِّ الى بطالة جماعية، انما أحدثت أنواعاً مختلفة من الوظائف.

تثار الآن، بعد قرنين من الزمن، مخاوف مشابهة. هل يحل الكمبيوتر والروبوت مكان الانسان؟ تجتمع الآراء على أن التأليل سوف يوفر فرص عمل جديدة أكثر من تلك التي سيلغيها.

مثالا على ذلك، ازدادت القوة العاملة في شركة فيات بين العام ١٩٨٧ والعام ١٩٨٩ من ١٣٠ ألف شخص الى ١٣٤ ألفاً. وتعزى هذه الزيادة، جزئياً، الى النشاطات الاضافية التي تتطلبها الحاجة الى انتاج عدد أكبر من السيارات، من مهمات ادارية ومكتبية واشرافية ونقل وتخزين وسوى ذلك.

يؤدي التحوّل نحو اعتماد الروبوتات الى تغيير ملامح المصانع، ليس تكنولوجياً فحسب بل اجتماعياً أيضاً، اذ أصبح العاملون مع الروبوتات اختصاصيين بحقل جديد من المعرفة: الميكاترونيك الذي يشمل علوم الميكانيك والالكترونيات والخصائص الميكانيكية للهواء.[٣] العاملون في هذا الحقل هم مبرمجو كمبيوتر ومراقبو روبوتات، ويحتاجون الى أشهر من التدريب في مواقع العمل قبل تسلم وظائفهم. يقول جيراردو ميدونيو وهو خبير بالالكترونيات والكمبيوتر في أحد مصانع "مانديلي"، تلك الشركة القائمة في بياسينزا حيث شاهدت "توالد" الروبوتات: "العامل في المصانع القديمة الطراز يوشك الاندثار، والحاجة الآن هي الى موظفين متخصصين."

أما فنسنزينو زارلنغا (٢٩ عاماً) الذي تدرّب ليكون مدرساً ثم اختار العمل في مصنع فيات، فيقول: "الفرق الكبير الآن هو أنك تستعمل عقلك لا عضلاتك. قد يقتصر عملك على كبس زر، ولكن عليك أن تعرف لماذا تكبسه وكيف تكبسه." وهو يؤمن بأن الروبوتات حررته وزملاءه من مشاق العمل الجسدي المتكرر وسمحت لهم باستخدام ذكائهم وقدراتهم الابداعية.

---

(٣) Mecatronics which spans mechanics, electronics and pneumatics.

انتاج روبوتي: تثبّت المفاصل آلياً في أبواب السيارات في مصنع فيات العملاق في كاسينو.

خسائر فأرباح. ان اتحادات عمال مصانع السيارات هي التي ضغطت، بدءاً من العام ١٩٧١، لكي تحل الآلات مكان الانسان في بعض الاعمال التي اعتبرت خطرة أو مزعجة أو تنطوي على مخاطر صحية، مثل اللحام ورش الاصباغ. وعدد ساعات العمل الضائعة في اضرابات عمالية هي اليوم أقل كثيراً في المصانع التي تعتمد التصنيع الآلي منها في المصانع التقليدية. ويتلاشى التمييز التقليدي بين أصحاب الياقات البيض وأصحاب الياقات الزرق،[٤] اذ تتولى الروبوتات الاعمال اليدوية في المصانع التي تعتمد التأليل. وفي الواقع، لا يرتدي أصحاب الياقات الزرق في مصنع "كاسينو" أي ياقات، بل قمصان قطنية بألوان مختلفة تدل على اختصاصهم أو على الدائرة التي ينتمون اليها. يقول بيليغرينو دامور (٤٢ عاماً) الذي بدأ عمله مع فيات قبل ٢٣ عاماً عاملا مبتدئاً وأصبح الآن مراقب روبوتات: "الاوضاع أفضل كثيراً الآن، وأنا فخور بما أفعله."

وترفع الروبوتات انتاجية المصانع الى حد هائل، كما ترفع أرباحها. في العام ١٩٧٩ تعيَّن على شركة فيات انتاج ١،٩ مليون سيارة لتغطية مصاريفها، لكنها لم تنتج الا ١،٧ مليوناً فمنيت بخسائر

(٤) الياقة البيضاء (white collar) هي رمز فئة من ذوي الرواتب، كالمدرسين والموظفين، الذين تقتضيهم وظائفهم الظهور بمظهر انيق. والياقة الزرقاء (blue collar) رمز عمال الطبقة الكادحة.

PHOTO: COURTESY OF FIAT AUTO PRESS OFFICE

فادحة. وفي العام ١٩٨٨ باتت تحتاج الى صنع ١،٥ مليون سيارة فقط لتغطية مصاريفها نتيجة انخفاض كلفة التشغيل الذي يعزى الى اعتماد التصنيع الآلي، وهي أنتجت ٢،١ مليون سيارة تلك السنة.

تنتج الصناعة الروبوتية نوعية متناسقة لا تتغيّر. فالروبوتات تعمل ضمن "هامش خطأ" لا يتجاوز كسراً من الميكرون° فلا تنجم فروق ملحوظة بين قطعة وأخرى. لذا عمدت شركات مثل "فيراري" و"جاغوار" الى شراء روبوتات ايطالية لمصانعها. كما تأتي سيارة "فيات أونو" في ٣٣ شكلا مختلفا، وهي أكثر السيارات الصغيرة مبيعاً في أوروبا، والفضل في ذلك يعود الى الروبوت.

أخيراً، هناك ميزة اقتصادية أكيدة تتأتى عن استخدام الروبوتات. فالقوالب وموجِّهات التشغيل التي تستخدم في معمل تقليدي لصنع سيارة مثلا، يُستغنى عنها عندما يتوقف انتاج ذلك الطراز. لكن الروبوتات نفسها يعاد استخدامها لانتاج طرازات مختلفة ومنتجات جديدة كذلك، من سيارات وشاحنات وحتى طائرات. فلا يلزم الا اعادة برمجة الروبوتات للقيام بالعمل الجديد.

مصانع في الظلام. ان اعتماد الروبوتات في الصناعة عملية لا عودة عنها، هدفها الاخير إحداث مصانع "مؤلَّلة" كلياً تعمل على مدار الساعة كل أيام الاسبوع. يقول جيان كارلو مانديلي رئيس شركة "مانديلي": "اننا نتجه نحو التأليل الكلّي للعملية التصنيعية، بدءاً بمكتب الرسم حيث توضع التصميمات بمساعدة الكمبيوتر وانتهاء بتجميع آلي صرف في "مصانع الغد المظلمة"، وهي تدعى كذلك لأن الروبوتات لا تحتاج الى نور أثناء تأدية مهماتها."

تختلف روبوتات مانديلي في بياسينزا وآفيلينو عن الآلات التي تشبه الانسان شكلا والتي شاهدتها في تيرمولي. فهي بنى شاهقة تمرّ عبرها سلاسل عملاقة تشبه سلاسل الدراجات النارية، وهذه أحزمة متحركة تنقل الادوات المطلوبة الى القابض،[٦] وهو جزء في الآلة يثبّتها في أمكنتها. تدعى مجموعة الآلات هذه "نظام التصنيع المرن."[٧] وعناصر هذا النظام مربوطة كلها الى جهاز كمبيوتر يتابع ما تفعله كل آلة ويقرر مهمتها التالية، ويتولى، في حال تعطل احدى الآلات، إعادة تنظيم العملية بحيث تؤمِّن الآلات الاخرى سدّ النقص الحاصل.

يقول جوسيبي دي ماركو وهو مدير أحد مصانع مانديلي: "تنتج الآلات، في خط تجميع تقليدي، كميات كبيرة من الشيء نفسه، مما يؤدي الى تجمّع مخزون كبير. أما نظام التصنيع المرن فيستجيب لطلب السوق، مما يعني انتاج كميات أقل من قطع مختلفة، والغاء المخزون، وابقاء الآلات عاملة بطاقتها القصوى."

(٥) الميكرون جزء من الف من المليمتر.
(٦) chuck
(٧) Flexible manufacturing system

مشهد فضائي. بعد انقضاء نحو عقدين على ظهور أول روبوت صناعي في ايطاليا، بدأت هذه التكنولوجيا الانتشار في الصناعات الخفيفة والمتوسطة. فقد باعت شركة "كوماو" في غروغلياسكو قرب تورينو التي تمد شركة فيات بمعظم روبوتاتها، أكثر من ٥٠٠ روبوت لشركات تعمل في قطاعات مختلفة كالمواد الغذائية وبيع التجزئة (القطاعي) والنقل والهندسة الخفيفة. يُستخدم معظمها في أنظمة المستودعات حيث تخزن البضائع وتستعاد للتسليم بواسطة منصات نقالة مؤللة مما أدّى الى الاستغناء عن الرافعات الشوكية التقليدية.

ولكن ليس للروبوتات الضخمة أماكن كثيرة تستخدم فيها. ومن هذه الاماكن مصنع فيات العملاق في كاسينو. انه يبدو كحديقة روبوتات تحتوي على ٤٥٠ روبوتاً وأكثر من ٤٠٠ كمبيوتر، اضافة الى ٥٧٠ عربة تسيّر آلياً وتنقل العناصر من قسم الى آخر في المصنع الضخم. وهناك آلات تبدو كأخطبوط عملاق، وأخرى كأوزة، وروبوتات كأنها اشتركت في فيلم "حرب النجوم."[٨] وتتراكض بينها "مكوكات" صغيرة على مسارات مغناطيسية بأضوائها اللامعة كأنها أخوة «R2D2» الروبوت الذي أحببناه في هذا الفيلم.

هذا المصنع المؤلّل المصمم لانتاج ١٨٠٠ سيارة فيات يومياً يوظف ٧٠٠٠ شخص، أي أقل ٣٠٠٠ من العدد الذي كان يعمل في المصنع قبل اعادة بنائه عام ١٩٨٥ بكلفة ١٣٠٠ مليار لير ايطالي (نحو مليار دولار). وينتج المصنع ١٦٠٠ سيارة يومياً، فيضاهي أحدث المصانع اليابانية المؤلّلة. وقد يصل هذا الانتاج الى ١٨٠٠ سيارة يومياً في نهاية السنة ١٩٩١.

شاهدت في كاسينو سيارة "فيات تيبو" تتحول من قشرة فارغة الى سيارة لائقة. ويشبه خط التجميع نهراً عظيماً تمدّه روافد بالعناصر المختلفة: المحرك، المقاعد، الابواب، الزجاج، الدعامات. وتتولى روبوتات وضع لوحة أجهزة القياس في مكانها بتأن وتثبيتها بواسطة براغ، ثم تعمد مجسّات موجهة بواسطة "نظر روبوتي" الى اختبار كل زر وقابس وأداة تحريك ومفتاح تحويل للتأكد من حسن أدائها. وتثبّت الروبوتات العجلات الى السيارة بواسطة براغ، ثم تحكم تبطين السقف وتضيف الدعامات، منفذة اختبارات نوعية دقيقة في كل مرحلة من العملية. ان ٥٠ في المئة فقط من سيارة "تيبو" تصنع الآن بجهد الانسان.

ماذا عن المستقبل؟

فيما أنا أراقب أحد الروبوتات في كاسينو وهو يشد عشرات البراغي في وقت واحد، وأشاهد روبوتاً آخر يملأ خزان وقود من دون أن يريق نقطة، راودني أنني لا أنظر الى مجرد روبوتات تصنع سيارات، بل الى روبوتات تشكّل عالم الغد.

كريستوفر ماثيوز ■

---

(٨) Star Wars

رسّامة تطارد المجرمين

أم شابة تساعد في القبض على مجرمين عتاة وسلاحها قلم وورقة

فيما كانت لويس غيبسون تطعم طفليها فطورهما، رن جرس الهاتف. وطالعها صوت من دائرة الشرطة في هيوستن (ولاية تكساس) أخبرها أن جريمة وقعت وسألها إن كانت قادرة على الحضور فوراً.

وفي مقر الشرطة علمت أن الضحية هي ساندرا آبوت (٣٩ عاماً) وانها أم لأربعة أولاد. وعلمت أيضاً أن ابنها البالغ من العمر اثني عشر عاماً شاهد أمه تُطعن حتى الموت في منزلها في الرابعة من ذلك الصباح.

في هذه المرحلة كان التحقيق يعتمد كلياً على لويس غيبسون. وهي رسامة شرعية تحدد ملامح المجرمين بمساعدة الشهود المضطربين على ولوج ذاكراتهم اللاواعية واستخراج التفاصيل المحيِّرة.

وتنجح رسومها بنسبة ٤٠ في المئة في ايصال الشرطة الى القبض على المشبوهين وادانتهم، وهذه نسبة جيدة في مجمل المقاييس، لكنها ليست كافية

بالنسبة اليها. ذلك ان لويس مندفعة بحماسة غير عادية لاحقاق العدالة، خصوصاً أنها تعرضت للاغتصاب وهي شابة.

البداية. التقت لويس في مركز الشرطة محققَين أخبراها أن الدلائل الأولية تشير الى أن مرتكب الجريمة شديد الاهتياج بفعل تعاطي مخدر الـ"كراك" وهو نوع من الكوكايين النقي القوي المفعول، وقدما اليها ابن الضحية واسمه ريغي.

حيَّت لويس الفتى بابتسامة وقادته الى غرفة وضعت فيها مسند الرسم، وقالت: "إني آسفة لما حدث لوالدتك." تلت ذلك لحظةٌ صمت إذ راح ريغي يبكي بمرارة. فناولته لويس علبة مناديل ورقية وانتظرته حتى استعاد هدوءه، ثم تابعت: "الجميع هنا يتحدث عن الشجاعة التي أبديتها."

فقوَّم الفتى جلسته وهتف: "أصحيح هذا؟" وتابعت لويس حديثها الودي قائلة إنهما يستطيعان معاً المساعدة على جلب القاتل الى العدالة.

فعدَّل الصبي كتفيه وراح يصف بصوت مرتجف ما شاهده ساعة الجريمة.

كلمة حب أخيرة. دق الباب وسط الليل، فنهضت الام لترى من الطارق. ولما سمع ريغي أصواتاً مرتفعة قام ناعساً ليرى ما الأمر. فشاهد في غرفة الجلوس غريباً ينتضي سكين جزار يهدد بها والدته طالباً مالا، فصاح: "أرجوك، لا تؤذها يا سيد. سآتيك بالمال." وركض الى غرفة النوم حيث وجد أربعة دولارات عاد بها مسرعاً وقدمها الى الرجل. لكن المعتدي رمى بها أرضاً وقال: "أريد مالا حقيقياً." ثم راح يطعن ساندرا أبوت من دون رحمة.

ولمَّا فرّ المعتدي احتضن ريغي والدته التي كانت عبارتها الأخيرة كلمة حب أسرَّتها في أذن ولدها وهي تودعه مبتسمة.

وتذكُر لويس: "في تلك الاثناء وجدتني أنشج باكية، حتى ان الصبي أعاد الي علبة المحارم." وقالت له وهي تكفكف دموعها: "ريغي، سيغدو كل ما ستواجهه في الحياة سهلا بالمقارنة بما مررت به." فأومأ برأسه موافقاً.

ثم أعدَّت لويس أقلام الطبشور الملونة.

قال ريغي: "لا أذكر سوى أن شعره كان كثاً." فمررت لويس أول أقلامها على الورق الرمادي.

وجه يتكون. ما إن أكمل ريغي وصف الشكل الاجمالي للرجل حتى ناولته لويس دليلا مصوراً للوجوه خاصاً بمكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) شارحة له أن الدليل يُظهر جميع أشكال العيون والجبهات والأنوف والشفاه والذقون والآذان والشعر. وعليهما انتقاء الملامح التي تشبه ملامح القاتل ودمجها على الورق. فأكب ريغي على الدليل المصور يختار الملامح المناسبة واحدة فواحدة الى أن اكتملت الصورة بعد ساعة.

واذ عرضت لويس الرسم على الفتى

تصلبت ملامحه وقال: "نعم، هذا هو، الا أن لحيته أكبر." فتناولت لويس قلمها وأضافت ما نقص حتى اكتملت الصورة المركَّبة.

بعد ذلك طبعت نسخ من الصورة ووزعت على شبكات التلفزة والصحف ولمّا تمض ١٢ ساعة على الجريمة.

جمعت لَويس معداتها وَهي تبكي، ثم تمالكت نفسها. وهنا خرج النقيب بوبي فرنك آدمس رئيس قسم الجنايات من مكتبه وأخذ يواسيها: "يقولون إنكِ قمتِ بعمل رائع."

فردت لويس: "آمل أن يساعدك ذلك في القبض على القاتل."

"اتصلوا بالشرطة!" عمل لويس غيبسون هو جزء من اختصاص متنام يدعمه مكتب التحقيقات الاتحادي الذي ينظم "برنامج تدريب على الـرسم التركيبي" مدته اسبوعان في اكاديمية الـ«FBI» في كوانتيكو (فيرجينيا). ويرتكز هذا البرنامج أساساً على عمل هوراس هيفنر الرئيس السابق لوحدة الفنون التصويرية في مكتب التحقيقات، الذي يقول: "في وسع أي كان تذكر ألوف الوجوه، لكن قلائل يستطيعون إعطاء وصف دقيق. وهذا بالضبط ما يتوخاه برنامجنا التدريبي ودليلنا المصور." وأظهرت الدراسات أن تحديد الشبه بهذه الطريقة جاء أفضل من نتائج الكتيبات المصورة وأسلوب التركيب الفوتوغرافي بواسطة الكمبيوتر.

لقد ساد استعمال الرسوم التخطيطية التقليدية طويلا قبل اعتماد التركيب الفوتوغرافي بواسطة الأدمغة الالكترونية. وأتقنت لويس الرسم التخطيطي للوجوه في الجامعة قبل بدء اهتمامها بالعمل رسامة لدى الشرطة.

وبعد انتقالها الى هيوستن عام ١٩٧٨ وزواجها بدأت تفكر في العمل مع الشرطة. وسبق ذلك كثير من المكالمات الهاتفية غير المشجعة، لكنها نجحت أخيراً في إقناع الملازم دون ماكوليمس في قسم السرقات بدائرة شرطة هيوستن بأن يتيح لها فرصة. وهو قال لها: "لا أدري كيف سندفع لك، لكننا سنجد طريقة وإن اضطررنا الى "السطو" على مخصصات القهوة."

وهذا تماماً ما فعل.

عملت لويس لأشهر في قضايا السطو. وتفاوتت نتائج أعمالها بين النجاح والفشل. ثم تحقق لها أول نجاح مبين.

ففي الشفق القائظ من ٧ يوليو (تموز) ١٩٨٢ سمع راكب دراجة في حديقة هيوستن التذكارية جلبة في ناحية كثيفة الأشجار قرب الممر. فحدق عبر الأجمة ليرى على بعد عشرة أمتار رجلا ينتضي سكيناً وهو راكع قرب شخص آخر. نظر المعتدي الى راكب الدراجة وركض هارباً في اتجاه معاكس. وتمدد على الأرض رجل أعمال في منتصف العمر وهو ينزف من جراء طعنات عدة. فهرع راكب الدراجة عبر الممر وراح يصيح في رواد الحديقة: "اتصلوا بالشرطة! أحدهم يحتاج الى مساعدة!"

ثم رأى شاباً قرب موقف السيارات،

فطلب منه أن يكتب أرقام لوحات السيارات المتوقفة في المكان لان اعتداء حصل على أحد الأشخاص. ثم ركض عائداً لمساعدة الضحية. ووصل رجال الشرطة، لكن المصاب كان فارق الحياة.

صورة لا تمحى. طلب محققا الجنايات دوغلاس أوستربرغ ود.إ. كالهون من الكابتن آدمس استدعاء رسام تخطيطي. وإذ كان آدمس سمع بلويس فقد طلب منها مقابلة راكب الدراجة لرسم صورة المعتدي.

لكن راكب الدراجة لم يرَ الا لمحة من وجه القاتل. واذ أثر الحادث سلباً في قوة ملاحظته قال للويس إنه مرتبك وليس على ثقة بأنه يصف المعتدي وصفاً صحيحاً. غير أن لويس شجعته على تذكر ما تيسرت له ملاحظته. وبعد ساعة ونصف ساعة من العمل خرجت لويس غير راضية وهي تحمل رسماً للقاتل أظهر وجهاً مثلثاً لشاب متجهم ذي شعر كثيف مفروق في الوسط.

وتذكُر لويس ما قاله أوستربرغ: "تبدو لنا الصورة جيدة." ولكن عندما عادت لويس الى منزلها قالت لزوجها إن الرسم غير نافع تماماً وإنها لا تقوى على نسيان الضحية وجروحها الثخينة.

في تلك الأثناء وزعت نسخ من الرسم على الصحف وشبكات التلفزة. ويذكر أوستربرغ: "في الصباح التالي تلقيت مكالمة هاتفية في منزلي بدت ملحة الى حد أني اتصلت بالشخص الذي كالم قسم الجنايات. وحين تحدثت إليه بدا مرتبكاً هائجاً اذ قال: "اسمع، شاهدتُ هذا الصباح صورتي في الصحف، صورة تشبهني تماماً." قلت: "حسناً، هل أنت الرجل الذي أبحث عنه؟" فقال: "لا، لكني قد أعرفِ من هو. أين يمكن أن نلتقي؟" اقترحتُ أحد المقاهي ثم اتصلت بالمحقق كالهون. وعندما التقيناه دهشنا لأن ما رسمته لويس كان صورة مطابقة له.

أخبر الشاب الشرطيين أنه كان ساعة الجريمة في سيارته ينتظر رفيق غرفته الذي يشبهه الى حد بعيد. وعندما وصل رآه يمسح دماً عن سكين يحملها. ولخوفه على سلامته لم يوجه الى رفيقه أي سؤال. لكنه حين رأى الرسم في الصحيفة أدرك أن مخاوفه كانت في محلها.

ونتيجة إفادة الشاب، اعترف رفيقه بارتكاب الجريمة، لكنه برر عمله بأنه دفاع عن النفس. فحكم عليه بالسجن المؤبد.

وعندما نقل أوستربرغ الخبر الى لويس صعقت وقالت: "انه لعمل رائع أن أساعد في القبض على قاتل."

وعلى رغم نجاحاتها بقي هدف لويس أن تصبح رسامة دائمة لدى الشرطة أمراً بعيد المنال. اذ بسبب قصور الموازنة كانت تمر فترات طويلة لا تعمل خلالها اطلاقاً، حتى أنها فكرت جدياً في التخلي عن العمل مع الشرطة.

سطو ثلاثي. في ربيع ١٩٨٣ استُدعيت لويس الى مكتب بيل سميث

بعد سماع فتى في الثانية عشرة من عمره يصف باكياً الرجل الذي طعن والدته حتى الموت، رسمت لويس غيبسون صورة للقاتل ساعدت في القبض على المتهم داريل وين ديفيدسون.

انطلاقاً من وصف جزئي اعطته احدى ضحايا الاغتصاب، رسمت غيبسون هذه الصورة التي أدت الى اعتقال جون ساندرسن «مغتصب فوس رود.»

المسؤول عن جهاز الامن في مستودعات شركة للاجهزة السمعية. وكان بيل حصل على اسمها من الملازم ماكوليمس بعد ثلاث عمليات سطو مسلح على ثلاثة محال لبيع أجهزة الراديو، بينها عمليتان تفصل بينهما بضع ساعات. وكان الفاعل رجلا أسود يقارب الخامسة والعشرين من عمره ويزن نحو ٧٠ كيلوغراماً. وافترضت الشرطة أنه نفذ السرقات الثلاث وحده. غير أن لويس اقتنعت بعد مقابلتها الشهود بأن ثلاثة رجال مختلفين اقترفوا السرقات.

أخذ بيل سميث رسوم لويس الى دائرة الشرطة التي كانت أوقفت ثلاثة متهمين بسرقة مستودعات. وقد كتبت لويس على كل رسم اسم المتجر المسروق.

يقول سميث: "كانت رسومها ممتازة الى حد أن المحققين توجهوا الى الزنزانات وانتقوا المتهمين بيسر قائلين: أنتَ من سرق "سبرنغ برانش"، وأنتَ من سرق "أوك فورست"، وأنتَ من سرق نورثوست.""

ودِين اللصوص الثلاثة وحُكم عليهم بالسجن مدداً راوحت بين ثلاث سنوات و١٨ سنة.

وفي خريف ١٩٨٤ طلب الرقيب رالف ياربورو من لويس أن تعد رسماً تخطيطياً لرجل اعتدى على بضع نساء. وعلى أثر مقابلتها احدى الضحايا التي أعطت أوصافاً متناقضة، أعدت لويس رسماً وافقت عليه ضحايا أخريات، فعمم في المنطقة.

وانصبَّت المكالمات الهاتفية ناسبة

الى المغتصب أكثر من ٥٠ اعتداء. وأخيراً وافقت احدى الضحايا على مراقبة حانة يؤمها المغتصب. وذات أمسية من أواخر ديسمبر (كانون الأول) شاهدت الضحية مغتصبها، فسارع رجال الشرطة الى القبض عليه. وكان اسمه جون ساندرسن، وهو من عائلة محترمة! وقد اعترف بارتكابه أربع "جرائم سرقة واعتداء جنسي مع سابق تصور وتصميم." وحُكم عليه بالسجن مدة ٥٠ سنة لكل جريمة.

بعيد ذلك طلبت لويس من النقيب آدمس مساعدتها على الالتحاق ببرنامج التدريب على الرسم التركيبي الذي ينظمه مكتب التحقيقات الاتحادي. فعمد آدمس الى تخصيص موازنة للرسم الشرعي على رغم أن الأموال المتوافرة كانت محدودة. وهكذا أصبح عمل لويس لدى دائرة شرطة هيوستن رسمياً، وباتت مؤهلة للالتحاق بأكاديمية الـ FBI .

وبقيت ذكرى التحاق لويس بالأكاديمية حية في ذهن مدربها هوراس هيفنر الذي قال: "كان اندفاعها غير عادي. وكانت من الطلاب المتحمسين الذين يحظون بإعجاب أي معلم."

اسم على الباب. بعد لقاء ريغي انتظرت لويس ما يجدّ في قضية مقتل ساندرا أبوت. وهي أفاقت تلك الليلة باكية، ولمّا سألها زوجها ما الأمر اجابت: "كنتُ أفكر في ذلك الصبي الذي فقد أمه."

وفي الصباح التالي لم تذق لويس طعاماً. وظلت تذرع البيت حتى رن جرس الهاتف في الحادية عشرة والثلث وكان على الخط الرقيب جيري ولسون الذي قال: "قبضنا على الرجل." وكان المتهم في التاسعة والثلاثين من عمره واسمه داريل وين ديفيدسون. وقد عرفه جيرانه من رسم لويس، كما عرفه ريغي من بين صف من الرجال موقوفين في دائرة الشرطة يوم مأتم والدته.

وتذكر لويس أنها لدى سماعها الخبر لم تتمالك عن "الصراخ فرحاً."

وزادها فرحاً اتصال من الملازم دون ماكوليمس بعد أربعة أشهر اذ قال: "هل يسعك بدء العمل يوم الاثنين؟ لقد نلنا الموافقة على ذلك الآن."

مشت لويس داخل مقر دائرة شرطة هيوستن يوم الاثنين عالمة أنها لن تضطر بعد اليوم الى حمل مسند الرسم الى المنزل في نهاية يوم العمل. قالت: "كان شعوراً جميلا أن أرى اسمي على الباب: لويس غيبسون، رسامة شرعية. كنت في منتهى السعادة."

ويفيد الضابط كيل إيفانز من قسم جرائم الأحداث الذي عملت لويس معه في عدد من القضايا الناجحة: "رسومها أفضل من أي طريقة اعتمدناها سابقاً. ولولا مساعدتها لبقيت قضايا كثيرة من دون حل."

وتؤكد لويس: "أحب مساعدة الناس الذين تعرضوا للإذلال والاساءة. وبكلام أوضح: جلّ ما أريده هو القبض على المجرمين."

ادوارد زيغلر ■

أصوات من الأرض تسرح في الفضاء

ينتمي هواة الاتصال اللاسلكي الى عائلة عالمية كبيرة وسعيدة

كنت في التاسعة من عمري عام ١٩٣٤ عندما تلقيت جهاز استقبال بلّوريا[1] وصله والدي بقطعة سلك خدمت هوائيا وبأنبوب ماء موصلا أرضيا. ومن السماعتين خرجت أصوات وموسيقى!

كانت هذه بداية افتتان بالراديو رافقني مدى العمر.

جهازي العتيق أداة بدائية فيها بلورة من الغالينة (كبريتيد الرصاص) بحجم قطعة نقد معدنية صغيرة تستقبل اشارات الراديو دونما حاجة الى مصدر طاقة. وهو أحضر الي مدنا بعيدة عن بلدتي واترلو في أونتاريو (كندا). وكنت في الليالي أستمع الى محطات في تورونتو وسينسيناتي وأوهايو، وأحيانا، حين تسمح الاحوال الجوية، الى محطات على

---

(١) Crystal set . وهو جهاز استقبال مزوّد مكشافا بلوريا وليس فيه صمامات.

مسافات تصل حتى مدينة نيويورك. وكثيراً ما كنت أغفو والسماعتان مثبتتان على أذني.

ذات مساء، بينما أنا أنتظر مباشرة بث المحطة المحلية، سمعت أصواتاً غريبة تأتيني عبر الجهاز، كأنما هي أصوات أشخاص يتبادلون الحديث من دون كلفة. ثبت لي في النهاية أنها أصوات واحد من هواة التخاطب بالراديو وهو يتحدث الى صديق له من داخل "كوخ للاتصال." يبدو أنه نسي مذياعه مفتوحاً، وكان جهاز الارسال لديه قريباً الى حد أن ذبذباته كانت تصل الي عبر جهازي البلوري. أسرتني فكرة قدرة الهاوي على الارسال كما على الاستماع. وأقسمت في تلك اللحظة وذلك المكان على أن أصبح واحداً من هواة الراديو.

بعد سنوات، في العام ١٩٤٦، تحول طموحي واقعاً. وحادثت، منذ ذلك الوقت، هواة من أنحاء العالم، وهم تحدثوا الي من منازلهم وسياراتهم ومن بواخر في عرض البحر ومرة من طائرة خاصة.

جزء من المرح في هذه الهواية هو أن أمواج الهواء ملأى دائماً بالمفاجآت. يقول أحد الهواة: "انها كصيد السمك. فأنت لا تعرف أبداً ماذا سيعلق في شباكك." اتصلت مرة بمشغل "خط الانذار المبكر" في المنطقة القطبية الشمالية ووصلته هاتفياً بصديقته في تورونتو. ووجدتني لأشهر أعمل وسيط غرام فيما الاثنان ينميان علاقتهما عبر الاثير. وهما تزوجا لاحقاً وزاراني.

ومرة أخرى تحول اتصال عرضي بأحد الهواة في أوهايو حديثاً عن الماضي. فاكتشفت أنه ستان هاز، ضارب الطبل في فرقة المدرسة الحربية الجوية التي كنا كلانا عازفين فيها قبل ٤٦ عاماً.

من الحسين الى "كولومبيا."

يرسل الهواة كما يستقبلون، لذا بات من الضروري أن يحصلوا على ترخيص. عندما يحصل الهاوي على ترخيص، يُعين له رمز نداء يتألف من أحرف في بداية الرمز تشير الى البلد (مثلا، VE تشير الى كندا) ورقم يشير الى المقاطعة وأحرف تميّز الهاوي نفسه. ان رمز النداء المعين لي هو «VE3BET» .

ومن بين مشاهير الهواة رائد الفضاء أوين غاريوت (W5LFL) والملك حسين (JY1) وهما تخاطبا في العام ١٩٨٣ عندما كان غاريوت على متن المكوك الفضائي الامريكي "كولومبيا" والملك في قصره في عمان. وهذا نص المحادثة:

الحسين: هنا جولييت يانكي[٢] الرقم ١. صباح الخير يا سيدي.

غاريوت: صباح الخير يا سيدي. هنا W5 ليما فوكستروت ليما. لقد عبرت لتوي فوق البحر الاحمر وخليج العقبة. وفي هذه اللحظة أشاهد بلدكم يا سيدي. هل جلالة الملك على الخط؟

الحسين: الحسين على المذياع. اننا سعيدون بسماع صوتكم بوضوح.

---

(٢) يستخدم الهواة كلمات متفقا عليها لابراز مخارج الحروف المقصودة كي لا يحصل التباس فيها.

يؤدي الهواة يومياً، ومن دون كثير مباهاة، عملا مفيداً في نقل رسائل لاشخاص معزولين عن وسائل الاتصالات التجارية. ولا يبرزون الى الضوء الا في الازمات، كالفيضانات والعواصف. في ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ عشية ضرب اعصار "غيلبرت" جامايكا، علم غوردون موراي، من هاملتون في أونتاريو، أن الهاوي جيم توماس، من نادي "كيوانيس" ينسق عملية جمع معونات لجامايكا حيث تسبب الاعصار في أضرار في الممتلكات قدرت بملياري دولار وفي انقطاع التيار الكهربائي ووسائل الاتصالات في الجزيرة.

بعد ثلاثة أيام كان غوردون وتوماس جمعا أجزاء جهاز راديو نقال وتوجها الى جامايكا ومعهما ٢٠٠ كيلوغرام من المواد الطبية. أقام الرجلان مركزاً لهما في أحد فنادق خليج رناواي. وباستخدام مولد للطاقة وهوائي مرتجل على سطح الفندق، تمكنا من الاتصال بكندا بعد ساعتين. وبقيا أياماً، مع مجموعة من الهواة الآخرين، صلة الوصل الوحيدة بين جامايكا والعالم الخارجي، فساعدا في تنسيق جهود الاغاثة ونقل رسائل طمأنة من جامايكيين الى أقارب لهم في كندا.

"فويجر" والقطب الشمالي.

ليست المعونة ابّان الكوارث العمل الجدي الوحيد للهواة. ففي مارس (آذار) ١٩٨٨ غادر تسعة سوفييت وأربعة كنديين "كيب أركتيك" في منطقة القطب الشمالي متجهين الى "كيب كولومبيا" في جزيرة الليسمير في المقاطعات الشمالية الغربية في كندا. كان عليهم أن يقطعوا ٢٠٠٠ كيلومتر في ٩١ يوماً، واتصالهم الوحيد بالحضارة عبر راديو الهواة. كانوا يحملون جهازاً سوفييتي الصنع صغيراً خفيفاً ويستخدمون هوائياً مشدوداً بين قضيبي تزلج.

تملكتني الاثارة وأنا أستمع، في وقت متقدم من احدى الليالي، الى صوت واحد من فريق الدعم كان أوصل مؤناً للبعثة القطبية في طائرة، وهو يتحدث من محطة أرضية الى أصدقائه في الوطن فيما المتزلجون نائمون.

في العام ١٩٨٦، عندما قاد الطياران الامريكيان ديك روتان وجينا ييغر طائرتهما الخاصة الخفيفة "فويجر" في رحلة حول العالم من دون توقف ولا تزود وقود، استخدما راديو هواة اضافة الى أجهزة الاتصال في الطائرة التي ظلت مشغولة معظم الوقت بتلقي معلومات من مراكز مراقبة الملاحة الجوية. قال روتان لاحقاً ان موجات الهواة أمنت معلومات حيوية أبقت الملاحين والفريق الارضي على اطلاع على موقع "فويجر" كما أمنت معلومات عن أحوال الطقس.

لكن تجربة الدكتور جيرافيموس كامبيتس هي، على الارجح، الاشد غرابة بين الهواة الكنديين. عاش كامبيتس خمس سنوات على جزيرة بوكاسا في بحيرة فكتوريا في أوغاندا، وكان الطبيب الوحيد لعشرين ألف صياد سمك ومزارع

يعيشون في نحو ثمانين جزيرة منتشرة في البحيرة. وهو استخدم جهاز راديو للهواة، غذّاه بالطاقة من خلايا وبطاريات شمسية، لا لتخفيف شعوره بالوحدة فحسب، وانما لطلب الادوية الضرورية وللتشاور وأطباء آخرين وللحصول على عون في الازمات كذلك.

يقول الدكتور كامبيتس: "كنت في الحالات الطارئة أطلب من هواة في أوروبا وأمريكا الشمالية وصلي هاتفيا باختصاصيين. مرة أصيب شاب في عينه وكنت أخشى أن يخسرها اذا لم أحصل على مشورة اختصاصي. تحدثت الى كبير جراحي العيون في مستشفى في روما فشرح لي طريقة انقاذ العين."

بين أصدقاء. يشتري معظم الهواة هذه الايام أجهزة مرسلة ومستقبلة[٣] مدمَّجة في جهاز واحد يراوح ثمنه بين ١٢٠٠ و٧٠٠٠ دولار. لكن البداية قد تكون أقل كلفة بشراء جهاز مستعمل أو بصنع جهاز شخصي.

أول جهاز ارسال استخدمته صنعته بنفسي. كان بسيطاً مؤلفاً من أنبوبين ويمكنه ارسال اشارات رمزية فقط. في سنوات لاحقة اشتريت معدات اضافية وصنعت أجهزة أكثر تعقيداً، لكنني ما زلت أحب الطريقة التي كان يعمل بها جهازي الانبوبي في الستينات. وكنت دائماً أستمد الرضا النفسي الاعظم من استخدام جهاز راديو أصنعه بنفسي: عملية البناء، ورائحة سبيكة اللحام الذائبة، ومهمة وصل الاسلاك الدقيقة الحساسة، وقلقي من ألا يعمل الجهاز، ثم الرضا الذي لا يوصف المتأتي عن سماع صوت من الجانب الآخر للكرة الارضية يستجيب لندائي.

لمَّحت زوجة أحد الاصدقاء مرة الى أن التحدث الى أشخاص لا تعرفهم ولا يجمعك بهم شيء مشترك يبدو عملا أحمق. لكن ما يجمعنا في الحقيقة هو نوع من الزمالة العالمية يدرك كنهها كل أعضاء هذه "الاخوية." وقد نميت صداقات متينة من خلال اتصالاتي بهواة الراديو. وكثيراً ما أسمع هاوياً يتحدث الى زميل في قارة أخرى عن لقائهما الاخير ويسأله عن أحوال عائلته.

التقطت مذياعي قبل أيام، بعد غيبة طويلة، ووجدتني أتحدث من أوتاوا الى أشخاص في واترلو لم أكلمهم منذ عشرين عاماً. انني على الهواء مجدداً، بين أصدقاء.

ديفيد سبورجون ■

(٣) Trans — ceivers

لا داعي الى القلق

افقت وزوجتي ليلا على صوت ارتجاج في منزلنا. وبعد جولة في انحاء البيت لم اجد ما يلفت النظر. فاتصلت بمرصد المقاطعة مستفسرا، فطمانني الموظف هناك: "لا تقلق يا سيدي. لا علاقة لمنزلك بالامر. انها هزة ارضية."

ج.ش.

دائرة المعارف

■ اعداد وليم صعب

دائرة المعارف هذا الشهر امتحان في المحفوظات الشعرية. هنا ٤٠ بيتاً منتقاة من قصائد مختلفة. والمطلوب من القارىء ان يعرف مطلع القصيدة التي اختير منها كل بيت، واسم ناظم القصيدة، ويرسل الاجوبة الى مجلة "المختار" على العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان

ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex Internationl Courier
P.O.BOX 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar. B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

وستسحب اسماء الفائزين بالقرعة وتنشر في عدد يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢

الجائزة الاولى ١٠٠ دولار، والجائزة الثانية ٥٠ دولاراً، والجائزة الثالثة ٢٥ دولاراً، اضافة الى عشر جوائز اشتراكات لمدة سنة في "المختار".

١. أيقنت أني - لا محالة -
حيث صار القوم صائرْ

٢. ولستُ بخالعٍ درعي وسيفي
إلى أنْ يخلع الليلَ النهارُ

٣. مِكَرٍ مِفَرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً
كجلمودِ صخرٍ حطّه السَّيلُ من علِ

٤. سئمتُ تكاليف الحياة، ومن يعش
ثمانين حولاً - لا أبا لك - يسأمِ

٥. وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً
على النفسِ من وقع الحسام المهنَّدِ

٦. كناطحٍ صخرةً يوماً ليفلقها
فلم يَضِرْها، وأوهى قرنَهُ الوعلُ

٧. أمست خلاءً وأمسى أهلُها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبَدِ

٨. إن الأفاعي، وإن لانت ملامسها،
عند التقلب في أنيابها العطبُ

٩. فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ
ولا التذكير فخرٌ للهلالِ

١٠. ليس من يقطع طرقاً بطلاً
إنما من يتقي الله البطلْ

١١. أم تلك ليلى العامرية أسفرت
ليلاً فصيَّرت المساء صباحا

١٢. الله - لا إله إلاّ
الله مولاك الأحدْ

١٣. زمان الفرد يا فرعون ولَّى
ودالت دولة المتجبرينا

١٤. كلُّ قومٍ خالِقو نيرونهم
"قيصرٌ" قيلَ له أو قيل "كسرى"

دائرة المعارف

١٥. وفي الزرازير جُبن وهي طائرةٌ
وفي البزاة شموخ وهيٍ تُحتضَرُ
١٦. قالوا: أشدُّ وأدهى، قلتُ: ويحكم
إذاً لقد مات سعدٌ وانطوى العلمُ
١٧. قل يا غريب الجنس عنا ما ترى
حقاً فان الحق لا يتجنسُ
١٨. أنا من طيورك بلبلٌ
غنّى بمجدك فاغتنى
١٩. وقد كنت الضياء على زوالٍ
فأمسيت الضياء بلا زوالِ
٢٠. ما كانَ أرسخ منه في عروبته
أبو العلاء المعري وابن حمدانِ
٢١. ما كدتُ أعتزم التحملَ عن
بردى وفيه كان مبتردي
٢٢. أمةُ الفتح لن تموت، وإني
أتحدّاك باسمها يا فناءُ
٢٣. يرتمي الموج على أقدامه
دون أن يرفع للهامة هامَهْ
٢٤. إن تكن جزَّت الخيانة شعري
في ضلالي، فقوِّني في شعوري
٢٥. ومن لا يحبَّ صعود الجبال
يعشْ أبدَ الدهر بين الحفرْ
٢٦. يا ربِّ إنْ بلفور أنجز وعده
كم مسلم يبقى وكم نصراني
٢٧. فاحملوا حملةً على الأذناب
لا تخافوا طنين هذا الَذباب

٢٨. وهبتكِ روحي يا جزائرُ فأمْري
كما شئتِ: إني خاضعٌ لكِ خادمُ
٢٩. تُشاد له المنازلُ شاهقاتٍ
وفي تشييد ساحتها الدمار
٣٠. ربَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً
ضاحك من تزاحم الاضدادِ
٣١. أعدَّ اللهُ للشعراءِ مني
صواعق يخضعون لها الرقابا
٣٢. وإذا اتسعتَ برزق ربك فاجعلن
منه الأجلّ لأوجه الصدقاتِ
٣٣. وما ضرَّنا أنا قليل وجارُنا
عزيزٌ وجار الأكثرين ذليلُ
٣٤. لا تحسبوا نأيكم عنا يغيّرنا
إن طال ما غيّر النأي المحبينا
٣٥. شهد البحر لم أدع فيه من
درٍّ بمفرقيكِ خليقِ
٣٦. إن تُتهمي فتهامةٌ وطني
أو تنجدي إنّ الهوى نجدُ
٣٧. كنتُ مشغوفاً بكم إذ كنتُمُ
شجراً لا تبلغ الطير ذراها
٣٨. توخَّى حِمامُ الموت أوسط صبيتي
فلله كيف اختار واسطة العقدِ
٣٩. في نبعةٍ من قريشٍ يعصبون بها
ما ان يوازي بأعلى نبتها الشجرُ
٤٠. هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ
بجدِّه أنبياء الله قد خُتموا

كتاب الشهر

وداعاً... شارع المخدّرات

ملخص من كتاب "المرأة التي استعادت شوارعها"
بقلم ريتا ويب سميث وطوني شابيل

وداعًا... شارع المخدرات

ريتا سميث امرأة نذرت نفسها لمكافحة المخدرات وتطهير حيِّها في هارلم بنيويورك، حيث نشأت، من المدمنين والمروجين الذين عاثوا فيه فساداً واجراماً. لدى هبوط الظلام كان المجرمون يسودون الشارع، فتخرج ريتا من منزلها وتتحداهم. وفيما انكمش سائر السكان داخل منازلهم خائفين صامتين، كانت ريتا تتصل بالشرطة لكي تتدخل وتفرض القانون وتلاحق المجرمين.

كانت تردد في نفسها: "لا يجوز أن تستمر الأمور على هذه الحال."

وذات يوم وجدت ريتا نفسها في غرفة الانتظار في مستشفى، منهكة قلقة على حياة ابنها الذي أصيب برصاص أحد مروجي المخدرات، فيما الاطباء منهمكون في انقاذه من الموت.

استبدت بها الحيرة وغلب عليها الشك: أتستمر في الكفاح؟ وهل كفاحها جدير بأن يحملها على تعريض حياة أولادها للخطر؟

في غمرة يأسها وحيرتها جاءها الجواب على لسان ابنها الجريح ديفيد. قال لها حانقاً: "أنتخلى عن كفاحنا؟ أنلوذ بالفرار ونترك حيَّنا ومنازلنا نهباً للشذّاذ واللصوص والمروجين؟ لا يا أماه! سنصمد حتى النهاية."

CONDENSED FROM «THE WOMAN WHO TOOK BACK HER STREETS,» COPYRIGHT © 1991 BY RITA WEBB SMITH AND TONY CHAPELLE, PUBLISHED BY NEW HORIZON PRESS, FAR HILLS, N.J. ILLUSTRATION: JEFFREY SMITH

قرابة الرابعة بعد ظهر يوم جمعة قائظ في أغسطس (آب) أنهى ديفيد سميث عمله في ورشة كهرباء. فخرج يمارس رياضة الهرولة. وبعد اجتيازه خمسة كيلومترات عبر شوارع هارلم[1]، من "الشارع ١٤٣" الى متنزه "سنترال بارك" ذهاباً واياباً، بلغ زاوية الشارع الذي يقع فيه منزل العائلة.

فتمهل قليلا وحيا جمعاً من الاصدقاء قرب متجر للمأكولات الصحية في جادة لينوكس. واذ توقف ليلتقط أنفاسه، شاهد شقيقه بيتر مع الجمع، فاقترب لينضم اليهم. وما هي الا لحظات حتى قطعت محادثاتهم جلبة على بعد نحو ٣٠ متراً، ورأوا فتى وامرأة يتصايحان ويتبادلان الشتائم.

لم يكترث ديفيد للامر في البداية، فهذا هو حي هارلم عام ١٩٧٩، وبائعو المخدرات منتشرون بالعشرات في الشارع ١٤٣ حيث يمارسون تجارتهم بجرأة متزايدة منذ نحو سنة. كانوا يقفون على الارصفة يترصدون الزبائن ويسرّون اليهم عبارات رمزية من نوع "أحد أسود" وهو رمز شارعيّ للهيروويين، أو "جرِّب سيز" وهذا مختصر لمخدِّر "سنساميلا" أحد الانواع النادرة والمطلوبة جداً من حشيشة الماريوانا.

تدفق المال على الحي كالسيل، كذلك تدفقت الدماء. فكم من جريمة ارتكبت وقتل فيها أحدهم بالرصاص لمجرد بيعه المخدر في "حرم" بائع آخر أو لتأخره في تسديد دين من ثمن المخدر الذي اشتراه.

كانت السلامة في الابتعاد عن المشاكل.

اقترب الفتى والمرأة المتعاركان، فعرف ديفيد صوت أخيه مارك. استدار، فرآه يدفع امرأة طويلة القامة شعثاء. كان مارك هو أيضاً يشتغل بالكهرباء، وقد عاد لتوه من عمله. وكانت في يده مطرقة يهزها بوجه المرأة، ثم دفعها الى شاحنة متوقفة وهو يصيح بها: "قالت لك أمي ألا تسوِّقي المخدرات أمام منزلنا. فاجمعي بضاعتك واغربي عنا. أفهمت؟"

كانت المرأة تدعى كليو وهي معروفة في الشارع. ولم تكن مصدر ازعاج فحسب، بل كانت وظيفتها العمل "مرشدة" تقف في الشارع وتوجه الزبائن الراغبين في شراء الهيروويين الى الباعة الذين يزاولون تجارتهم في مداخل المباني والاماكن الخالية. وكانت كليو وأفراد جماعتها ازدادوا وقاحة في الفترة الاخيرة، فراحوا يبيعون المخدر أمام منزل آل سميث وعلى عتبة البيت أحياناً.

وقف ديفيد متوتر الاعصاب يراقب كليو ومارك المستمرين في العراك. ثم رأى رجلا ضخم الجثة يغادر سيارة كان متكئاً عليها ويتقدم نحوهما مهدداً. كانت عيناه نصف مطبقتين وشفتاه ترتجفان، مما أوحى الى ديفيد أنه مدمن ومروِّج يعمل حارساً لكليو.

(١) هارلم حي في مدينة نيويورك تسكنه غالبية من السود الفقراء.

عندئذ تحركت الجماعة من أمام متجر الاطعمة الى مكان المشاجرة، فوصل ديفيد قبل الجميع ووقف في طريق الرجل وصاح به: "لا تتدخل في ما لا يعنيك يا هذا."

لكن الرجل حاول تخطي ديفيد ودفعه جانباً، فصدَّه هذا وتشابكا. وعاجله ديفيد بلكمة على وجهه بقبضته اليمنى.

ترنح المروِّج وتراجع. وأيقظ فيه الالم كل غرائز الشارع الدنيئة، واعتلجت في صدره عوامل متضاربة من الخوف والواقعية والغرور. وشعر بأنه أمام خصم متفوق، فسحب من سترته مسدساً وأطلق سيلا من الشتائم ثم صاح: "سأقتلك!"

أجفل ديفيد اذ رأى المسدس، ووعى الخطر الذي يهدد حياته، ووجد نفسه عاجزاً عن نزع السلاح من يد الرجل لبعد المسافة بينهما، فصمم على الهرب. لكنه ما كاد يتحرك حتى أحس ألماً يلهب ذقنه: لقد أصيب قبل أن يسمع اطلاق الرصاص.

حاول ديفيد الاحتماء، وراح يعدو عبر الشارع، ثم التفت الى الوراء فلم يجد الرجل يلاحقه. لكنه أحس خدراً يسري في ذقنه من دون أن يرافقه ألم أو حريق أو وخز. وغابت عنه حاسة الذوق فقال في نفسه: "لقد تحطم فكي كله، ولم يعد لي ذقن!"

ركض ديفيد في الشارع بين السيارات، وحاول كالمسعور ايقاف سيارة أجرة. كان ينزف بغزارة والدم يسيل من ذقنه على صدره ويديه، فتلطخت ثيابه وبدا مظهره مرعباً، فلم يتوقف أي سائق لنقله الى المستشفى.

يئس ديفيد، وعرف أنه اذا ظل واقفاً ينتظر سيارة تنقله الى مستشفى فسينزف حتى الموت. عندئذ ركز اهتمامه على المشي الى مستشفى هارلم الذي يبعد حوالى ٣٠٠ متر.

صلاة صامتة

في أصيل ذلك النهار من أغسطس (آب) كانت ريتا سميث واحدى صديقاتها ترسمان خططاً لاعادة الرونق الى الابنية المحترقة في الشارع ١٤٣. وفي نهاية لقائهما ذلك اليوم قررت ريتا ان تمر بمنزلها لتفقد الاولاد والاطمئنان اليهم قبل أن توصل صديقتها الى منزلها.

كان الظلام بدأ يبسط جناحيه على حي هارلم. واجتمع الفتية والشباب أمام منازلهم يتحادثون مرحين فيما قبع المسنون في منازلهم لا يخاطرون بالخروج في الظلام خوفاً من التعرض لرصاص عشوائي أو لحماقة مدمن طليق قد يتصدى لهم في الشارع في أي لحظة. آثروا البقاء في منازلهم الخافتة الانوار وهم يحدقون الى الخارج من وراء نوافذ مجللة بالستائر.

لكن ريتا سميث أبت ان تكون واحدة من هؤلاء. فهي، كما علَّمها والداها، عاشت

حياتها بجرأة وأنفة وفقاً لاقتناعاتها. وكانت باشرت، حديثاً، حملة على مروجي المخدرات في حيها. كانت تجبههم وتقول لهم: "هذه منازلنا حيث نعيش ونربي أولادنا. فلا شأن لكم هنا أنتم ومخدراتكم." وشفعت تحذيراتها بالاتصال بالشرطة تكراراً وحضّ جيرانها وأولادها السبعة على أن يحذوا حذوها.

انعطفت ريتا، كعادتها، من جادة لينوكس الى الشارع ١٤٣، وهي تفكر في مدى التقدم الذي أحرزته جهودها لتحسين الجوار. فقد رمِّم المبنى الذي تسكنه، وجُدِّد، وطلي أعلاه باللونين البيج والبني، وكُسي أدناه بالقرميد الاحمر، وأقيم أمامه حوض حجري لزرع الورود. لكم كان انجازها جديراً بافتخار والديها لو كانا على قيد الحياة!

أوقفت ريتا السيارة أمام المنزل، فرأت ابنتيها التوأمين أبينا وأيانا (٧ أعوام) جالستين على عتبة المبنى. فهمَّت بتوبيخهما لبقائهما خارجاً بعد هبوط الظلام. واذا بها تشاهد مارك وبيتر أيضاً. وهرع الاربعة اليها، فسألتهم قلقة: "ما الخبر؟ ماذا حدث؟"

هتفت أبينا والدموع تكاد تخنقها: "ماما، أصيب ديفيد بالرصاص."

خفق قلب ريتا هلعاً، فسألت: "أين هو؟ كيف حدث ذلك؟"

فسرد لها مارك القصة وهو يرتجف. قال ان ديفيد تدخل ليساعده في اعتراض بيع المخدرات أمام منزلهم. ثم سمع اطلاق رصاص، ورأى ديفيد يسرع في الهرب فلم يعرف هل أصيب أم لا. واعتقد هو وأصدقاؤه أنه سيركض قليلا ثم يعود اليهم. فانتظروا طويلا، لكنه لم يعد.

وأنهى مارك سرد الحادث منتحباً: "هلا ذهبت الى المستشفى لتفقده يا أمي؟ لقد حدث ذلك بسببي."

ذعرت ريتا، لكنها حاولت إخفاء ذعرها عن الاولاد، فقالت لمارك مشيرة بيديها الى ما حولها: "لا يا مارك، ليس الذنب ذنبك، السوء في هذا المكان وليس فيك أنت."

ركبت السيارة هي ومارك، وألقت رأسها على مقود القيادة هنيهة وتلت صلاة صامتة.

وفكرت: ترى، هل مات ديفيد؟ هل هذا الحادث انذار لعائلتنا؟ هل أولادي الآخرون في خطر هم أيضاً؟ ثم شعرت بالقوة الكامنة داخلها تتفجر عزماً وثقة، تلك القوة التي مكنتها من شق طريقها وحيدة في الحياة والقيام بأود أولادها الصغار وتعليمهم في الجامعات وتمكينهم من الحصول على وظائف محترمة.

أدارت المحرك واتجهت الى مستشفى هارلم. وحاولت في الطريق أن تتشجع وتركن الى الطمأنينة، متذكرة كم مرّ بها من احداث كالحة وكم لاقت من صعوبات بدا تذليلها مستحيلا، لكنها في النهاية تغلبت عليها جميعها.

حياة كرامة

وُلدت ريتا ويب سميث في مستشفى هارلم ذاته، وعاشت معظم سني حياتها في الشارع ١٤٣.

تقول: "كنت في الواقع أحبَّ اخوتي الى أبي. وما زلت اغمض عينيّ فاستحضر صورتي فتاة صغيرة وأبي ممسكاً يدي ونحن نسير في الشارع ١٤٣."

كان والد ريتا ديفيد ويب رجلا مهيب الطلعة طويل القامة أسود اللون فاحمه، ذا أنف أفطس وجبين بارز. وهو خدم ٣٠ سنة في شركة كهرباء نيويورك "كونسوليديتد إديسون." لكن حيه كان محور حياته، فكان يروح ويجيء في الطرق الفرعية يلتقي المعارف ويتباحث واياهم في شؤون السياسة ويتحدثون عن تطلعاتهم وأحلامهم.

كانت جزر الهند الغربية مسقط رأس والدي ريتا، لكنهما لم يلتقيا الا حين جاءا الى مدينة نيويورك. وكانت أمها امرأة جميلة امتزجت فيها دماء برتغالية وافريقية وهندية، وقد نعمت بنشأة رفيهة في محيط من الطمأنينة والرخاء. لكنها كانت على جهل تام بالاقتصاد المنزلي، فكان الزوجان يكافحان لتدبير أمورهما براتب ديفيد البالغ ٥٠ دولاراً في الأسبوع. كانت الاحوال صعبة، لكن ريتا غُمرت بمقدار كبير من المحبة وباعتزاز عميق ثابت بتاريخها وتاريخ هارلم.

كانت في طفولتها تستمع الى والدها يحدثها عن رحلاته المثيرة حول العالم حين كان بحاراً على متن احدى السفن. فأخبرها كيف سافرت عائلته الى جزر البحر الكاريبي حيث استقرت وكافحت وكسبت عيشها بالعمل في الارض.

تقول ريتا: "أيقظ فيَّ أبي شعوراً بالمسؤولية. وعلَّمني أن أعطي أفضل ما عندي وألاّ أقنع بأقل من بلوغ الذروة، وإلا شعر كثيرون بأني خذلتهم."

وفُتنت ريتا أيضاً بروايات أبيها عن الملوك الافريقيين وعن توحيد مملكة سونغاي الوسيعة وتكديس الكنوز في امبراطورية مالي، وعن الجامعات العظيمة كجامعة تمبوكتو في مالي التي أنشأها أناس سود. وأخبرها أن العلم سيكون له شأن مهم في حياتها، فعليها ان تكون مثقفة إن هي أرادت أن تنال ما تطلبه لنفسها وللذين يعنيها أمرهم.

قبلت ريتا تحدي والدها، وثابرت على الدرس بجد واجتهاد. وهي تقول: "فُتنت بالنظام الديموقراطي وبما يتضمنه من ضوابط ومعادلات. وأتاح لي علم التربية المدنية وحقوق المواطنين وواجباتهم أن أدرك أنني، وان كنت مواطنة سوداء وغير ثرية، فلا موجب لأن أشعر بأني مقيدة في منزلة اجتماعية دنيا أو وضع خاص. فاذا لم ألقَ استجابة في مستوى ما، ففي امكاني الانتقال الى مستوى أعلى، فأعلى، حتى يتاح لي تغيير الأمور. ومن خلال هذا الادراك شعرت بأني حرة."

التحقت ريتا بمدرسة جوليا ريتشمن الثانوية في مانهاتن (نيويورك) المتميزة

بمستوى علمي عال. تقول: "لم يتعين علي اتباع مقرر تعليمي معين. كنت تواقة الى تحصيل علوم عالية، وآنست في نفسي القدرة على منافسة أي شخص آخر في حقل الثقافة."

كانت عائلة ريتا في تلك الايام تكافح لكسب لقمة العيش. وكانت منطقة "الوادي" في هارلم، حيث منزلها، معروفة بفقرها. وتتذكر ريتا: "مهما اشتدت الامور وساءت، لم ندع الآخرين يعلمون بحالنا. تلك كانت خطة والديّ: حين لم يكن لدينا ما نأكله، كنا نحضّر الشاي، أو ماء وسكراً، فنشربه لنملأ معدَنا، ونبدو مرحين كأن أمورنا كلها على ما يرام.

"وكان المال نادراً أيضاً، ولكن كان في حوزتي على الدوام جواز لركوب الحافلات مكنني من الذهاب الى المدرسة. ومع أن ثمن الغداء لم يتجاوز ٢٥ سنتاً، فلم يتوافر لدي مثل هذا المبلغ أحياناً كثيرة، فكنت أفوِّت وجبة الغداء. الا أني لم أنقطع عن المدرسة يوماً، لتصوري أن العلم كنز لا يمكن انتزاعه مني."

التفكير الايجابي

في الخمسينات، حين كانت ريتا لا تزال في المدرسة الثانوية، أصيب والدها بارتفاع في ضغط الدم وبنوبات صداع حادة. وساءت صحته باطراد الى أن توفي في يناير (كانون الثاني) ١٩٥٦. وكان أبرم عقد تأمين على حياته بمبلغ زهيد أنفق كله في تسديد نفقات الدفن والديون المستحقة. ولم يبق لريتا مال لمتابعة دراستها.

في هذه الاثناء تعرّفت ريتا الى رجل من رايتسفيل في ولاية جورجيا يدعى ثيروين ديفيس. وتزوجا بعد ثمانية أشهر، وبعد نحو سنة زواجاً انجبا ابنة سمياها جودي.

كان زوج ريتا رجلا متهتكاً ينفق راتبه على الميسر والحفلات والنساء. فدعتها أمها الى العودة الى المنزل الوالدي. وهي تتذكر: "لم أكن أملك ما يقيني شر الفاقة، فاضطررت الى العمل نادلة في مطعم ثم موظفة في مصبغة. فحزّ ذلك في نفسي وغمرني الأسى لعلمي أني لم أُخلق لهذا العمل ولعجزي عن أن أكون الشخص الذي أريد."

وبعد وفاة والدتها عام ١٩٦١ ساءت أحوالها المالية كثيراً فغرقت في الكآبة ولم تجد مخرجاً، فطلبت مساعدة من صندوق الانعاش الاجتماعي: "كنت على يقين من أن جيراني يتساءلون كيف سأتدبر أموري الحياتية. وكنت أنا كذلك في حيرة من أمري. لكني ابتهلت الى الله وطلبت عونه، فاستجيب لي، وبدأتُ مساعدة ذاتي."

ذات يوم أهدى اليها أحد أصدقائها كتاباً عن التفكير الايجابي ترك أثراً عميقاً في تفكيرها وغيَّر نظرتها الى الحياة. وهي كانت تقية، صاحبة كبرياء، وتطالع كثيراً،

فاكتشفت أن قراءاتها لمآثر قادة أمثال مارتن لوثر كينغ[٢] تغذي كبرياءها وتزيدها قوة. وفي العام ١٩٦٤ توهجت في صدرها شعلة أنارت لها سبيل الحياة.

فقد لاحظت ريتا أن حياة الفقراء تختلف باختلاف المناطق التي يسكنونها. قالت: "ذهبت برفقة ثيروين مرة لزيارة أهله في جورجيا. ورأيت الفقراء هناك في منتهى النظافة، وكل ما لديهم نظيف. وكان الجيران يتقاسمون ما لديهم من مآكل بسخاء وطيبة، فتعطي امرأة جارتها بعض الفاصولياء، فتشاركها هذه في حبات البندورة (الطماطم) التي اشترتها أو قطفتها من الحديقة او في السمكة التي اصطادها زوجها في النهر. لكن هذه الروح الخيّرة السمحاء لدى السود ماتت حالما هاجروا الى المدن."

زهرة في هارلم

تطلعت ريتا حولها فلمست لامبالاة وفساداً وانحطاطاً أخلاقياً وانتشار جرائم قتل السود للسود في منطقتها. تقول: "أدركت للوهلة الاولى أن علينا نحن ايجاد حلول لمشاكلنا. وقررت أن من واجبي مباشرة العمل في الشارع الذي نسكنه. فلطالما استغلّ مالكو الابنية في هارلم فقر المستأجرين وضعفهم، فأهملوا طلاء الابنية وتدفئتها واصلاح الانابيب. وكان الماء يتسرب أياماً من الثقوب والشقوق."

في أواسط الستينات بدأت ريتا تتحدث الى جيرانها عن تأسيس جمعيات للمستأجرين في الناحية الغربية من الشارع ١٤٣. فاستجاب لها المستأجرون، وبدأوا تنظيم شؤونهم في البناء الذي يضم مسكنها. فانتخبوا مندوبين عنهم أوكلوا اليهم مسؤوليات مختلفة، وعُينت ريتا أمينة عامة للجمعية. فكان في طليعة مهماتها تنبيه مفتشي البلدية الى الحال المزرية للمبنى. وكانت تدون أرقام شارات المفتشين والاصلاحات التي يتعين على مالكي البناء انجازها وفق قوانين المباني.

ولم يغب عن بال المستأجرين أن عليهم هم واجب التزام مسؤوليات شملت الحفاظ على نظافة الردهات وشراء الفحم للتدفئة. وأقاموا في ما بينهم حفلات ومآدب عشاء رصد ريعها لمساعدة المستأجرين العاجزين عن تسديد بدلات ايجاراتهم.

ولاحظت ريتا كثرة الامهات اللواتي يغادرن بيوتهن صباحاً لأخذ أولادهن الى المدرسة. فاقترحت عليهن تناوب اصطحاب الاولاد في الصباح والعودة بهم بعد الظهر، فأنشأن ما سمَّينه "نادي الأمهات للمساعدة الذاتية" وتوافر لهن بذلك وقت لأعمال كثيرة أخرى.

(٢) مارتن لوثر كينغ (الابن) مصلح اجتماعي امريكي اسود ومن رواد الحقوق المدنية. منح جائزة نوبل للسلام عام ١٩٦٤ وقتل عام ١٩٦٨.

ثم أسست ريتا "رابطة المحلة الغربية للشارع ١٤٣" مركزة على قضايا مثل نظافة الشوارع. تقول: "أولينا الأحداث اهتمامنا أيضاً، وحاولنا ابقاءهم منشغلين، فأمّنا لهم وظائف صيفية، وطوّعنا الشبيبة لتنظيم رحلات ونزهات برية وحفلات ترفيهية لاولاد الحي."

عام ١٩٦٨ حصلت ريتا، قانوناً، على الطلاق من ثيروين، كما حصلت على وظيفة مساعدة معلمة لدى مجلس التعليم في مدينة نيويورك. قالت: "تزامنت ساعات عملي وساعات دراسة الاولاد. وكان همي الاكبر حمايتهم من الاغراءات الشائنة التي حفلت بها بيئتنا."

شمل نشاط ريتا رابطة أولياء الطلاب حيث التقت رجلا جذاباً يدعى جيروم سميث. وما لبثا أن تزوجا وأنجبا توأمين عام ١٩٧٢. (بعد سنتين تمّ طلاقهما.)

بدأت ريتا، ضمن عملها في مجلس التعليم، تتولى أعمالا ادارية في البرامج المدينية. ورأت أنها في حاجة الى شهادة جامعية، فالتحقت بقسم الدراسة الليلية في جامعة فوردهام ونالت شهادة بكالوريوس في الآداب عام ١٩٧٦ ودرجة ماجستير في العمل الاجتماعي عام ١٩٧٨. ثم كرّست علمها لاعمال التدريب والارشاد في وكالات الانعاش الاجتماعي.

ولكن، ان تكن حياتها تحسنت فقد استمرت حال الجوار في التدهور. فاحتلّ مدمنو الهيروبين زاوية تقاطع الشارع والجادة السابعة. وكانت تجارة المخدرات كثيفة في بعض الاحيان والازدحام شديداً بحيث لا يستطيع الواقف في طرف الشارع رؤية الطرف الآخر.

شعرت ريتا بالاحباط والعجز المرادفين للفقر. ثم بدأت تحلم بامكان وقف هذه الدوامة الهدّامة. قالت في ذاتها: "لا داعي الى هذا البؤس. ليس في قدرة كل فرد لملمة أمتعته والانتقال الى مكان آخر. لماذا أغادر هذا المكان حيث ترعرعت؟ ان هذا الشارع ... ١٤٣ ... يمكن أن يضاهي جادة بارك أفينيو الزاهية. لا، لن أستسلم لليأس، ولن أتوانى عن تحويل الخراب والتعاسة هنا لوحة من الجمال."

آنئذ باشرت ريتا زرع الازهار في الحوض الحجري أمام المبنى. لكن الجيران حذّروها من أن الناس سيقتلعون أزهارها. وهي تذكر: "كان ذلك مثيراً للاهتمام، لقد ألف سكان حينا مشاهدة الانحلال فلم يعد يزعجهم، وترسّخ في أذهانهم أننا عاجزون عن الحفاظ على الجمال والنظافة. كانت خرافة العجز هذه مشكلتنا الكبرى، ولا بد أولا من ازالتها من أذهان الناس. رأيت أني مدعوة الى القيام بهذا العمل، فكنت أنا الأداة وكانت الازهار الوسيلة. قلت لجيراني: قد يعمد العابثون الى اقتلاع أزهاري، لكني سأزرع غيرها."

وكثيراً ما رأت ريتا الازهار مبعثرة وقد داستها الاقدام، فلم تيأس، بل كانت تزرع غيرها. وما لبثت الازهار أن اجتذبت أولاد الحي. وكانت إحدى الامهات، لدى زيارتها ريتا، تصطحب ابنتها الصغيرة لتتمتع بمشاهدتها. وهي أخبرت ريتا ان الازهار تجتذب أنواعاً جميلة من الحشرات وأن ابنتها شاهدت النحلة والجندب واليسروع للمرة الاولى في تلك الرقعة الصغيرة من الطبيعة.

قالت ريتا: "كان ذلك دليلا على أن مخلوقات الله عز وجل تأتي حتى الى الشارع ١٤٣. وجاء وقت توقف اقتلاع الازهار، فكان ذلك أيضاً علامة على أن جيراني قبلوا الحقيقة واقتنعوا بأن الحياة يمكن أن تكون أفضل."

نخوة الشبيبة

حين اقتربت ريتا من مستشفى هارلم رأت ومض سيارة اسعاف فافاقت من غيبوبة أحلامها. تذكرت أن ابنها ديفيد مصاب بالرصاص، وقد تكون اصابته خطيرة، بل مميتة.

ولدى وصولها هي ومارك الى وحدة الطوارىء علما أن ديفيد مصاب في رأسه. وأخبرتهما احدى الممرضات أن ديفيد في غرفة العمليات وأن الاطباء يجهدون لانتزاع الرصاصة من أسفل فمه. ولم يسعْ ريتا ومارك الا الانتظار.

جلست ريتا في كرسي تنتظر قلقة ملتاعة. فكرت في أن ديفيد كان الاكثر تردداً حيال موقفها من مروجي المخدرات. فهو نشأ في حي هارلم فقيراً مكافحاً، وكانت آراء أصحابه تتناقض ومبادىء أمه أحياناً كثيرة. ألم يسألها قبل بضعة أيام: "اذا كان ما تقولينه هو الصواب، فلماذا نرى كل الجانحين الاشرار ناجحين جداً؟" فخلّفت كلماته في نفسها أثراً مضنياً، وغلبت عليها الكآبة وتساءلت هل يمكن أن تستقيم الامور على النحو الذي أمِلته وسعت اليه.

وها هو ديفيد الآن ضحية اتباعه مبادئها وتوجيهاتها.

طال انتظار ريتا وازداد قلقها، وأشارت عقارب الساعة الى الثامنة والنصف مساء ولمّا يخرج أحد من غرفة العمليات. فراحت تصلي من أجل سلامة ديفيد، وشاركها مارك في الصلاة.

أخيراً تقدم منها طبيب شاب وسألها: "هل أنت والدة ديفيد؟" هزت ريتا رأسها ايجاباً. فتابع الطبيب: "سيكون ديفيد بخير." فالرصاصة التي اخترقت فمه تناثرت ومزقت لسانه. ولم يجد الجرّاح الا كسراً صغيرة في فمه.

أضاف الطبيب: "نزف ديفيد بغزارة، وفقد عدداً من أسنانه. وهناك بعض الورم، وهو يحتاج الى مراقبة دقيقة لمدة يومين أو ثلاثة أيام. انه محظوظ."

تبعت ريتا الطبيب الى غرفة المعاينة، فوجدت ديفيد ممدداً على طاولة وقد غرزت ابرة مصل وريدية في ذراعه.

قال له الطبيب ممازحاً: "حسناً يا صاحب الفك القوي، ها هي أمك أتت لتراك."

تبسم ديفيد لأمه مغالباً الاعياء. وبان فمه متورماً ومدمى، وفيه فراغ حيث كانت الاسنان المفقودة.

غمر ريتا فيض من الارتياح، وخانها صوتها فراحت تمسح دموعها. فربَّت ديفيد يدها مطمئناً، مما زاد في تأثرها. فهذا الفتى الذي شارف الموت يحاول الآن تعزيتها.

قال الطبيب: "سيدة سميث، سننقل ديفيد الآن الى غرفة ليرتاح، فهو في حاجة الى النوم."

أومأت ريتا برأسها وقالت: "أحبك يا ديفيد. أتمنى لك نوماً هنيئاً. سأعودك غداً."

عادت ريتا الى غرفة الانتظار والمخاوف تساورها حول سلامة أولادها. لكنها طمست هذه الافكار مركزة على فرحها بنجاة ديفيد.

ولكم كانت دهشتها كبيرة حين وجدت في غرفة الانتظار رهطاً من أصدقاء ديفيد جاؤوا ليطمئنوا اليه وليعرضوا عليّ خدماتهم: "نحن مستعدون لأي خدمة. لقد كنا هناك، ونحن شهود على الحادث. فما عليك الا أن تقولي لنا ماذا نفعل."

جمدت ريتا اذ فاجأتها نخوة أولئك الشباب الذين كانوا حتى البارحة يجاهرون بعدائهم لجهودها في مكافحة المخدرات. كانت تلك صلاة تحققت فنفخت فيها الحيوية مجدداً وأنعشت آمالها وبرَّدت مخاوفها. وغلب عليها التأثر فلم تخرج من فمها الا عبارة: "شكراً لكم."

ورافقوها الى منزلها وقالوا لها مكررين: "سنقف الى جانبك يا سيدة ريتا. مُرينا ماذا نفعل."

"الستّ" كليو

في الصباح التالي لحادث ديفيد انهمكت ريتا في شراء الخضر والبقالة وطهو الطعام ومساعدة أولادها في فروضهم واتمام بعض المهمات، ريثما يحين موعد زيارة ديفيد بعد الظهر. وتساءلت: أمِن الحكمة أن تبقى في هارلم وتستمر في الكفاح على رغم ما يعني ذلك من تهديد لحياتها وحياة أولادها، أم تتخلى عن كفاحها وتعتكف في منزلها وتنشد السلامة؟ المهم، أولا، الاستماع الى رأي ديفيد في الامر. وعبرت مخيلتها مراحل التقدم الذي أحرزته في مكافحة المخدرات والمشاكل الكثيرة في حيها التي تنبت أبداً وتتراكم كسيارات في ساعة ازدحام.

في مطلع السبعينات خطت ريتا خطوتها الاولى في سبيل حل مشكلة المخدرات.

فنظمت "مشروع ناصية الشارع" الذي خوّل المدمنين الحصول على مساعدة المستشفى البلدي، وبعد تطهيرهم من السموم كانوا يجنّدون للعمل في مشاريع المحلة كزرع الحدائق وطلي الابنية. ولكن، ان تكن هذه الجهود أعطت ثمارها فالوضع كان سائراً الى التغيير، وكانت ريتا تراقب هذا التغيير بأسى وحذر.

مرت سنوات والمخدرات تباع في المنطقة، وكان مروجوها في البداية من سكان الحي الناشطين ضمن نطاق محدود. ثم غزا السوق تجار مخدرات أنشأوا سوقاً خاصة بهم. فعظُم حجم التجارة حتى باتت تتداول، في ساعة واحدة أحياناً، ١٠٠ ألف دولار ثمن هيروبين وكوكايين. كذلك ازدادت مخاوف السكان.

غصت المحلة بباعة المخدرات حتى استحال تعايشهم، وأدى اشتداد المنافسة بينهم الى صراعات دامية. كانت تحصل حوادث انتقام وحشية كل يوم تقريباً، ووقع أحدها في مكان قريب من منزل ريتا حين أمسكت ثلاثة رجال بأحد الباعة "الهواة" ودفعوه الى جدار بناء مهجور ومزقوا جسده بالرصاص فهوى ميتاً.

وكانت جرائم القتل ترتكب في قطاع صغير من الشارع ١٤٣، وأعنفها في "المنطقة ٣٢" حيث وقعت ٧٥ جريمة قتل في العام ١٩٧٩، معظمها عائد الى المخدرات.

كان الباعة يمارسون تجارتهم متخفين في مداخل الابنية. فكان السكان، لدى خروجهم ودخولهم، يفاجأون بهؤلاء الباعة الذين درجوا على تهديدهم ومضايقتهم. لم يكن أحد في أمان. لكن الاولاد والمسنين هم الاكثر عرضة للخطر.

بيل رجل في الستين يعمل في بلدية المدينة ويسكن قرب منزل آل سميث في بناء مهجور قطعت الكهرباء عن مدخله لأنه ملك البلدية ولم يهتم أحد بتسديد الفواتير المستحقة. كانت الكهرباء موصولة بمنزله، لكن الاروقة كانت معتمة، فاعتاد بيل اشعال مصباح كهربائي لدى دخوله المبنى.

وذات يوم احتل غرباء مدخل البناء المهجور، يبيعون المخدرات على رصيف الشارع.

شكا بيل أمره الى ريتا: "يا سيدة سميث، حين أخرج من شقتي أطلب من هؤلاء الاشرار السماح لي بالمرور. وهم تضايقوا من دخولي وخروجي، وحين أخبرتهم أني ساكن هنا شتموني وأمروني بالغروب عنهم. انهم يحملون مسدسات، وأنا مرتاع يا سيدة سميث وبتّ أكره الذهاب الى بيتي."

وكانت ريتا وأولادها كلما شاهدوا بيل في الشارع متوجهاً الى منزله يسيرون معه الى أن يدخله ويطمئنوا الى سلامته. وكان يشكرهم في كل مرة.

ذلك كان واقع الحال. فالجوار يعج بالغرباء الأشرار، مروجي المخدرات الذين لا يتورعون عن إرهاب رجل عجوز واطلاق الرصاص على شاب أعزل.

ذات يوم خرجت ريتا من منزلها لزيارة ديفيد في المستشفى، فلمحت امرأة ترتدي سترة جلدية تفترق عن جماعة من باعة المخدرات وتتجه نحوها.

تلك كانت كليو، المرأة التي كانت ترشد الزبائن الى باعة المخدرات أمام منزل ريتا حين تصدى لها مارك.

ولما اقتربت من ريتا قالت لها: "اذا بدر منك أي ازعاج بعد الآن، فسيحل البلاء بابنك الأصغر أيضاً."

لكن ريتا حدقت اليها متحدية الى أن استدارت وانصرفت.

يد العدالة

جلس ديفيد على سريره في المستشفى يمازح ثلاثة نزلاء آخرين في الغرفة ووجهه متورم والكدمات الزرقاء والسوداء والصفراء تكسو فكه. انحنت ريتا وقبّلت أعلى رأسه، ثم جلست الى جانبه على حافة السرير وطلبت منه أن يطلعها على تفاصيل الحادث.

قال ديفيد: "لم أرَ مطلق الرصاص من قبل، لكني أعرف المرأة التي كانت معه." وأفاض في الكلام عن الصدمة التي حلت به، وأبدى خوفه قائلا انه لا يريد أن يموت.

أصغت ريتا الى ابنها بكل جوارحها، وتركته يتكلم لأنها رأت في افصاحه عن مخاوفه المكبوتة علاجاً نفسانياً شافياً.

عندما أنهى ديفيد سرد قصته ضغطت أمه يده وقالت: "اني أفكر منذ فترة في النزوح عن هارلم."

فصاح ديفيد غاضباً: "نرحل؟ نلوذ بالهرب؟ لا يا أمي، هذا ليس من شيمك. لن أدع مروج مخدرات يجبرنا على النزوح."

قالت ريتا: "هذا الحي يعني لي الكثير، ففيه منزل والديّ، ومنزلي. لكنه ليس أهم منك ومن اخوتك. ان ضمان سلامتكم يعني لي كل ما في الحياة."

هز ديفيد رأسه وقال: "ماما، واجبنا هو الاستمرار في الكفاح."

نظرت ريتا الى ابنها الجريح فأكبرت فيه شجاعته وعزمه وأقرَّت: "أنت على حق يا ديفيد. سنكافح حتى النهاية."

لدى مغادرة ديفيد المستشفى كان الجاني ما زال طليقاً. فصممت ريتا على السعي الى تطبيق العدالة انصافاً لديفيد ولاخوته ولها ولأهل الحي. وتعيَّنت ملاحقة مطلق الرصاص قضائياً ومعالجة مسألة اقصاء تجار المخدرات والمدمنين عن الحي.

كانت ريتا تطلب دائماً تدخل الشرطة المحلية، ولكن حان الوقت لزيادة الضغط. فكثفت جهودها، وفي سبتمبر (أيلول) عقد أول اجتماع لـ"فرقة مكافحة المخدرات" التي كانت تسعى الى تشكيلها.

وصلت ريتا الى مركز الشرطة لحضور الاجتماع، فالتقت رئيس الفرقة الرقيب بيتر برانزو. كان انطباعها الاول أنه شرطي أبيض، فكيف يولي قضايا السكان السود الاهتمام الكافي؟ لكنها أنست منه تجاوباً واستعداداً للعمل.

استهل برانزو الاجتماع شارحاً أن "القوة الضاربة" ستضمه وسبعة ضباط آخرين. وسيبادرون الى اقتحام الشارع ١٤٣ وفق اقتراحات ريتا. فسألته: "داخل الابنية أيضاً؟" أجاب برانزو: "نعم."

"بما فيها الابنية المهجورة؟"

- تلك أيضاً، وأوكار المخدرات وأماكن حقنها.

"وهل نأمل أن تكون الاقتحامات منتظمة لا اقتحاماً يتيماً؟"

- بكل تأكيد.

"متى تبدأون؟"

في هذا الوقت كان جميع أفراد القوة الضاربة وصلوا الى مكتب برانزو. وأجاب قائد المنطقة المفتش جو فنسنت عن سؤال ريتا الأخير: "بعد ثلاثة أيام. الخميس، في الثامنة مساء."

قالت ريتا: "حسناً، كم أتمنى أن أكون حاضرة."

ضحك فنسنت وقال: "لك الحق في أن تكوني حاضرة. فأنت المسؤولة عن هذه العملية كلها."

طلقات في الليل

انتظرت ريتا الموعد المحدد على أحرّ من من الجمر. وليلة الخميس المقررة للاقتحام وقفت أمام نافذتها تراقب سيارات وحافلات، مدنية ظاهراً، تتوافد الى الشارع. ثم وصل رجال شرطة مشاة في ثياب مدنية. وخلال ٣٠ دقيقة كان كل منهم في المكان المحدد له.

بدأ الهجوم بضراوة كما أملت ريتا. فسُدت جميع منافذ الشارع. وما هي الا ساعة حتى كان رجال الشرطة قبضوا على ٣٠٠ من متعاطي المخدرات. فصُف هؤلاء الى الجدار يدا بيد على امتداد ١٥٠ متراً.

صودرت مخدرات ومسدسات، ونقل المدمنون والمروجون في السيارات والحافلات. كان ذلك بالنسبة الى ريتا انتصاراً رائعاً اذ أُجبر المدمنون وباعة المخدرات على احترام القانون. وأطلّ السكان من شققهم وراحوا يهتفون مهللين شاكرين.

ثم خرجت ريتا من منزلها ومشت في الشارع بفخر واعتزاز واتجهت الى الرقيب برانزو قائلة: "أكاد لا أصدق هذا الحدث. لقد انتظرته لسنوات."

لكن أحد المطلوبين ظل طليقاً يتملص دائماً من دهم الشرطة. انه فريد "سوني" فيغرز، مطلق الرصاص على ديفيد. وأخيراً، بعد ستة أشهر على حادث ديفيد، تعرف اليه أحد المخبرين وأبلغ أمره الى الشرطة. وما هي الا ساعات حتى وقع فيغرز في قبضة العدالة. وكان، الى تهمة محاولة القتل، مطلوباً بتهمة الاتجار بالهيروين.

كان روبرت ماكغيرل المدعي العام في قضية ديفيد. وهو أمَّن شهوداً كثيرين على الجريمة، بينهم صديق لديفيد كان وعد في المستشفى بالادلاء بشهادته. إلا أن الادعاء كانت تنقصه اثباتات جازمة. فمن المحتمل أن يزعم فيغرز أنه أطلق النار دفاعاً عن نفسه أو عن كليو. وقد لا تهتم المحكمة بنشاطات آل سميث في مكافحة المخدرات.

باشر ماكغيرل اعداد ملف القضية. وساعدته ريتا، فكانت تطمئن الشهود وتقوي عزيمتهم وترفع معنويات ديفيد. لكنها ظلت قلقة.

واشتدت مخاوفها قبل أسبوع من بدء المحاكمة حين دنا منها رجل وامرأة في مدخل المبنى الذي تقوم فيه شقتها. قال لها الرجل: "نحن على استعداد لمحاربتك في قضية فريد فيغرز."

فردت ريتا: "لن أتراجع، وسأكافح حتى النهاية."

فهددها الرجل: "سنرى، وسترين أنت كذلك." ثم انصرف هو ومرافقته.

لم يسمح لريتا بحضور المحاكمة لأنها كانت ستدلي بشهادتها لاحقاً. لكن ماكغيرل ثابر على الاتصال بها كل مساء واطلاعها على وقائع الجلسات.

استهل ماكغيرل مرافعته بوصف دقيق لواقع الحال. قال: "لم تبدأ المشكلة في ١٧ أغسطس (آب) ١٩٧٩، بل قبل ذلك بكثير، حين شهد الشارع ١٤٣ تدفقاً كثيفاً للمخدرات. كانت مشكلة المخدرات قائمة أصلا، هذا صحيح، لكن الشارع لم يزدحم من قبل بزبائن توافدوا عليه من نيوجرزي وكونيتيكت."[٣]

صمت ماكغيرل هنيهة وأخذ يخطو جيئة وذهوباً ثم تابع: "في وقت ما، لا بد لكل شخص من أخذ قرار: أيبقى في الحي حبيساً، أم يلجأ الى وسيلة أخرى؟ هذا ما حدث في الشارع ١٤٣.

"هناك دائرة للشرطة. وقد بذل الاهالي جهوداً لابلاغها ما يجري علها تأخذ اجراءات قانونية. لكن الشرطة تعمل ضمن حدود لا تستطيع تجاوزها. لذلك قام آل سميث بنشاطات ستسمعون عنها لحماية الشارع ١٤٣ من وباء المخدرات."

هنا اعترض محامي الدفاع ادوين بول غونزاليس مدعياً أن لا علاقة للجريمة بالمخدرات، فهذه قضية هجوم لا لبس فيها، وقد أطلق فريد فيغرز الرصاص دفاعاً عن النفس وحماية لحياته وحياة المرأة.

---

(٣) ولايتان مجاورتان لنيويورك.

بدأ استجواب الشهود بالاستماع الى الشرطي الذي قبض على فيغرز، فنوَّه بالمساعدة التي قدمها اليه آل سميث ومكنته من اعتقاله. وأبرز شهود آخرون جهود آل سميث التي أثمرت فحملت رجال الشرطة على شن حملات دهم للقبض على متعاطي المخدرات في الشارع ١٤٣. وعجز محامي الدفاع عن دحض هذه الشهادات. وأظهر استجواب الشهود دور آل سميث الفاعل في مكافحة المخدرات.

بعد بضعة أيام على بدء المحاكمة أتصل ماكغيرل بريتا وأخطرها: "عليك أن تلزمي الحذر. كلنا يعرف أن المحاكمة تتمحور على المخدرات، ولن يغفر لك أولئك المتورطون فيها اذ يجدونك تسدّين عليهم سبل رزقهم."

أجابت ريتا بهدوء: "أفهم ذلك."

وعرض بيتر برانزو، الضابط في "المنطقة ٣٢" تكثيف الدوريات في الشارع تحسباً لأي طارىء.

الحكم

التاسعة مساء، في الليلة التي سبقت الاستماع الى شهادة ديفيد، انهمر الرصاص على منزل آل سميث. فتحطم زجاج نافذة غرفة الجلوس وكانت ريتا في غرفة النوم فصرخت مرتاعة محذرة الاولاد: "انبطحوا على الارض!" ثم زحفت الى الهاتف وأبلغت الشرطة بما حصل. ولدى وصول رجال الشرطة اكتشفوا أن ثماني رصاصات أطلقت على المنزل من سطح بناية مجاورة.

قال برانزو لريتا: "حظكم كبير لأن أحداً منكم لم يُصَب. أين ديفيد؟"

فخرج ديفيد مرتعشاً من غرفة النوم وقال: "أنا هنا."

سأله برانزو: "هل أنت بخير؟"

– نعم، الحمد لله. في امكانك ابلاغ فيغرز أني سأكون في المحكمة غداً باكراً."

في اليوم التالي بدأ ماكغيرل استجوابه بسؤال ديفيد عن كليو ونشاطها في الشارع ١٤٣. ثم تطرق الى عصر ذلك اليوم حين أطلقت النار على ديفيد، مشيراً الى أن هذا كان يرتدي آنذاك بذلة العمل الخالية من أي جيب، ما يدل على أنه لم يكن يحمل سلاحاً.

ولدى سؤال ديفيد عما شاهده ذلك النهار، شهد أنه رأى المتهم متكئاً على غطاء محرك سيارة، كما رأى شقيقه مارك في الشارع.

سأله ماكغيرل: "هل كان مارك يعمل في ذلك الوقت؟"

– نعم.

"ماذا كان يعمل؟"

- أشغالا كهربائية.

"هل كان يحمل أدوات؟"

- نعم.

"أخبرنا ماذا رأيت. قلت انك شاهدت مارك وكليو."

- كان مارك يهز المطرقة في وجه كليو بيده اليسرى ويمسك ياقتها باليد اليمنى.

"وأين كانت يدا كليو؟"

- كانتا مسبلتين الى جنبيها.

"هل رأيت شفتيها تتحركان؟"

- نعم، رأيتهما تتحركان.

"كم من الوقت ظل مارك وكليو يتكلمان؟"

- قرابة ثلاثين ثانية.

"ماذا حدث بعد ذلك؟"

- تقدم الرجل في اتجاه شقيقي، فهرعت لاعتراضه وقلت له ان الامر لا يعنيه. لكنه دفعني، فبدأنا العراك، فلكمته.

تطلع ديفيد حوله فرأى الانظار موجهة اليه. فتابع بلهجة حازمة: "عندئذ سحب مسدسه وقال لي مهدداً: سأقتلك."

سأله ماكغيرل: "ماذا فعل بعدما سحب المسدس؟"

- رفعه عالياً.

"هل صوَّبه الى أي شيء؟"

أومأ ديفيد ايجاباً: "صوَّبه الى رأسي."

خلال المرافعة الختامية استخدم ماكغيرل شهادة ديفيد ببراعة. كان محامي الدفاع ادعى أن كليو كانت مهدَّدة وأن المتهم خف لنجدتها، وأنه معذور في الدفاع عن امرأة في خطر. فنقض ماكغيرل هذا الادعاء مبيناً أن مشادات عدة حصلت سابقاً بين كليو ومارك وآخرين من آل سميث، كما أكَّد عدد من الشهود. وغاية هذه المشادات محاولة اقصاء كليو عن مدخل مبناهم حيث كانت تتعامل بالمخدرات. ولم يلجأ أي من أفراد العائلة الى العنف. فلم يستخدموا مضارب كرة ولا مسدسات ولا سكاكين. وفي هذا الحادث المحدد كان مارك يهز المطرقة فحسب. فهل شعرت كليو بأنها مهددة؟

ثم تدرج ماكغيرل في مرافعته الى الافتراض، فقال: "ترى شخصاً هاجماً عليك بسكين أو مصوباً مسدسه اليك، فماذا تفعل؟ في كلتا الحالين ترفع يديك محاولاً اتقاء الخطر الذي يتهددك. ولكن أين كانت يدا كليو؟ كانتا مسبلتين الى جنبيها.

"ويفترض بك أيضاً، حين ترى نفسك مهدداً بسكين، أن تصيح طالباً النجدة. فهل

طلبت كليو النجدة؟ كلا، كانت منهمكة في الجدل والمشادة، تتصايح مع مارك، ما يدل على أنها لم تشعر قَط بأن حياتها في خطر.

"فما هو الخطر الذي كان يتهددها اذاً؟

لم يكن ذلك خطر المطرقة، بل خطر خسارتها عملها.

لما حاول سميث التصدي لها كانت تخشى طردها من المبنى لاتجارها بالمخدرات."

حدَّق ماكغيرل الى هيئة المحلفين وتابع: "ماذا فعل المتهم؟ تقدم نحو المتشاجرين. وماذا حدث؟ كان ديفيد سميث هناك. هل كان ديفيد سميث يحمل سلاحاً؟ ماذا كان يرتدي؟ كان يرتدي بذلة العمل. لا جيوب ولا مكان لحمل أي شيء."

انخفض صوت ماكغيرل حتى بات همساً فيما هو يتتبع الاحداث التي سبقت لحظة سحب المتهم المسدس. من ثم لفت انتباه المحلفين الى ما كانوا يعرفونه عن قصد فيغرز: "سحب المتهم المسدس. فماذا فعل؟ الى أين يُسدده للقتل؟ هناك موضعان، فاما القلب واما الرأس. الى أين صوَّب المسدس؟ لم يصوِّبه الى الساق أو الساعد، بل صوَّبه سوياً الى رأس ديفيد.

"أليس واضحاً ما كان ينويه؟ لم يكن قصده اطلاق الرصاص دفاعاً عن كليو، ولا دفاعاً عن نفسه. كان قصده القتل."

ظلّ المحلفون يتناقشون في خلوتهم قرابة أربع ساعات. ولدى عودتهم الى قاعة المحكمة سادها صمت رهيب ترقباً للحكم. فسأل الكاتب المرأة المتقدمة في هيئة المحلفين: "ما هو قراركم في شأن الادانة بتهمة محاولة القتل من الدرجة الثانية؟"

– مذنب!

تظاهرة ليلية

بعث صدور الحكم واستمرار حملات الشرطة في نفوس الناس شعوراً بالانتصار وثقة جديدة بالغلبة. فصممت ريتا على أن تكون خطوتها التالية تنظيم مسيرة احتجاج على المخدرات. فكثفت اتصالاتها ووزعت مناشير تدعو الى الاشتراك في المسيرة. فاستجاب لدعوتها عدد من رجال الشرطة. وعين رجال أمن سريون لمراقبة المسيرة. ومع ذلك ظل كثيرون من الناس الذين تحدثت اليهم ريتا يخشون الاشتراك. وحددت ريتا صباح السبت موعداً للانطلاق.

انطلقت المسيرة وفي مقدمها ريتا وأولادها وبعض الجيران. وكلما تقدموا في الشارع انضم اليهم آخرون. كان الناس ينظرون اليهم من النوافذ. ومشت أمهات يجررن أطفالهن في عربات، ومشى مسنّون بعكازاتهم، ومشى فتيان وشباب وكلهم يهتفون: "لتسقط المخدرات! خلصونا من المخدرات!"

كان للمسيرة أثر فاعل لم يشهده حي هارلم قبلا. فالسكان الذين كانوا لامبالين حيال الجرائم المرتكبة في الشوارع راحوا يبلغون عنها رجال الشرطة. والضباط الذين كانوا يتلكأون في الاستجابة لاستغاثات السكان باتوا يكثفون وجودهم ويجرون اعتقالات فورية.

انما كثيرون من باعة المخدرات المعتقلين كانوا يعودون الى الشارع فور اطلاقهم ليمارسوا تجارتهم. ففهم السكان أن أجهزة الشرطة تحتاج الى أدلة ثبوتية تخولها القبض على تجار المخدرات وادانتهم. فأخذوا يراقبون الصفقات ويجمعون المعلومات ويدونون أرقام لوحات السيارات وأوصاف المتعاطين ومَن منهم باع ومن منهم اشترى.

واستخدمت احدى النساء في المراقبة منظاراً احتفظت به قرب نافذتها. وكان ساكنو الجوار يقومون بالواجب بحماسة، فيحدقون ملياً الى وجوه الباعة ويدوِّنون أعمالهم المشبوهة ويبلغون رجال الشرطة ما يرون.

وبعد حيازة أجهزة الشرطة معلومات دقيقة عن أفراد جماعة المخدرات، انتفت الحاجة الى شنّ حملات دهم وتوقيف جماعي واستعيض عنها بخطط أكثر فاعلية للقبض على باعة المخدرات افرادياً وطردهم من الشوارع.

وفي سبيل ابقاء القضية ضمن اهتمامات المسؤولين والى السكان حضور جلسات المحاكمة، وحين كان ينادى على المتهم يقفون جماعات في قاعة المحكمة، فيشير اليهم المدّعي العام: "هؤلاء، يا سيدي الرئيس، هم سكان الشارع ١٤٣." وكانوا يرفعون لافتات كتب عليها: "خلصونا من المخدرات ومن تجار المخدرات."

وتنامى لدى الناس شعور بالثقة والقدرة على تحقيق أمور رائعة بالتضامن جماعياً. وحين كانت ريتا تتصدى لأحد باعة المخدرات، كان جيرانها يتدخلون لعضدها ولطرد مروجي المخدرات من أمام أبنيتهم.

قوّمت ريتا الوضع، فرأت أن ما انجز ليس كافياً. فالابنية المجاورة في الشارع ١٤٣ مرتع خصب لتجار المخدرات الذين تغلغلوا فيها. وما زالت الصفقات تعقد هناك في غياب القانون. فعقدت اجتماعاً في ناد محلي مع جاراتها من الساكنات في الشارع ١٤٣، وشرحت لهنّ واقع الحال، وحضّتهن على مواصلة جهودهن بهدف اخراج باعة المخدرات من كل تلك الابنية.

وافقت المجتمِعات على خطة ريتا، فاتقدن حماسة وخرجن ليلا في تظاهرة ضمّت ٧٥ امرأة توجهن الى دائرة الشرطة وسجلن، افرادياً، شكاوى تدين تجارة المخدرات وتطلب اقتلاع مروجيها من المباني في شارعهن. وانهمك رجال الشرطة في تسجيل الشكاوى حتى الاولى بعد منتصف ذلك الليل.

حفزت تلك الشكاوى الجماعية أجهزة الشرطة على التشدد في المكافحة. وبدأ

برانزو حملات دهم واسعة ومكثفة بمساندة رجال من مراكز أخرى للشرطة. فاعتقل عدد كبير من مروجي المخدرات حتى كادت البنية التحتية لهذه التجارة الخطيرة تتقوض. واستمرت حملات الدهم تقضّ مضاجع الباعة وتجلوهم عن الابنية.

أحلام تتحقق

لم تمض سنتان حتى انهارت سوق المخدرات في الشارع ١٤٣. لكن ريتا، البعيدة النظر، رأت أنه ما لم تُرمم الابنية الخالية وتُجدد فستعود حتماً أوكاراً لتجار المخدرات والمهربين وأعشاشاً للجريمة، فتكون جميع الجهود أهدرت. قالت: "ان السبيل الوحيد الى بلوغ هدفنا المنشود هو في الرؤيا والتخطيط والعمل على التغيير." ووضعت خطة آمنت بجدواها، وراحت تسعى الى كسب عضد لها. وهي صادفت عوائق كثيرة، لكن قلة المال كانت العثرة الكبرى.

تلخّصت الخطة في الاتصال بمالكي الابنية في الشارع ١٤٣ وحملهم على ترميمها وجعلها صالحة للسكن. كان معظم الأبنية ملكاً لبلدية نيويورك. وبحسب القوانين المرعية، يحق لَحْظ الاموال اللازمة لترميمها. لكن الاعانات الحكومية المخصصة للاسكان شحّت كثيراً.

لم تيأس ريتا، بل استمرت في البحث والتنقيب، فأثمرت جهودها اذ عثرت على ما سمّي "الشعبة الثامنة" حيث أرصد مبلغ من المال لمشاريع في هارلم. وهكذا مُهِّدت الطريق الى الاصلاح، وبقي على ريتا الاتصال بالمسؤولين المعنيين.

ذهبت ريتا مع وفد من سكان المحلة لمقابلة المسؤولين. وحصلت على موافقتهم على قبض المبلغ المخصص للحي. وبعد التفاوض والتعاقد مع مهندسين ومتعهدين، جُدِّد المبنيان الاولان بين ١٩٨٢ و١٩٨٤، واحد في الشارع ١٤٣ وآخر في الشارع ١٤٤.

اقامت ريتا حفلة تدشين للمبنيين دعت اليها رجال الشرطة في فرقة مكافحة المخدرات. وألقت خطاباً قالت فيه: "قد يكون التمييز العنصري متبادلا. ولكن ما ان تنشأ علاقة حسنة بين أناس مختلفي الاعراق، كأن يبدأوا عملا مشتركاً، حتى تتطور الامور الى الافضل، فيزول الحقد بينهم ويعم السلام والوئام ويرى الناس بعضهم بعضاً من خلال ضوء جديد.

"نحن هنا نحتفل بالمشروع الاجتماعي الذي نشأ بفضل تطور هذه العلاقة. ففيما كان كل ما حولنا ماضياً الى الخراب والفساد والانحلال، اتّحدنا وضممنا جهودنا، بعضنا الى بعض، لاحداث تغييرات علّقنا عليها آمالنا. وقد تحققت آمالنا بهذا الانجاز الفريد الذي تشاهدونه الآن أمامكم.

"لكني أرجو أن تكون هذه بداية مسعى طويل."

في أواخر ١٩٨٤ منحت ريتا درجة دكتوراه فخرية للخدمات الانسانية من جامعة فوردهام. وفي حفلة التكريم أعلن رئيس الجامعة: "تفتخر جامعة فوردهام بأن تكون ريتا ويب سميث احدى خريجاتها. فالخدمات الاجتماعية الجلّى التي قدمتها تفوق كل تقدير، فبفضل جهودها شهدت المحلة التي تسكنها والتي كانت غارقة في اليأس والشقاء والانطواء، ولادة جبارة مشرقة أشاعت فيها الامل والثقة والطمأنينة. واذ تكرم جامعة فوردهام السيدة سميث، فهي تنضم الى موكب من المؤسسات والقادة الاجتماعيين الذين ينادون بأن ايمان مواطن واحد وجهوده الفردية كفيلة باحداث تغيير نحو الافضل."

عام ١٩٨٩ أقرَّت بلدية نيويورك صرف اعتمادات لتجديد منطقة في حي هارلم تضم أبنية عشرة شوارع واقعة ما بين الشارعين ١٣٨ و١٤٧. فكان ذلك لريتا خطوة كبرى في الطريق الى تحقيق رؤياها الواسعة. وبدأ العمل في مباني المحلّة حيث تسكن ريتا غرب الشارع ١٤٣، فباتت تتألق بشقق سكنية مجددة. وعلى زاوية جادة لينوكس يجرى العمل على بناء ناد محلي يضم قاعة للرياضة وحضانة للاطفال ومكتباً للخدمات الاجتماعية.

أما التغيير الابرز فقد حصل في موقعين صغيرين في طرف الشارع. فقبل عشر سنين كان هناك مبنيان محترقان مطلان على الشارع، جعل منهما باعة المخدرات وكراً يختبئون فيه. فهُدم المبنيان ونُظف المكان من الركام والاوساخ، وحل مكانهما متنزهان صغيران يرتادهما سكان المحلة للتنزه واللعب.

وتقاعد بيتر برانزو وترك دائرة الشرطة، لكنه ما زال يزور ريتا في الشارع ١٤٣ ويساعدها في برامجها المختلفة. وهو يقول: "ثمة أماكن أخرى في أحياء هارلم وبرونكس ومانهاتن تشكل مسارح للجرائم وأوكاراً للمخدرات، لكني أعلم أن ريتا تقوم هنا بعمل رائع يساعد في ضبط الامور التي نراها تتحسن وتسير الى حال أكثر أماناً."

رسالة ريتا

شارفت أعمال الترميم والتجديد الانتهاء في ٤٦ مبنى مجاورة لمبنى ريتا سميث. فنظفت الواجهات القرميدية وأعيد طلاء داخل الشقق. ويضم بعض المباني شققاً فخمة من طبقتين، أرضيتها لماعة ومكسوة بخشب السنديان. والاحواض في مداخل المباني ملأى بالنباتات والازهار.

وقفت ريتا أمام المبنى ١٠١ في الناحية الغربية من الشارع ١٤٣، وتطلعت حولها وهتفت بافتخار: "من هنا انطلقت المسيرة."

بعد محاولتها تأليف جمعية تعاونية، استملكت ريتا المبنى في العام ١٩٨٠ ودفعت الضرائب المستحقة وجمعت تبرعات ومساعدات أتاحت لها تجديده وبناء سقوفه واصلاح أجهزة التدفئة وتجديد الطلاء.

وفيما كانت ريتا واقفة منتشية تتأمل مبناها بفخر واعتزاز، تقدم منها راي فلتشر الذي انتقل عام ١٩٨٥ من الشارع ١١٦ واستأجر محلا لبيع أجهزة الفيديو في الطبقة الاولى من المبنى. قال لها، كأن كلامه رجع أحلام ريتا البعيدة: "ان السكن هنا هو كالسكن في بارك أفينيو. كل شيء نظيف بهيج. فهنا سلامة وأمان تامان، ولا مخدرات، بل أبنية جديدة زاهية وزهور وشوارع نظيفة. انه أفضل مكان للسكن. وكل ذلك بفضل ريتا."

خجلت ريتا لهذا الاطراء، فحيَّت فلتشر ودخلت مكتبها في المبنى المجاور لمبناها، حيث علقت على الباب لوحة معنونة: "مركز الاستشارات العائلية لأنظمة العيش."

وتشرح ريتا وهي جالسة على أريكة في مكتبها الفخم: "لا أعتقد أن ثمة أموراً أهم من الحفاظ على كيان العائلة. لذا صممت على العمل في الحقل الاجتماعي، وهو اختصاصي، وبدأت العمل في هذه العيادة."

وفيما هي تتكلم، يدخل ابنها ديفيد. لقد مرّت ١١ سنة على محاكمة "سوني" فيغرز الذي أطلق عليه النار، وديفيد اليوم شاب جذاب لبق في الثانية والثلاثين من عمره، ناشط في مساعدة أمه ونصرة المبادىء والقضايا التي تناضل في سبيلها. وهو يعمل في تجديد المنازل وترميمها في أنحاء هارلم.

تقول ريتا مبتسمة باعتزاز: "أولادي جميعهم في أحسن حال. فالتوأمان تتابعان دراستهما الجامعية بمنح تعليمية. ومارك ضابط في شرطة نيويورك. ويعمل بيتر في مكتب محاماة في المدينة. وجودي موظفة في شركة "كونسوليديتد إديسون." من عندنا بعد؟ غلاديس ستعود الى كلية الحقوق في الخريف المقبل. ذكرنا السبعة، أليس كذلك يا ديفيد؟"

أجاب ديفيد مبتسماً: "حتماً."

علّمت ريتا أولادها ألا يدعوا بيئتهم تحطّ من ثقتهم بأنفسهم وتدفعهم الى الشعور بالعجز. وواضح أنهم حفظوا هذا الدرس جيداً، كما حفظه جيرانهم وسكان محلتهم.

وتُلخص ريتا انجازها قائلة: "حين يسألني الناس كيف توصلت الى تحقيق كل ذلك أجيب: الخوف قرع بابي، والايمان فتحه، ولم يكن في الداخل سواي."

ريتا ويب سميث
وطوني شابيل ■

ترجمة الياس عقل

اسماء الفائزين
في "استفتاء قرّاء المختار"

تشكر ادارة مجلة "المختار" جميع القراء الذين اشتركوا في الاستفتاء الذي نشر في عدد شهر يونيو (حزيران) ١٩٩٠ والذي حالت ظروف الحرب القاهرة في لبنان دون سحب اسماء الفائزين المئة باشتراك مجاني لمدة سنة. وهي اذ تنشر اسماء الفائزين في هذا العدد، ترجو الذين منهم تبدلت عناوينهم، خصوصاً اخواننا في الكويت الشقيق، ابلاغنا خطياً بعناوينهم الجديدة. علماً اننا سنباشر ارسال الاعداد الى الفائزين الاعزاء ابتداء من عدد نوفمبر (تشرين الثاني) المقبل.

وهذه اسماء الفائزين التي سحبت بالقرعة في مكاتب المجلة في اشراف لجنة خاصة.

١. السيد ياسين عبد الفتاح سليمان - سورية.
٢. السيد خالد ابرهيم الصلح - الامارات العربية.
٣. السيد علي جعفر محمد - البحرين.
٤. السيد وجيه محمد ابرهيم - الامارات العربية.
٥. السيد عيسى نصراوي - قطر.
٦. السيد محمد بن محمد فال - موريتانيا.
٧. السيد محمد عصمت عطية - الاردن.
٨. السيد ياسين حسن التكروري - الاردن.
٩. السيد هاني سبع محمد ابو لبدة - الاردن.
١٠. السيد جمال نشاد - ليبيا.
١١. السيد قاسم محمد فارع المدحجي - اليمن.
١٢. السيد عبد المؤمن عبدالله خالد - اليمن.
١٣. السيد صالح عمران - اليمن.
١٤. السيد نبيل عبد الحافظ العامري - اليمن.
١٥. السيد عبد الخالق بن محمد بن عبد الخالق - سلطنة عمان.
١٦. الآنسة فاضلة سيف بن سلطان الجابري - عمان.
١٧. السيد ناصر محمد سالم تبريت الحريزي - عمان.
١٨. السيد رفيق بودوني - تونس.
١٩. السيد عماد الشريف - تونس.
٢٠. السيد مجيد عباس علوان الفهداوي - العراق.
٢١. السيد عامر اديب ناغي - العراق.
٢٢. السيد جوزف ابي حنا - الكويت.
٢٣. السيد احمد الماجد - الكويت.
٢٤. السيدة هداية محمد ناصر ابو العون - الكويت.
٢٥. السيد مرزوق الجاسم - الكويت.
٢٦. الآنسة بشائر يعقوب الغنيم - الكويت.
٢٧. الآنسة منى الصغير - لبنان.
٢٨. الآنسة ريتا فارس الحداد - لبنان.
٢٩. الآنسة سلام الحاج - لبنان.
٣٠. السيد عبدو جرجي صدقه - لبنان.
٣١. السيد فادي الحاج يوسف - لبنان.
٣٢. السيد زياد صافي - لبنان.
٣٣. الآنسة فيفيان يوسف نعيمه - لبنان.
٣٤. السيد نجيب متى - لبنان.
٣٥. السيد جورج الياس يزبك - لبنان.
٣٦. السيدة نرمين زهني زكي حنا - مصر.
٣٧. السيد عباس ابرهيم حسن - مصر.
٣٨. السيد عادل فريد نجيب - مصر.
٣٩. المهندس ماجد ميلاد اسحق - مصر.
٤٠. السيد مجدي ناشد سمعان - مصر.
٤١. السيد محمد سعيد - مصر.
٤٢. السيد ايمن احمد امام - مصر.
٤٣. السيد محمود سعيد محمد عمارة - مصر.
٤٤. السيد عماد الشافعي - السعودية.
٤٥. السيد احمد محمد الخميس - السعودية.
٤٦. الآنسة ليديا خجادوريان - سورية.
٤٧. المهندس محمد وسيم الهبل - سورية.
٤٨. الآنسة سوسن اسحق - سورية.
٤٩. السيد ايمن مهيني - سورية.
٥٠. السيد انور وبي - سورية.
٥١. الآنسة حسناء حفار - سورية.
٥٢. السيد عزام اسعد الشيخ طه - سورية.
٥٣. الآنسة سالي نعمة - سورية.
٥٤. الآنسة سمر العرموني - سورية.
٥٥. السيد باسم نتيفة - سورية.

٥٦. السيدة فهيمة قدري - سورية.
٥٧. السيد فراس ناشد - سورية.
٥٨. الدكتور توفيق الحاج يحيى - سورية.
٥٩. الآنسة جمانة القحف - سورية.
٦٠. السيد طلال دربي - سورية.
٦١. السيد عبد السلام المرعي - سورية.
٦٢. السيد تيسير تيلو - سورية.
٦٣. السيد الدرفوني عبد اللطيف - المغرب.
٦٤. الآنسة صبحي بهيجة - المغرب.
٦٥. السيد محبوك محمد - المغرب.
٦٦. السيد بن الضيف بنيونس - المغرب.
٦٧. السيد مختاري سعيد - المغرب.
٦٨. الآنسة الشقري سعاد - المغرب.
٦٩. السيد تازي عمر رشيد - المغرب.
٧٠. السيد حسن علي حسين - السعودية.
٧١. السيد فيصل علي ياسين القيري - السعودية.
٧٢. السيد محمد امين - السعودية.
٧٣. السيد فادي عبد الرحيم الحنفي - السعودية.
٧٤. السيد صالح علي محمد عبدالله - السعودية.
٧٥. الآنسة ليلى الزاهر - السعودية.
٧٦. السيد خالد ابرهيم الحجي - السعودية.
٧٧. الآنسة ليلي عبدالله ابرهيم السعيد - السعودية.
٧٨. السيد سامر - السعودية.
٧٩. السيد عبد الرحمن الزهراني - السعودية.
٨٠. MR. AMINE IDRISSI NASSER — MAROC.
٨١. MR. ELAZAMI HAMID — MAROC.
٨٢. MR. ER. RIDHI HASSAN — MAROC.
٨٣. MR. KHALIL ABU SHAYEA — SAUDI ARABIA.
٨٤. MR. ESSAM WANI — AUSTRALIA.
٨٥. MR. ISKANDAR ELIAS — CANADA.
٨٦. MR. MAHDY MUHI-ALDIN — DANMARK.
٨٧. MR. OMAR RAHWAN — TURKEY.
٨٨. MR. ABDUL SHAHEED KADHIM AL MUSTAFA — INDIA.
٨٩. MR. KEICHOUR TAFNAKLI — DEUTSHLAND.
٩٠. MR. SAMIR WANNOUS — FINLAND.
٩١. MR. ZIAD TARIQ — UNITED KINGDOM.
٩٢. MR. YASER CHAAR — U.S.A.
٩٣. MR. FAKHER AL TIR — GREECE.
٩٤. MR. ZIAD HALKA — ITALY.
٩٥. MR. SHAKER SOBHI QAWASMI — JORDAN.
٩٦. MRS. FIRYAL DABABNEH — JORDAN.
٩٧. MR. ABU BAKER — LIBYA.
٩٨. MR. EL OURTATANI IMED — TUNISIE.
٩٩. الآنسة هيفاء عبدالله المهنا - السعودية.
١٠٠. السيد حسان بدور - المغرب.

رئيس التحرير يفتتح القرعة.

فريال علاف.

عايدة الموسوي.

اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملًا، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.
شارع المقدسي. بناية الشرتوني. ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.

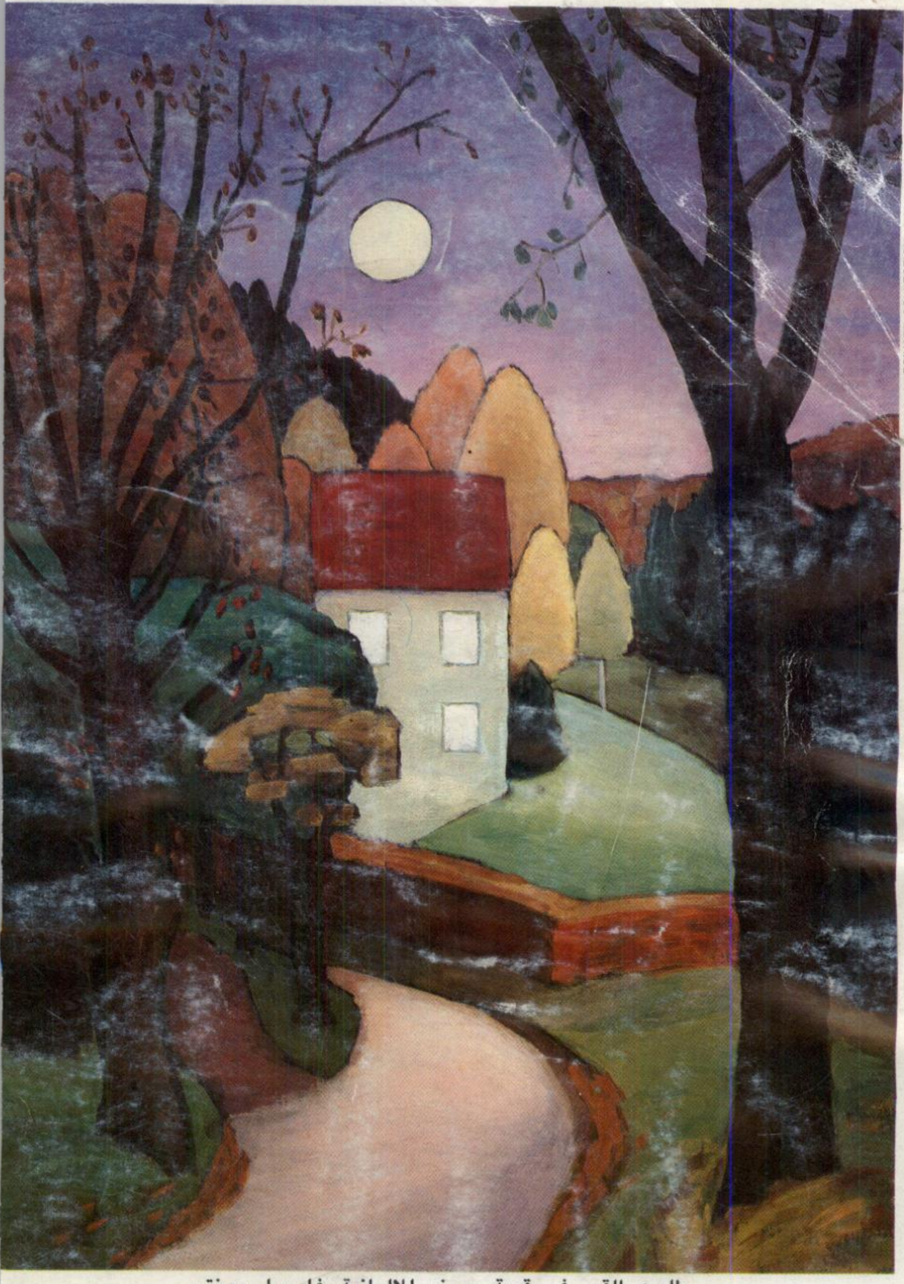

PRIVATE COLLECTION WORTHINGTON GALLERY, CHICAGO

طلوع القمر في قرية مورنو للالمانية غابرييل مونتر.